



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أحمد دراية - أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير في
منطقة توات (1363-1421هـ/1944-2000م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث نظام ل.م.د.
تخصص تاريخ معاصر.

إشراف أ.الدكتور:

مبارك جعفري

إعداد الطالب:

لمحرزي عبد الرحمن

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د.مُحَمَّد حوتية	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة أدرار
أ.د.مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة أدرار
أ.د.مُحَمَّد دباغ	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة أدرار
د.أحمد بوسعيد	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة أدرار
د.أحمد جلايلي	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة أدرار
د.عبد الجليل ملاخ	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة غرداية

السنة الجامعية: 1441 - 1442هـ/2019 - 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ مَسْنُونٍ
الَّذِي عَلَّمَ الْقُرْآنَ
وَإِنَّا لَنَحْسَبُهُ
عِنْدَ رَبِّنَا لَمُنْذِرًا
وَنَذِيرًا

الإهداء

إلى روح أمي وحملي رحمهما الله، إلى السيد الوالد وحملي بآرك الله لنا

في عمرهما

إلى من شاركني طعم الأيام ورافقني على ممر الأعوام

أخواتي جميعاً، وإخوتي: الحاج محمد، الحاج قدور والحاج الصالح

إلى من كانت على العهد نعم العون والسند

زوجتي الغالية أمّ الأبناء: مصطفى صيام، معاذ شهيد، رفيدة ورودينة

خديجة

إلى أهلي وعائلي، أقارب وأصحاباً

إلى عمال متحف المجاهد بأدرار وقادة فوج محمد بوراس وكل المنتسبين

للكشافة الإسلامية الجزائرية، وكل من سلك طريقاً يبتغي به علماً

إلى قناديل الهدى وأنوار الدجى: شيوخ توات وعلماؤها

إلى روح العالمين المجددين: مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير،

رحمهما الله

إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل من العدم

أهدي ثمرة هذا الجهد

التشكرات

" شكر المولى هو الأولى "

ما دام شكر الناس من شكر الله فإني أتوجه بجزيل معانيه وأسمى مبادئه إلى:
الأستاذ الدكتور مبارك جعفري على تفضّله بالإشراف، وعلى ما أسدى من نصائح
وتوجيهات طيلة فترة الإعداد.

ومن خلاله إلى هيئة التكوين والأساتذة الزائرين، إلى كل أساتذة وإداريي كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، إلى زملائي وزميلاتي في الدفعة والدفعات
الموازية، إلى كل المعلمين والأساتذة في الطور الابتدائي والمتوسط والثانوي، وكل من
درسني في المرحلة الجامعية، وكل من تعلمت منه في مدرسة الحياة.

إلى سيدي الشيخ مولاي عبد الله الطاهري، والشيخ سيد الحاج احمد بلكبير، إلى
معلمي الشيخ مولاي عبد الكريم بن سيد المهدي حساني، إلى الدكتور الشيخ محمد
عبد الحق بكرأوي، إلى السيد المعتمد الشيخ زيراري والشيخ الحاج الطاهر بن
حمادي، إلى الشيخ المفتش ميزوري والشيخ الحاج أحمد حفاري، والشيخ سيد الحاج
محمد مخلوفي.

مقدمة

مقدمة

تعزى الأمم بما قدمته من إضافات نوعية وإسهامات فعلية للحضارة الإنسانية، هذه الإضافات تتأتى من لدن أشخاص امتلكوا المؤهلات الكافية التي ساهمت في قدرتهم على التأثير الفاعل بمجتمعاتهم، وتمكنوا بفضل ذلك من قيادة المشهد العلمي والإصلاحي بالمنطقة، وإبداء لمستهم ظاهرة للعيان، في حياتهم وبعد مماتهم.

إن ما يمكن الوقوف عنده مطولا في تصفحنا لكتاب الحضارة الإنسانية بمنطقة توات، هو ذلك الكم الهائل من الشخصيات التي استطاعت أن تتموقع في التاريخ وتفتك مكانتها عن جدارة واستحقاق، من خلال ما قدمته لمجتمعاتها بشكل خاص والإنسانية عامة في مجال العلم والفكر والإصلاح، انعكس على الأداء الحضاري لهذه المجتمعات، فأصبحت تنعت به ويشار لها بالبنان، متميزة عن غيرها من المجتمعات العالمية في العادات والتقاليد والأعراف والمعتقد، تميز أضفى عليها خصوصية ظلت سمتها الطاغية رغم تعاقب الاجيال عبر الزمن.

إن اختياري لموضوع الدراسة يندرج في إطار البحث في الجهود العلمية والإصلاحية، لشخصيتين هامتين عرفتهما منطقة توات خلال عقد الأربعينيات من القرن الماضي وأمتد تأثيرهما إلى غاية يوم الناس هذا، وهما، الشيخان مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، والشيخ محمد بلكبير، من خلال زاوية الأول ببلدة سالي والثاني بمدينة أدرار، وما تمخض عنهما من زوايا متفرعة تعتبر امتداد طبيعي لهما ومظهر من مظاهر تأثيرهما العلمي والحضاري عبر الوطن، ناهيك عن عمق تأثيرهما في المجتمع التواتي دينيا وثقافيا.

تحديد الموضوع:

يتناول الموضوع قيد الدراسة، الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ومحمد بلكبير.

الإطار المكاني للبحث يتمثل في منطقة توات بنواحيها الثلاث، توات الوسطى، قورارة، تيدكلت، باعتبار المنطقة احتضنت زاويتي الشيخين، وما تفرع عنهما من زوايا سليلية مثلت الامتداد الطبيعي لفكر الشيخين، من خلال خريجي الزاويتين، في حين حصرنا الإطار الزمني بالسنة التي تأسست فيها الزاوية الطاهرية ببلدية سالي 1944م، وسنة وفاة الشيخ محمد بلكبير.

دواعي اختيار الموضوع:

- اختياري للموضوع خضع لعدة دوافع جمعت بين الذاتية والموضوعية، تمثلت أساسا في:
 - الحيز الجغرافي للمنشأ الذي تميزه كثرة المدارس والزوايا الدينية، وما تحتله من مكانة في الوجدان المجتمعي، وتشكل الامتدادات الفرعية لهذه المدارس محور أساسي في حياتي العلمية؛ تمثلت أساسا في بداية تلقيني أجدية القراءة والكتابة في كتاتيب القرية محل السكن.
 - الاهتمام الكبير الذي يحظى به موضوع المدارس الدينية والزوايا في الجزائر، بعد العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر نتيجة ما يعرف بتصاعد مد الإسلام السياسي، شكل عامل مهم وموضوعي حرك فيا فضول البحث العلمي
 - محاولة التعريف بالشيخين ومعرفة العوامل المساعدة في تنشئتهما الشخصية وتكوينها، والدور الكبير الذي قاما به في المجال العلمي والإصلاحي في منطقة توات.
 - معرفة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة توات غداة ظهورها على الساحة العلمية، ومدى تأثيرها وتأثرها بهذه المعطيات، والتعريف بمدرتيهما من حيث تاريخ التواجد والطريقة والمنهج، وانعكاسات حركتهما العلمية والإصلاحية على المجتمع في المنطقة.

أهمية وأهداف الدراسة:

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يتناول، الجهود العلمية والإصلاحية لشخصيتين بارزتين رسمتا المشهد العلمي والإصلاحي لمنطقة توات بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة، وتمكنتا من المحافظة على هوية وثوابت المجتمع الجزائري الأصيل بالمنطقة، وجعلت من خصوصية وتميز المجتمع التواتي، جدار حماية في وجه التغيرات التي جاء بها التواجد الاستعماري الفرنسي اتجاه منطقة توات، شخصيتان عملتا على تعليم كتاب الله وتحفيظه وتدريبه، وتلقين التلاميذ في مدرستيهما تعاليم الدين الإسلامي، إلى جانب إمامة الناس في الصلوات، وتفقيهم في دينهم ودنياهم، من خلال الدروس اليومية، ناهيك عن التصدر للإفتاء في أمور الناس، وإصلاح ذات البين، وترسيخ مبادئ التكافل الاجتماعي.

هذا وتهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالشيخين، والوقوف على جوانب من مجهوداتهما في مجال العلم والإصلاح في توات، ومدى انعكاس ذلك على المجتمع في المنطقة، فترة التواجد الاستعماري الفرنسي والاستقلال وبناء الدولة الوطنية.

إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية التي بحثت فيها التعريف بأبرز الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مُجَّد بلكبير ومولاي أحمد الطاهري الإدريسي بتوات (1944-2000)م ؟
اندرجت تحتها إشكالات فرعية تمثلت أساسا في : ماهي مظاهرها ؟ نتائجها ؟ انعكاساتها على المجتمع في توات والجزائر؟ فيما تتمثل منابعها الفكرية، وما منهجهما في التعليم والإصلاح ؟
المنهج المتبع:

اعتمدت في دراستي للموضوع على المنهج التاريخي، وذلك بتوظيف أدواته المختلفة حسب ما اقتضته الحاجة، على غرار الوصف في التعريف بالشيخين مُجَّد بلكبير ومولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسبا ونشأة، والعوامل المساهمة في تكوين شخصيتهما، وجهودهما العلمية والإصلاحية، من خلال التعريف بمدرستيهما وطرق التدريس فيهما والمادة العلمية المدرسة والدفعات المتخرجة منهما والمدارس التي تفرعت عنهما، والتحليل والنقد استعملته في نقد المادة العلمية المتحصل عليها، خاصة عن طريق الشهادات الحية المسجلة والمقابلات، على ضوء المعلومات المتداولة، والمقارنة في المقارنة بين الطروحات المختلفة بخصوص مدى انعكاس حركة الشيخين العلمية والإصلاحية على منطقة توات، من خلال الظروف التي كانت تعيشها على جميع المستويات قبل وبعد ظهورهما على الساحة العلمية.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث الموسوم بـ " الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري والشيخ مُجَّد بلكبير (1944 - 2000)م " على مقدمة، وخمسة فصول دراسية مجزئة إلى مجموعة من المباحث والمطالب، تتوجها خاتمة، وتقعها مجموعة من الملاحق التوثيقية التي تخدم البحث وتدعم توضيحه كعوامل مساعدة لفهم المتن، وفي ما يلي إيجاز لمحتويات تلك الفصول :

يقنصر **الفصل الأول** المتعلق بـ " التعريف بمنطقة توات "، على عرض تمهيدي عن الموقع الفلكي والجغرافي لمنطقة توات وأقسامها الطبيعية، وما احتوت عليه من كتل عمرانية أهلة بالسكان والتي شكلت ما يشبه الأرخيل من القصور والواحات المتمركزة على ضفاف واد مسعود وتفرعاته، وما اشتملت عليه توات من خصائص طبيعية، إضافة للمحة عن أهميتها التاريخية التي ضمنتها جل الآراء التفسيرية لأصل تسمية توات، وما كان لهذه المنطقة من أهمية في المخططات الاستعمارية

وما ترتب عن ذلك من مقاومة شعبية للغزو الاستعماري الفرنسي، ومساهمة فعلية في الثورة على واقع الاحتلال فيما بعد، من خلال الدور المحوري لمشايخ المدارس الدينية والزوايا في التهيئة لكل ذلك.

ويتضمن **الفصل الثاني** "مولاي أحمد الطاهري الإدريسي وسيدي محمد بلكبير المولد والنشأة"، كل ما يتعلق بمولد الشيخين ونسبهما ومدى انعكاس ذلك على تكوين شخصيتهما، بالإضافة إلى الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بنشأتهما ودراستهما، وما للرحلة من دور أساسي في تحصيلهما العلمي وتكوينهما الفكري والمكانة العلمية والاجتماعية التي بلغاها في زمنهما وظلت محل تقدير واحترام إلى يوم الناس هذا.

أما **الفصل الثالث** المعنون بـ "الجهود العلمية للشيخين"، فقد تناولت فيه المدرسة الدينية تعريفا وهيكلية ومهاما بشيء من التفصيل، عكسته ميدانيا على مدرستي الشيخين ومدى توفر الشروط الموضوعية والضرورية للمدرسة الدينية فيهما.

وفي **الفصل الرابع** بعنوان "الدور الإصلاحية والجهادي للشيخين"، استعرضت من خلاله السياسة الاستعمارية الفرنسية بناحية الجنوب الجزائري الذي تشكل منطقة توات محل المدرستين جزء هام جدا منه، وإسهامات الرجلين في الحفاظ على شخصية وهوية المجتمع الجزائري بتصديهما للمخططات الاستعمارية، وما اضطلع به الشيخ بلكبير من دور محوري في بناء الدولة الوطنية المستقلة والقيمة المعنوية للشيخين من زاوية النخبة المثقفة قى البلاد.

وخصصت **الفصل الخامس** "قراءة في إنتاج الشيخ مولاي أحمد الطاهري العلمي"، للوقوف عند أهم مؤلفات الشيخ مولاي أحمد وما خلفه من مخطوطات حققت وطبعت في مجملها من قبل خليفته الشيخ سيد الحبيب بن عبد الرحمن رحمه الله ونجله وخليفته الشيخ مولاي عبد الله الطاهري، وقد أفردت فيه مطلب خاص بكتابه "نسيم النفحات من أخبار علماء توات وما بها من الصالحين والعلماء الثقات" لما له من قيمة تاريخية وعلمية تشكل إضافة نوعية للبحث.

وجاءت الخاتمة حوصلة للنتائج التي خرجنا بها من دراسة موضوع البحث، وما خلصنا له كتوصيات رأينا إنها ضرورية لمن يريد مزيد من البحث في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

في إطار بحثنا عن المادة العلمية التي تخص موضوع الدراسة، وقفنا على عدة دراسات علمية تناولت الموضوع، بشكل أو بآخر، كجزئية أو كموضوع رئيسي، أكاديمية منها أو كتابات شيوخ وتلاميذ، سلطت الضوء على شخصية الشيخين، ومجهوداتهما في مجال العلم والإصلاح، من خلال دراسات خاصة بالشيخين أو الزوايا والمدارس الدينية بتوات أو ما تعلق بالحياة العلمية والثقافية والاجتماعية، على غرار:

الدراسة التي قام بها بكر اوي مُحمَّد عبد الحق عن " المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي مُحمَّد بن الكبير "، وكانت دراسة أكاديمية مهمة جدا في التعريف بالمنهج المتبع من الشيخ سيدي مُحمَّد بل كبير في تعليمه للقرآن وعلوم الشريعة، وهي أطروحة دكتوراه في علوم الشريعة تخصص فقه وأصول، أبرز من خلالها الباحث الدور المحوري للمناهج الدراسية في تحديد القيمة العلمية للمدارس الدينية، وهذا ما ينعكس على مستوى التحصيل العلمي والإقبال أو الإدبار في الانتساب إليها، وقد أفادتني كثيرا في إضاح جوانب مهمة تتعلق بالمناهج والأساليب والطرق المتبعة لتحفيظ القرآن وتلقين علوم الشريعة في مدرسة الشيخ بل كبير، وأمهات الكتب المعتمدة في ذلك.

وقد كانت هناك دراسة قام بها مُحمَّد اسباعي عن " فتاوى الشيخ مولاي أحمد الطاهري -جمعا ودراستا- " في أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تحت إشراف: ماحي قندوز، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم العلوم الإسلامية تخصص: فقه مالكي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان: السنة الجامعية (2019-2020)م، دراسة تناول فيها الباحث بالجمع والدراسة الفتاوى الفقهية للشيخ مولاي أحمد الطاهري، وفق المذهب المالكي، ومن خلالها وقفت على الاجتهادات الفقهية لشيخ مولاي أحمد الطاهري بخصوص المستجدات الحياتية للمسلم في توات وغيرها، ومدى إلمامه بقضايا عصره.

وفي دراسة سوسيو انترولوجية قام رضوان لحسن بالوقوف على الدور التربوي والاجتماعي لزواية سيدي مُحمَّد بل كبير، في مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الانترولوجيا، تحت إشراف: مُحمَّد رمضان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم الثقافة الشعبية فرع: الانترولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان: السنة الجامعية (2004-2005)م، دراسة أخذت منحى

مختلف تماما عن سابقتها في إبراز الدور التربوي والاجتماعي لزاوية الشيخ بلكبير بشكل دراسة إحصائية تحليلية ميدانية، رسمت لي صورة جلية عن مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير، وخلصت لكونها نموذج لباقي الزوايا بتوات قد تختلف قليلا حسب الموقع الجغرافي والطابع السكاني.

أهم المصادر والمراجع:

استندت في البحث على المادة المعرفية عن الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري ومحمد بلكبير، على مجموعة من الأوعية المعرفية المخطوطة منها والمطبوعة والمقابلات الشفوية التي تخدم الدراسة نذكر منها :

- كتاب الشيخ مولاي أحمد الطاهري الموسوم بعنوان " نسيم النفحات من أخبار توات و من الصالحين والعلماء الثقات "، عالجت من خلاله عديد المسائل المتعلقة بظروف وملابسات حلول الشيخ مولاي أحمد الطاهري بتوات وتأسيسه لمدرسته الدينية، والمعطيات الموضوعية للمنطقة في تلك الفترة ومدى انعكاساتها على عطاءات الرجل العلمية والإصلاحية، وسبب مغادرته لأرض توات، إضافة إلى معلومات تخص الجانب الاجتماعي والتاريخي والجغرافي لتوات وما جاورها من البلدان، وقد أفردت لهذا الكتاب مبحث خاص في قراءة للإنتاج العلمي للشيخ كنموذج، وما لحظته في هذا الكتاب إنه خلاصة عامة للمسار العلمي والإصلاحي وحتى النضالي للشيخ بالجزائر، وقد عكس بجلاء الوضع العام في البلاد خلال الفترة الاستعمارية وبداية الدولة الوطنية، ويمكن اعتباره عربون محبة وإخلاص لأهل هذا الوطن الذي كان مشغلة استثماراته العلمية والإصلاحية، كل ذلك بطبيعة الحال من وجهة نظره التي لم أجدها تختلف كثيرا عن ما هو متداول بين أفراد المجتمع في توات، إذا ما استثنينا بعض الجزئيات والتفاصيل.

- كتاب الشيخ مولاي أحمد الطاهري " فتوحات ألاله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك"، الذي خصه فيه تلميذه وخليفته الشيخ سيد الحبيب بن عبد الرحمن العلوي بترجمة شملت جوانب من حياته، أفادني في هذا الجنب وفي التعرف على منهجه في الكتابة.

- الشيخ مولاي أحمد الطاهري في " كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجزوم" فيه ترجمة لحياة الشيخ عن طريق تلميذه الشيخ سيد الحبيب بن عبد الرحمن، هذا الكتاب شمل نفس الترجمة الواردة في كتابه السابق، وبالتالي لم يقدم إضافة بقدر ما عزز نفس المعلومات السالفة الذكر.

- الشيخ مولاي أحمد الطاهري " العقد الجوهري على النظم المسمى بالعقري"، ومن خلاله استطعنا رسم صورة عن طرق ومنهجية الشيخ في تناول موضوعاته على تنوع مجالاتها وألوانها.

- الشيخ مولاي أحمد الطاهري " عقد الجواهر والثالثي على نصيحة أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي"، وقد خرجت من خلاله بنفس الانطباع عن طرق ومنهجية الشيخ في الكتابة، التي تفرضها طبيعة الموضوع، فنجد أنه أحياناً يعتمد التبويب كما هو حاله في " نسيم النفحات " و " كتاب الدر المنظوم"، ويعتمد أسلوب الاسترسال كما هو حاله في كتاب " العقد الجوهري " و " عقد الجواهر والثالثي".

- كتاب تلميذ الشيخ مولاي أحمد وصهره، حساني عبد الكريم بن سيد المهدي، المعنون بي : الشيخ مولاي أحمد " فحص الدفاتر فيما خلف الشيخ من تلاميذ ومآثر " الشيخ مولانا أحمد الطاهر الإدريسي الحسني السباعي التواتي الجزائري (جهاد، تزكية وعطاء)، وهو عمل توثيقي كبير شمل جوانب كثيرة من حياة الشيخ، معتمداً فيه صاحبه وثائق على جانب كبير من الأهمية؛ تمثلت في مراسلات الشيخ الحبية والعلمية والتوجيهية، بالإضافة إلى جانب المعلومات التي يعرفها الكاتب من موقعه كما سلف وإن ذكرنا؛ تلميذه وصهره وشخصية تربوية مميزة واكبت بناء الدولة الوطنية.

- كتاب الشيخ مولاي التهامي غيتاوي الموسوم بعنوان " (الإشراق الكبير) في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله ورضي عنه "، أفادني في التعريف بالشيخ سيدي محمد بل كبير نسبا ومولداً ونشأة، وبحكم الكاتب من تلامذة الشيخ ومن مؤسسي إحدى المدارس السليلة لمدرسة الشيخ لم يترك جانباً من حياته إلا وقف عنده.

- الشيخ مولاي التوهامي غيتاوي في كتابه " سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحين إقليم توات"، توجد فيه ترجمة لحياة الشيخين مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بل كبير.

- نفس الشيء يمكن أن يقال عن كتاب " قطف الزهرات من أخبار علماء توات" لصاحبه الشيخ محمد عبد العزيز سيدي عمر.

- كما كانت لنا عديد اللقاءات والمقابلات مع من يخدمون البحث بحكم قربهم أو علاقتهم بالشيخين محل الدراسة، على غرار الشيخ مولاي عبد الله الطاهري نجل الشيخ مولاي أحمد، ومولاي عبد الكريم بن سيد المهدي حساني تلميذ وصهر الشيخ مولاي أحمد، والشيخ الحاج أحمد

بلكبير نجل الشيخ سيد الحاج بلكبير، والشيخ الحاج احمد حفاري عضوا هيئة التدريس بمدرسة الشيخ بلكبير، والشيخ الحاج الطاهر ولد حمادي زميل الشيخ بمدرسة سيدي أحمد ديدي تمنطيط، والشيخ المغيلي أحد تلامذة الشيخ مُجَّد بلكبير.

وخلاصة ما يمكن قوله إجمالاً عن هذه الأوعية المعرفية المعتمدة، أنها بقدر ما كانت قيمة معرفية عن الشيخين وما يتعلق بهما من عطاءات علمية وإصلاحية، كانت كتابات مريدين لا باحثين أكاديميين؛ قدمت في مجملها الجوانب المشرقة من حياة الشيخين، وقد تبقى جوانب كثيرة لم يسلط عليها الضوء ميدان خصب للباحثين.

صعوبات البحث:

مثل أي دراسة واجهت في إنجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات؛ سواء في رحلة إيجاد المادة العلمية أو في التعامل معها وتوظيفها، نظراً لكون العمل الأول يتطلب أحياناً الوقت والمال في حين يجب في المرحلة الثانية أن يكون الدارس على درجة من التكوين المنهجي إضافة إلى حسن الإطلاع والدراية بالدراسات السابقة، كل هذا يمكن تداركه من خلال توجيهات الأستاذ المشرف ومن سبقنا من الزملاء في ميدان البحث العلمي في هذه الحالة الثانية، ويبقى إشكال المرحلة الأولى قائم عند أغلب الباحثين.

في حالة بحثي اختلفت الصعوبات والعوائق التي وقفت في سبيل البحث عن المادة المعرفية؛ فهي متوفرة بشكل أو بآخر وأكثر من ذلك هي محل تداول في الوسط الجمعي التواتي وتشكل في الغالب جزء مهم من أدبياته وموروثاته الحضارية، فالشيخ مولاي أحمد الطاهري والشيخ سيدي مُجَّد بلكبير طبع منطقة توات بطابعهما الخاص، ورغم رحيلهما عن هذه الحياة مع اختلاف الزمان والمكان ضل ذكرهما قائم وملامح جهودهما العلمي والإصلاحي بادية للعيان لا يمكن طمسها، وبالنظر إلى ما بلغاه في المخيال الشعبي من مكان انعكس على الكتابات والشهادات التي تناولتهما بالوصف والتعريف، والتي أستحوذ على كثيراً منها تلامذتهما ومريديهما وحتى من لم يكن من هذا أو ذاك فإنه لم يجرء على الخوض في جانبهما البشري، في حين إن الدراسات الأكاديمية التي تناولتهم بالبحث والدراسة لم تشذ عن القاعدة رغم إن أغلبها كان بحث في المناهج والأساليب وما يتبعها من عوامل فنية وتقنية قد لا يكون للجانب الشخصي البشري أهمية محورية فيها، وبين هذا وانتمائي البيئي والاجتماعي وتنشئي وما لكل ذلك من ارتباط عضوي بمفهوم الشيخ،

مقدمة

المدرسة، الألقاب الاعتبارية، حال دون أن أتجرد من طابعي الإنتمائي وأخوض في الطابوهات، فتجدني لا أفصل الشخص عن لقبه العلمي والاجتماعي ولا انتمائه الإثني ملتزم بأدبيات مجتمعي التي قد تتفق أو تختلف حولها لكني أحترمها وأقف دونها، ولا أجد في ذلك حرج بل أعتز بمميزات وخصائص المجتمع الذي أنتمي إليه ولكل مجتمع مزاياه.

مسديا في الأخير جزيل الشكر والامتنان لكل من ساهم من قريب أو بعيد في إخراج هذه الأطروحة على هذه الصورة، وسهل عليا سبل الحصول على المعلومة وهياء لي الظروف الموضوعية للبحث، ومن وجهني لتوظيفها العلمي اللائق لتكون خير معين للباحثين والطلبة والمهتمين.

الفصل الأول

لمحة تعريفية عن منطقة

توات

المبحث الأول : الموقع والخصائص الطبيعية.

المبحث الثاني : لمحة عن تاريخ توات وأهميتها.

المبحث الثالث : التركيبة الإجتماعية.

الفصل الأول: لمحة تعريفية عن منطقة توات

تتجلى القيمة الفعلية للمكان في ما يذخر به من مؤهلات وإمكانات تشكل على الوجه العام مقوماته الحضارية، هذا العامل الذي يبرز مدى تموقع الكائن البشري الأهل له في المسار الحضاري للبشرية، وما يمكن أن يكون قد وصل إليه في مجال تحقيق الذات، هذه الصورة يمكن أن تنعكس من خلال دراسة معادلة الإنسان والطبيعة بتوات وما نتج عنها من إسهام حضاري يذكره التاريخ، نجد إن التنوع والتمايز الطبيعي والجغرافي تظهر تجلياته، في المعسكرات والتجمعات السكانية ومدى تجانسها مع المكان عبر الزمن وقيمة ذلك عنده لدرجة بلوغه منزلة أغلى من دمه وروحه، حتى سجل من خلال الذود عن حماه ملاحم ارتقت لمصاف الأساطير جعل منها التاريخ معطى معرفي يقدمه للأجيال كشاهد على تضحيات الأجداد، ثم لم يغلى على أرض شكلت سنم العرض.

من هذا المنطلق حاولنا خلال الفصل الأول التمهيدي لدراستنا هاته الوقوف على جوانب جعلت من توات تلکم الحاضرة العلمية والثقافية والحضارية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، في مباحث هذا الفصل الثلاثة تناولنا الموقع والخصائص الطبيعية التي أسبغت على توات صفة التميز والاختلاف بين أرجاءه، ثم استعرض مختلف الآراء والروايات المتواترة التي أشارت إلى الأصل في تسمية توات، بالإضافة إلى أهميتها عبر التاريخ؛ ونخص بالذكر المد الاستعماري الفرنسي نحوى الجنوب الجزائري، الذي رأت فيه إدارة الاحتلال مجال حيوي يبدأ من عنده أمن المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، ولا بد من إخضاعه لسلطة الاحتلال للقضاء على القواعد الخلفية لأي تمرد ممكن، ومن ناحية أخرى ربط أقاليم إفريقيا جنوب الصحراء التي تدخل في إطار النفوذ الفرنسي بنظيرتها في شمال القارة، مما يسهل عملية التحكم فيها وإدارتها بالشكل الأمثل، وهذا ما لاحظناه بجلاء في مشروع المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية فيما بعد، هذه الرغبة في توسيع الاحتلال باتجاه الأقاليم الجنوبية للجزائر جوهت بمقاومة شعبية باسلة أبرزتها في هذا الفصل، إلى جانب

مشاركة سكان توات في الثورة التحريرية إلى غاية تحقيق الاستقلال، ومدى مساهمة الشيخين في كل ذلك، وأخيرا إعطاء صورة مبسطة عن التركيبة الاجتماعية التي تعتبر المحور في هذا المشهد.

المبحث الأول: الموقع والخصائص الطبيعية.

المطلب الأول: الموقع الفلكي والجغرافي لتوات.

تحدد "توات" فلكيا في المنطقة الواقعة بين خطي طول 01 درجة شرقا و04 درجة غربا، وبين دائرتي العرض 26 إلى 30 درجة شمالا، هذا الامتداد الكبير يتيح لنا التمييز بين ثلاث نواحي إلى أربع مختلفة في الطابع التضاريسي ومتفاوتة ديمغرافيا، يطلق عليها اصطلاحا توات¹.

يمكن تحديد "توات" كحيز جغرافي، في الموقع الذي يتوسط شمال الصحراء والساحل الإفريقي، وقد اختلف المؤرخون في رسم معالم توات، فمنهم من يعتبرها تبدأ من الناحية الشمالية بتسايت وقصورها المتعددة²، كما يحددها البعض على إنها تمتد من تيلكوزة بتتركوك شمال تيميمون 70 كم، إلى عين صالح جنوبا³، في الوقت الذي أقصرها البعض على القصور المترامية بين بودة شمالا وورقان جنوبا⁴.

مع كل ذلك يمكن تحديد توات جغرافيا بالمنطقة التي يحدها شمالا واد الساورة وجنوبا رق تنزروفت، وشرقا واد أمقيدن، وغربا عرق الشاش⁵.

1 - مُجَّد حوتية: توات والأزواد خلال القرنين 12هـ و13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص28.

2- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ماء الموائد، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج01، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2016م، ص79.

3- مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص10.

4- ينظر: A.G.P.MARTIN: **Quatre siècles d'histoire marocain**, france: Librairie fêlix Alcan, 1923 ,p10.

5- مُجَّد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج01، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص09.

تعرف توات بتربعها على ثلاث نواحي إلى أربع كما سلف الذكر، متباينة جغرافيا ومتفاوتة من حيث التعداد السكاني؛ الذي تدخلت عدة عوامل في توطنه سنوردها في حينها، هي قورارة في الشمال وتوات الوسطى وتيدكلت في الجنوب الشرقي وهناك من يزد عليها صحراء تنزروفت إلى الجنوب¹.

أولا: قورارة.

وهي مصطلح أمازيغي يعني التجمعات السكانية أو المعسكرات أو المخيمات²، تقع على مسافة عشر مراحل من تلمسان في واد ينحدر من الغرب إلى الشرق، ذات كثافة سكانية عالية مستبحرة في العمران قصورها كثيرة تقارب المائة تسمى تيكورارين³، كما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى وقوعها شرق تساييت بنحو 120 ميلا، في شكل حدائق من النخيل وأرض صالحة للزراعة إذا ما تمت معالجتها، سكانها يقطنون في عدد كثير من القصور والقرى⁴، هذا وقد ورد في مصادر أخرى إن تيكورارين في شرق تساييت قصورها تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق⁵.

ومن خلال الإشارات الواردة في المصادر عن قورارة يمكن تحديد موقعها شمال توات يحدها العرق الغربي الكبير من الشمال والشمال الشرقي، وهضبة تادمايت جنوبا، والمجرى الشرقي لواد الساورة من الجهة الشرقية، ممتدة من تينركوك شمالا إلى أوقروت جنوبا

1- مُجَّد حوتية: المرجع السابق، ص28.

2- الصديق تياقة: نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار: 14 أبريل 2009م، ص109.

3- عبد الرحمان بن مُجَّد ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج07، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص77.

4- الحسن بن مُجَّد الوزان: وصف إفريقيا، ط2، ج02، تر: مُجَّد حجي ومُجَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص134.

5- مُجَّد بن عمر الجعفري البداوي: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة بن حسان، تيبلان، أدرار، ص08.

على طول هذا الامتداد تتموقع قصور قورارة، في شكل أرخبيل من الواحات التي يغطيها النخيل ويغلب عليها الطابع الفلاحي التقليدي المعاشي، الذي على ما يبدو ظل صامدا أمام نظيره الاستثماري التجاري، وإيكم بتفصيل القصور التي تشتمل عليها كل ناحية من نواحي قورارة.

1) قصور ناحية تينركوك:

هي ناحية محاذية للعرق الغربي الكبير بالقرب من واد امقيدن، تعتبر بوابة لتوات على ناحية المنيعه والبيض، مما أهلها أن تكون مسرح لسجل تاريخي ضد المستعمر الفرنسي في ما يعرف بمعارك العرق الغربي الكبير (1957-1962م)¹، معقل من معاقل قبائل زناتة قبل أن تجليها إحدى قبائل بني عامر العربية، التي حل بها شيخها علي بن مسعود المحرزي قادما لها من تونس بغية نشر العلم والمعرفة هاته القبيلة تعرف بقبيلة المحارزة بدءا من القرن الحادي عشر الهجري²، نذكر من قصورها : زاوية الدباغ، فاتيس، تابلكوزة، عين حمو، قصر قدور، تعنطاست.

2) قصور ناحية أولاد سعيد:

تكتسي أهمية كبيرة في توات وغيرها، بالنظر لما عرف عنها من شخصيات علمية طبعت المشهد العلمي لحواضر توات، مشكلة بيوت علمية يشهد لها على غرار الجازولين وأولاد القاضي، من أبرز قصورها : الحاج قلمان، كالي، أغلاد، إغزر، الشيخ.

1- عبد الرحمان محرزي: هاشمي أمجد بن أحمد وصفحات مشرقة من تاريخ الثورة التحريرية بولاية أدرار، منشورات جمعية مشعل التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرغاية، الجزائر، 2014م، ص13.

2- أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ / 18م، رسالة ماجستير غير منشورة، تاريخ عام، تخصص: التاريخ المغاربي الاجتماعي والاقتصادي، إشراف: أمجد حوتية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2011-2012م، ص04.

3) قصور ناحية تميمون:

محور منطقة قورارة وعصب الحياة فيه، فهي بحق قاعدة قرى قورارة¹ والمكان الأكثر جزبا للسكان، كثيرة الحركة حيوية بسكانها وأسواقها وموروثها الثقافي، سكانها مزيج من أجناس مختلفة²، بعضها يتكلم اللسان العربي الدارج وآخرون يتكلمون باللسان الأمازيغي الزناتي، يشتهر بعض سكانها بحفر الآبار في الصحاري والقفار³ لعابري السبيل، ممن يجوبون الفيافي بغية الرعي أو التنقل المختصر بين التجمعات السكانية المترامية الأطراف هنا وهناك.

نذكر من قصورها : ماسين، بادريان، تيليوين، بباعده، سموتة، تالنت، تاغيارت، أومراد، فرعون أومسعود، قصبه الكاف، تين جلات، بني مهلال، الوجدة، تاورسيت، زاوية سيدي الحاج بلقاسم.

4) قصور ناحية شروين:

قصورها متعددة في شكل غوطات فلاحية مأهولة سكانيا على غرار : أجدير الشرقي والغربي، آت عيسى، تبو، تاسفاوت، تاوريحت، لحر، آجتور، تينكرم، تاويرت، تاجليزي.

5) قصور ناحية طلمين:

أهم قصورها: تعربين، تاغوزي، الساقية، عين جلو، نعمة.

6) قصور ناحية أوقروت:

كثيرة النخيل معدودة من بلاد تجورارين وقد ورد أسمها أوكرت⁴، من أهم قصورها : دلدول، توكي، تبرغامين، تالة، تنقليل، سيدي عبد الله.

1- عبد الرحمان بن إدريس التتلاي: الرحلة من توات إلى الجزائر، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص01.

2- الحاج ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي، تر: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط02، ج02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص257.

3- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، ط01، تح: مولاي عبد الله الطاهري، مطبعة مداد، الجزائر، 2012م، ص218.

4- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج01، ص81.

7) قصور ناحية المطارفة:

ترتبط ناحية قورارة بتوات الوسطى ذكرت في المصادر التاريخية بإسم الدغامشة والدرامشة والدغامسة وكذلك الدغامشة معروفة بقراها الكثيرة¹، على غرار : أولاد محمود، أولاد راشد، أولاد علي لقراشة، الساهلة، أوفران كبرتن.

ثانيا: توات الوسطى.

تشمل في مجملها المنطقة الممتدة من قصور تسايت شمالا إلى غاية آخر قصور رقان جنوبا، استمدت أراضي توات اسمها منها وسبغت بسمها كل نواحي توات. وباعتبارها البيئة الجغرافية والتاريخية للشيخين قيد الدراسة؛ فإننا سنحاول تسليط الضوء عليها بشكل كبير مقارنة بغيرها، خصوصا ما تعلق بالنواحي التي احتضنت المدرستين المعلمين للشيخين، وقد أوقفت الدراسة في هذا الجانب على الناحية الجغرافية الإدارية الحالية للدائرة مقر مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري ومدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير.

1) قصور ناحية تسايت:

بوابة منطقة توات الوسطى من الشمال، تتداخل مع قصور قورارة في ناحية أوقروت من الجنوب، تعتبر من النواحي الكثيفة السكان تنبت أرضها التمر والشعير²، من أهم قصورها : عريان الراس، برينكان، حماد، لعباد، أوجلان، لمعيز، الهبله، لقصابي، بن طلحة، أسبع، القرارة.

2) قصور ناحية بودة:

ناحية كبيرة ذات أرض رملية تتخللها سباح وواحات من النخيل تمرها كثير ليس بطيب³، مسقط رأس الشيخ سيدي محمد بلكبير، قصورها عديدة تتوزع بين ما يعرف ببودة التحتانية

1- أبو سالم العياشي: المصدر السابق: ج01، ص81.

2- الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج02، ص133.

3- محمد بن عبد الله ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، ج04، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م، ص279.

والفوقانية، وهي كمايلي: القصيبة، الغمارة، الغماريين، باخلا، زاوية الشيخ بن عمر، أنيلو، بن دراعو، زاوية سيدي حيدة، بني وازل، المنصور، أولاد إعيش.

(3) قصور ناحية تيمي:

عرفت بدورها المحوري في الحياة التواتية لما اشتملت عليه من الخصائص من بينها كونها كانت في القرن 12 هـ الموافق للقرن 18 م محل الحل والعقد ومجتمع الحرب والسلم¹، تتبادل الريادة مع عين صالح وتيميمون، عرفت تاريخيا بأسواقها العامرة محج الناس من كل الجهات²، قصورها معروفة بالعلم والمعرفة وكثرة الصالحين ذاع صيتها عبر كامل قصور توات وخارجها، على غرار: تينيلان، أولاد أوشن، ملوكة، كوسام، المهديّة، اولاد أنقال، بني تامر، أدغا، ميمون، وينة، بربع، أوقديم، المنصورية، اولاد ابراهيم، تاريدان، اباعبد الله الفوقاني والتحتاني، اولاد عيسى، أولاد عروسة، أولاد بوحفص.

(4) قصور ناحية تمنطيط:

من حواضر توات الأكثر عمراناً وتجاراً، والطريق التجاري الأكثر جذبا لقوافل التجار الذاهبة والقافلة من بلاد السودان بعد تحولها عن طريق بودة³، وتعد قاعدة هامة من قواعد منطقة توات، شملت العلم والولاية والإمارة والديانة والرياسة، أسواقها عامرة بالبضائع والتجار دروبها أو أزقتها اختص كل منها في حرفة أو صنعة، جعل منها محج الكل لايكاد يستغني عنها غني ولازاهد⁴، تقع تمنطيط جنوب تيمي على مرتفع صخري يجاور حوض سبخة تحيط بها بساتين على شكل واحة من النخيل، تعلوها سلسلة من القصور المتصلة بنيانا والمتلاصقة عمراناً بالغة في مجملها عدد أيام السنة ثلاثمائة وستة وستين قصراً يحل الضيف كل يوم على مدار أيام السنة⁵، ذاع

1- أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص 07.

2- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص 105.

3- عبد الرحمن ابن مُجَّد ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 77.

4- مُجَّد الطيب بن عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخرانة الحاج مُجَّد بكرابي، زاوية سيد البكري، أدرار، ص 02.

5- مُجَّد الطيب بن عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): المصدر السابق، ص 02.

صيتها بين الحواضر الإسلامية وتوات ذكرها في كثير من المصادر التاريخية؛ بسبب الإشكال الذي طرح نفسه بين العلماء المسلمين والمتمثل في سيطرة أهل الذمة على مقدرات البلاد وطبعهم لها بطابعهم المميز بالبيع بدل الصوامع، وإفتاء الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ / 1503م) بضرورة تهديم بيع اليهود وإجلائهم عن البلاد.

زيادة على قصورها المحلية تمتد عبر قصور محيطية نذكر منها : زاوية سيدي البكري، أولاد الحاج ما مون، بالحاج، توكي، بوفادي، أبناكور، أنكير، نوم الناس.

(5) قصور ناحية فنوغيل:

تعرف بزواية السي عبقادر، الإسم الذي سبغ الناحية ككل، وهو تعبير ضمني لأسم قصرها الضارب في القدم المتمثل في زاوية سيدي عبد القادر الكنتي¹، وقصورا أخرى لاتقل عنه شأننا نذكر منها: باعمور، تسفاوت، أعباني، عزي، سيدي يوسف، أولاد برشيد، العلوشية، بن هني، ودغة، قسبة أولاد مولاي لحسن، قسبة أولاد مولاي بوفارس، إضافة إلى قصر بويجيا، الجديد، لحر، إكيس، تماسخت، غرميانو، تيطاف، أغيل.

(6) قصور ناحية زاوية كنتة:

حاضرة الزاوية الرقادية وقاعدة توات الحنة، تعرف بكثرة قصورها على غرار: مكيد، تيوريرين، زاقلو، بوحامد، أولاد الحاج، المناصير، تاخفيفت، تازول، مكرة، زاوية الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغلي، بوعلي، أغرما ملال، أظوى.

(7) قصور ناحية آنزجمير:

يشتهر أهلها بحبهم للعلم والعلماء، تشتمل بالإضافة إلى قصر أنزجمير قصر بوانجي وتمتد عبر قصر المحفوض إلى تيدماين، وأوغزير، الخلفي، زاوية بلال، تيطاوين الشرفاء وتيطاوين المرابطين، تيلولين الشرفاء والمرابطين؛ وهي أكثر القصور كثافة سكانية.

1- أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص 08.

(8) قصور ناحية رقان:

تقع ناحية رقان في أقصى الجنوب الغربي للوطن على بعد 150 كم² من مقر عاصمة الولاية أدرار، باتجاه الجنوب عبر الطريق الوطني رقم 06 تتربع على مساحة تقدر ب 140981 كم² أي ما يعادل 31,76 % من إجمالي مساحة توات الكبرى، مما يجعلها تحتل الريادة من حيث المساحة¹.

يحدّها من الشمال قصور ناحية انزجمير، ومن الجنوب صحراء تانزروفت، ومن الشرق منطقة تيديكلت، ومن الغرب ولاية تندوف، وجمهورية مالي.

لموقع رقان أهمية إستراتيجية وخصائص حيوية، تجمع بين ميزات نادرة، استمدتها من موقعها في منطقة توات فهي جسر اتصال وموقع التقاء بين ما يعرف بالسودان الغربي وشمال القارة الإفريقية، وممرًا حيويًا لطرق القوافل التجارية منها والحجازية².

يتميز السطح التضاريسي لموقع رقان الجغرافي، بملامح صحراوية بارزة تغلب على طابعه التضاريسي، متمثل في³ :

-الرق: وهو امتداد صحراوي شاسع يتميز بالانبساط على شكل سهول حصوية، أو أحواض منخفضة ملأها السيول الجارفة للوديان بالرواسب الصخرية، خاصية الانبساط وسهولة مسالكها، جعل منها عامل مساعد، للإنسان أن يشق فيها مسالكه وطرقه التجارية، التي كان رقان يمثل إحدى محطاتها الهامة، وحسب بعض الروايات المتداولة يرجع إسم رقان إلى مثنى رق فهي تجمع بين رق تنزروفت ورق تيدكلت.

-العرق: وهو مرتفع رملي واسع الأطراف يصل ارتفاعه أحيانا بين 260 و500م، وتنتشر هذه الكتبان الرملية على شكل سلسلة طويلة تختلف في طول امتدادها من مكان لآخر وقد تمتد

1- بلدية سالي: الأمانة العامة.

2 - مُجَد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص32.

3- مُجَد الهادي لعروق: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 1998م، ص14.

لكلومتزات، ونجدها في الغالب تحافظ على نفس الاتجاه مما يرجح القول المتواتر على أنها عروق وديان جفت مع مرور الزمن.

وفي العموم فإن الموقع الجغرافي لناحية رقان يشكل منخفض؛ لأنه عبارة عن حوض واسع تسيطر عليه الأراضي المنخفضة، التي تغطي القاعدة القديمة التكوينية بتشكيلاتها الصخرية والجيرية والقارية والكثبان الرملية.

تاريخنا ترجع بعض المراجع والأبحاث أصل كلمة رقان إلى أنها اللفظ الأمازيغي لعجوز الإبل أو الجمل الكبير؛ ويعتقد أن الجمل الذي كانت تمتطيه تنهان ملكة الطوارق أثناء عبورها المكان مات هناك فسمي المكان بهذا الاسم، وكتابته بكاف معقودة¹، أو كما سلف وإن ذكرنا بأنه مثنى مظهر من المظاهر التضاريسية المسيطرة عليه والمتمثلة في الرق.

وبالنظر لوقوع رقان على حافة واد مسعود؛ الذي يعتبر امتداد طبيعي لواد الساورة، من ناحية الجنوب اعتبارا من فم الخنق، وواد الساورة يعتبر نقطة تلاقي واد قير مع واد زوسفانة بمنطقة فقيق ويتجه جنوبا ليطلق عليه واد الساورة ويتجه غربا ثم جنوبا ليسمى واد مسعود ويكون سبخة بمنطقة تسفوت ويتجه بعد ذلك إلى رقان²، إلى أن يضيع في سبخة رقان أو ما يعرف بصحراء تنزروفت، نجد كملاحظة أولية أن واحات المنطقة تتوضع على سفوح الضفة الشرقية للوادي أو السبخة وتنزل أحيانا بشكل أكثر أو أقل إلى وسط السبخة مشكلة سلسلة من الواحات تعتبر في الغالب بساتين مزروعة بالنخيل وبعض الأشجار الصحراوية، كالنبق... وغيرها، مما ساهم في بعث حياة إنسانية متميزة جعلت من المنطقة محط إعجاب كل من مر بها أو حط بها زائرا.

1 - مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ص22.

2 - الشيخ مولاي التهامي بن سيدي مُجَّد غيتاوي: لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، ط2، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013م، ص55.

المعروف في الأوساط الشعبية للمنطقة وما جاورها أن الواحات المشكلة لناحية رقان هي محطات عبور للقوافل العابرة للصحراء باتجاه منطقة السودان الغربي ومنها إلى الشرق أو الشمال أو الغرب الإفريقي، وهذا العامل هو العنصر الأساسي في تشكل الطابع التعمري لمنطقة توات بجهااتها الثلاثة، تديكلت، توات، قورارة، حيث فضل بعض التجار المارين بالمنطقة الاستقرار بها والاستثمار في ربوعها التي كانت معطاءة، فشكّلوا تجمعات سكانية متناثرة هنا وهناك على طول طرق القوافل العابرة للصحراء بمحاذات السفوح الشرقية وسبخ واد مسعود، فقاموا ببناء القصور أو ما يعرف بالتجمعات السكانية، وحفروا الفقاقير¹، وأجروا السواقى، وأنشؤا البساتين وبرعوا في غرس النخيل وزراعة ما يساعدهم على العيش، وتفننوا في ذلك إلى أن تجاوزوا مرحلة الزراعة المعاشية الاستهلاكية المحلية إلى تصدير الفائض؛ عن طريق مقايضته لدى التجار العابرين عبر القوافل، أو القفول به من خلال تجار المنطقة إلى السودان الغربي أو الاتجاهات الأخرى حسب الطلب.

وتذكر المصادر إن واحات سالي؛ وهي إحدى حواضر منطقة توات وناحية رقان والتي عرفت بازدهارها التجاري والعلمي، حيث كانت ولا زالت منارة إشعاع علمي وثقافي كبير ساهم في الثراء الحضاري لمنطقة توات، قد استوطنت بها قبيلة أولاد موسى وقبيلة أولاد عبو 609هـ، وكوزا في مراحل تشكلها الأول²، وأسس بها الولي الصالح الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي زاويته القرآنية التي ماتزال شامخة تنير دروب هذه الربوع ومقصد لطلبة العلم والمعرفة الربانية. وقد أصبحت المنطقة شعلة من النشاط التجاري انعكس على مختلف مناحي الحياة لسكانها، الشيء الذي أهلها للقيام بدور رائد في الحضارة التي عرفتها منطقة توات. يسكن ناحية رقان كدائرة حوالي 27804 نسمة بكثافة سكانية لا تتجاوز في أحسن الأحوال 0,19 في 1 كلم² حسب إحصاء سنة 2008م، يتوزعون على بلديتين هما³:

1 - مُجَّد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 83.

2 - بلدية سالي: المصدر السابق.

3 - نفسه.

(أ) **بلدية رقان:** وهي مقر الدائرة بها عشرة قصور هي، (انزقوف، آيت المسعود، النفيس، تيمادنين، تعرايت، تينولاف الجديدة، تينولاف القديمة، زاوية الرقاني، تاوريرت، ازراويل).

(ب) **بلدية سالي:** تتشكل من ثلاثة عشر قصرا داخليا وسبعة قصور خارجية تتمثل في:
- القصور الداخلية: وهي مجموعة القصور المكونة للمقر الإداري للبلدية ويطلق عليها مجتمعة إسم سالي ولا ينفرد أيا منها بهذه التسمية وتشمل، (قصر مولاي العربي، قصر الجديد، قصر مولاي عبد الواحد، قصر سيد الشريف، قصر العلوشية، قصر محارزة، قصر المنصور، قصر برماته، قسبة باب الله، قسبة مولاي علي، قسبة النجار، قسبة الجنة، اتزيرية).

- القصور الخارجية: وهي القصور التي انضمت إداريا إلى سالي كبلدية وهي، (تينورة، قصر بريش الفوقاني، قصر بريش التحتاني، قصر باحو، قصر ميمون، قصر زاوية الحشف، قصر المستور).

إن هذا التواجد المكثف للقصور والواحات، يؤكد أهمية هذه الناحية من حيث الكثافة السكانية وما ينتج عنها من نشاط تجاري وزراعي وحرفي وحتى رعوي يعكس المظهر الحضاري للمنطقة، التي لطالما وصفت بجنان فوق الأرض وبالواحات الخضراء، وشكلت المكان المواتي للسكن عبر العصور ولا تزال أهلة بالسكان، عكس ما ادعته فرنسا الاستعمارية غداة ارتكابها لجرائمها الإبادية النووية.

ثالثا: منطقة تيديكلت:

تقع منطقة تيديكلت شرق منطقة توات الوسطى، يحدها من الشمال هضبة تادمايت ومن الناحية الجنوبية هضبة مويدر، يتخللها واد أقرابا أحد روافد واد مسعود من ناحية الجنوب الغربي، أهم القصور التي تستحوز عليها يمكن تحديدها حسب النواحي المختلفة التي تشتمل عليها.

1) قصور ناحية أولف:

ناحية ضاربة في القدم تقع في نهاية منخفض هضبة تادمايت إلى الشرق من ناحية رقان، لها مكانتها في البلاد التواتية وخصوصيتها التي ميزتها عن باقي النواحي الأخرى، الشيء الذي أهلها أن تكون إحدى حواضر منطقة توات وقواعده الأساسية، يرجع تاريخ إعمارها لسنة

164هـ الموافق 781م¹، وقد ذكر عديد المؤرخين والرحالة على أنها بلدة طينية تتميز بأسوارها، وكثرة بساطينها ونخيلها المثمر ووفرة مياهها العذبة التي تستخرج بطريقة الفقاقير وتوزع حسب النظام العجيب في باقي بلدان توات عن طريق الكيال، يعتمد سكانها من الأسر النيلية على الخدم في القيام بشؤون الحياة اليومية، مما يجعلها بلدة رئيسية ومنتفذة في واحة توات، والسلطان فيها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، وله سلطة توقيع العقوبة والسجن، ويمتلك الخيول والرجال ولا يملك بيت للمال²، وفي ذلك معطى بياني يؤكد تبعية الناحية لجهات سلطوية أعلى إلى جانب تمتعها بما يشبه الاستقلال الذاتي في مجال التسيير، ومن أهم قصورها: زاوية حنون، قسبة بلال، عمات، قسبة ميخاف، الركينة، الجديد، تقرارف، قسبة حبادات.

(2) قصور ناحية تمقطن:

الناحية الأكثر كثافة سكانية تتميز بقصورها المتعددة، مما حتمي لمنطقة تيدكلت في القرن 12هـ يعبره التجار والزوار والطلبة والحجيج³، من أهم قصورها: أولاد مولاي رشيد، المرقب، قوقو، عين بلبال، مطريون.

(3) قصور ناحية تيط:

ناحية محدودة جغرافيا وسكانيا، تسبح فوق بحرا من الرمال على جانب الجهة السفلية لهضبة تادمايت شمال شرق ناحية أقبلي، فيها بالإضافة إلى قصر تيط قسبة الشرفاء، هذان القصران يمثلان مجموع المجتمع القصورى للناحية.

(4) قصور ناحية أقبلي:

تقع في سهل منبسط بالناحية الجنوبية لمنطقة تيدكلت، نقطة رئيسية ومحطة هامة في مسار طرق قوافل الحجيج القادمين من بلاد السودان الغربي، الشيء الذي أنعكس بشكل إيجابي على نشاطها كسوق تجارية حظيت بمكانتها الهامة بين تلك البلاد وتوات، ناحية أقبلي تشكل في

1- مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ج2، ص333.

2- الحاج ابن الدين الأغواطي: المصدر السابق، ص257.

3- عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني: المصدر السابق، ص03.

مجموعها أرخبيل من القصور المحاطة بالرمال والغاصة بالسكان من مختلف الأنساب على غرار الكنتاويين والعقباويين، والعرب الهلاليين، والشرفاء البريشيين العلويين والموالي الصالحيين¹، يتوزعون على القصور التالية: ساهل، عرق الشاش، المنصور، زاوية سيدي بونعامة وهي أهم قصور ناحية أقبلي تأسست سنة 1137هـ الموافق 1725م على يد الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة؛ الذي أعاد بعث فريضة الحج من بلاد توات والتكرور² حتى سمي بشيخ الركب النبوي، بحيث جعل من زاويته محطة التقاء لحجاج بلاد توات وبلاد التكرور ذهابا ونقطة إفتراق ووداع بعد العودة من الحج أيابا.

(5) قصور ناحية إينغر:

هي دلالة تعبيرية للمكان المنخفض أو الشعبة³، نقطة التقاء تيدكلت الغربية والشرقية في منحدرات هضبة تادمايت، على شكل واحات من النخيل تتخللها قصور، ذاع صيتها في مرحلة المد الاستعماري الفرنسي باتجاه الجنوب الجزائري؛ حيث كانت مسرحا لمجابهات عنيفة بين السكان بمساندة من أهالي توات وقوات المحتل الفرنسي في مقاومة ضارية سجلها التاريخ ولم ينساها الضمير الجمعي بتاريخ 19 من شهر مارس سنة 1900م⁴، نذكر من قصورها: السبخة، أقبور، لكحل، مليانة، الشويطر.

(6) قصور ناحية عين صالح:

قاعدة منطقة تيدكلت الرئيسية ومحورها الفاعل علما وسلطانا واقتصادا وثقافة، ذكرت في بعض المصادر التاريخية على أنها خارج نطاق الأراضي التواتية⁵، تمر عبرها طريق ركب الحجيج

1- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص135.

2- أبو عبد الله الطالب محمد البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ط01، تح: إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص26.

3- محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج01، ص18.

4- دحمان تواتي وأخرون: دور اقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956 _ 1962م، دار الشروق لطباعة والنشر، الجزائر، 2008م، ص12.

5- الحاج بن الدين الاغواطي: المصدر السابق، ص258.

المنطلقين من زاوية أبي نعامة صوبها عبر طريق الغابة¹، كثيرة القصور تتخللها كماثلاتها من نواحي أراضي توات واحات النخيل الباسقة؛ وذلك لتوفرها على مخزون هائل من المياه الباطنية تتفجر من خلالها عيون وأبار، تشتمل ناحية عين صالح على عديد القصور على غرار: قصر العرب، أولاد الحاج، الدغامشة، البركة، حاسي لحجار، الساهلة، إيقسطن، فقارة لعرب، فقارة الزوى، الزاوية.

المطلب الثاني: الخصائص الطبيعية والمناخية:

يغلب على توات الطابع الرملية الذي يعكس بجلاء طابعها التضاريسي الغالب²، الذي يستحوذ على أحد أكبر العروق المتمثل في العرق الغربي الكبير إضافة إلى عرق الشاش وعرق إقدي، إلى جانب مظهر تضاريسي مختلف يتمثل في هضبة تادمايت³ في الناحية الشرقية، هذا وقد أشرنا إلى بعض المظاهر التضاريسية في الجانب المفصل عن ناحية رقان فيما سبق.

الطابع التضاريسي للمنطقة انعكس طرديا على العامل المناخي السائد المتمثل في المناخ الصحراوي الجاف، المتميز بمداه الحراري الشاسع نتيجة الارتفاع الكبير في درجة الحرارة صيفا والبرودة شتاء، مع تراجع سنويا مقدر ب 25 ملم في تساقط الأمطار، مما سمح بهيمنة فصل الصيف والشتاء على باقي الفصول الأربعة للسنة، ويعود سبب ذلك إلى قرب موقع أراضي توات الفلكي من مدار السرطان، وما يترتب عن هبوب رياح السيروك المعروفة بارتفاع حرارتها⁴.

لاشك أن المعطى التضاريسي والمناخي لتوات يبدو بوضوح في الطابع الغالب على الغطاء النباتي، الذي تغلب عليه مجموعة نباتية تملك القدرة على تحمل تلك الظروف المناخية والتضاريسية القاسية من جفاف ودرجة حرارة مفرطة، على غرار النخيل والأشجار الشوكية المختلفة، هذا بالإضافة إلى بعض الشجيرات الموسمية المنتشرة عبر ممرات الوديان.

1- عبد الرحمن بن عمر التنبلياني: الرحلة الحجبية، مخطوط بجزانة بن الوليد، قصر با عبد الله، تيمي، أدرار، ص 03.

2- ابو سالم العياشي: المصدر السابق، ج 01، ص 107.

3- مُجَدُّ الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 12.

4- أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص 13.

هذه الظروف الصعبة والقاسية طبعت الإنسان التواتي وهذا من الطبيعي باعتبار الإنسان ابن بيئته وما هو إلا انعكاس لمحيطه، وحاجة الإنسان التواتي لتوفير الظروف الملائمة للحياة دفعته إلى اختراع طريقة عجيبة غريبة في استخراج المياه وتوزيعها بنظام ري مدهش يعرف بالفقارة¹، هذا النظام تحدثت عنه المصادر وأشارت له في العديد من المواطن في سياق حديثها عن توات وأهلها وأساليب حياتهم².

هذا وتتميز توات بكثرة وديانها التي تغذي أراضيها بالمياه³ خصوصا الجوفية منها التي تشكل مخزونا إستراتيجيا للبلاد، وبالنظر لطابعها الفجائي والغير منتظم التدفق فقد عانت منها توات كثيرا عبر الزمن، بحملات طوفانية لاتبقي ولاتذر، تسببت في كثير من الأحيان في هلاك عديد القصور، إلا أن هذه الخاصية توارت عبر الزمن بسبب تطور أساليب إستغلال المياه في المملكة المغربية التي تعد منبع لأحد هته الأودية، مما تسبب في معاناة عكسية تراجع على إثرها الغطاء النباتي وتدهورت حياة الواحات، ومع ذلك يمكن الوقوف على ثلاثة أودية رئيسية تصب من جهات مختلفة حتى تضيق في رماله مشكلة ما يعرف بالسبخة على غرار سبخة قورارة وتمنيط وصحراء تنزروفت، وهي : وادي امقيدن، وادي مسعود، وادي قاريت.

01- وادي امقيدن:

من منبعه بالمنيعا يتجه وادي امقيدن باتجاه أراضي توات صابا في ناحيته الشمالية مشكلا سبخة قورارة؛ ويعتبر في الأصل امتداد طبيعي لواد سفور مكونا في طريق جريانه واد شيدون، ذكر في المصادر التاريخية مشيدين بغزارة مياهه وعدوبتها وكونه عامل مساعد ومصدر هام لمد قوافل الحجيج المارة عبر الطريق المحادية له بالماء الشروب⁴، ولطالما كان فضاء رعوي ذا أهمية كبيرة لقبائل البدو الرحل النازحين من جهتي الشمال والشمال الشرقي قبل القرن 12هـ.

1- ابن منظور: لسان العرب، ج05، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص3446.

2- عبد الرحمن بن مُجَّد ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص77.

3- أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص14.

4- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج01، ص107.

02- وادي مسعود:

امتداد طبيعي لتداخل وادي قير ووادي زوزفانة بمنطقة فقيق مشكلين وادي الساوره في تدفقهم نحو الجنوب، هذا الأخير يواصل سيلانه باتجاه الغرب ثم الجنوب من جديد ليطلق عليه واد مسعود، وفي طريقه يضيع في ناحية تسفوات مكون سبخة يخترقها باتجاه الجنوب إلى غاية رقان ليضيع في صحراء تنزروفت.

بداية من النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب متخذا اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان، على طول هذا الامتداد من ناحيته الشرقية تتوضع قصور توات الوسطى مشكلة سلسلة من التجمعات السكانية، كانت في كثير من الأحيان عرضى لفيضانات هذا الوادي وسيوله الجارفة التي اجتاحت هته القصور والواحات، وصلت في سنة 1121هـ الموافق 1709 إلى غاية ناحية رقان¹.

03- وادي قاربت:

أقل الأودية في منطقة توات أهمية بالنظر لطبيعة مجراه الأفقي من الشرق نحو الغرب فهو ينطلق من الشمال الشرقي لتيدكلت مستغلا التسلسل الانحداري لهضبة تادمايت مار ببعض نواحي المنطقة ليصل الناحية الجنوبية الغربية للمنطقة ملتقيا بوادي مسعود كرافدا له².

وبالنظر لطبيعة الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي، والتي تعتبر في مجملها امتداد من الرمال المتوضعة على شكل كتبان رملية متراسة، تبدو للناظر كأموح بحرا من الرمال لا ساحل له، يطلق عليها مصطلح العرق³، ونظرا للمسافة الفاصلة بين تجمع سكاني وأخر؛ والتي عادة ما تكون طويلة جدا، ناهيك عن كون سكان الصحراء في مجملهم، كانوا بدوا رحل، في حالة تنقل دائم بحثا عن المناطق المساعدة للرعي؛ وذلك بتوفرها على الماء والكلية، في ظل هذه الظروف الموضوعية

¹ - ينظر: bernard Saffroy: ChroniqueduTouat, centre saharienne, Ghardaïa, Algérie :1994, p¹³.

² - ينظر: Lo (Capitaine): Les foggaras du Tidikelt, Travaux de IIRS, T.X 1953 et -T.XI 1954.

3 - محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص14.

أرتى سكان الصحراء إلى الاعتماد على طرق أخرى لمصادر المياه على غرار حفر الآبار عبر المناطق المتزامية للعرق، سواء بمحاذاة طرق القوافل العابرة للصحراء، أو في أماكن منعزلة يحتمل مرور رعاة أو عابرين بها، وهذا ما تحدث عنه الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (1905-1979م)، في وصف سكان قورارة، بقوله : ... وبعض أهلها مشهورون بحفر الآبار بصحاري والقفار¹...، ونجد مثل هذه الآبار منتشرة بشكل كبير في العرق الغربي، وذلك لتوفر العوامل المساعدة على ذلك، على غرار كون المنطقة تستحوذ على مخزون ماء باطني هائل، وفي مجملها تشكل ممرات إجبارية للأودية والأنهار كما وردنا، حيث تلعب دورا كبيرا في تغذية المياه الجوفية للمنطقة².

وفي حديث متصل عن الانتشار الملفت للآبار أو الحواسي، وجدنا شبه إجماع في كون أغلبها وجدت قبل تواجد الاستعمار الفرنسي بالمنطقة³، وعن كون هذه الآبار ملك للقبائل أو العروش المتوطنة بالعرق، أو كونها علامات محددة للملكية الأراضي، أكد لنا البعض كونها حفرت من قبل أصحابها لعابري السبيل، وابتغاء نيل الأجر والثواب، باعتبارهم خابروا الصحراء وعرفوا مدى قساوتها وإمكانية تقطع السبل بعابرها⁴، وقد حملت هذه الآبار أسماء حافريها من أشخاص أوقبائل أو عروش أو بطون أو فخذ من الأفخاذ، وبقيت محافظة على أسمائها وانعكس ذلك على الحيز المكاني المتواجد به، حتى بعد تعرض بعضها للهدم على يد قوات الاحتلال الفرنسي، وقد عمدت الدولة الجزائرية المستقلة على ترميم ما لحقه الضرر من جراء الفعل الإجرامي الاستعماري والعامل الطبيعي، وساهمت في حفر آبار أخرى على شاكلتها.

1 - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص218.

2 - ينظر: louis vainot: ((le tidikelt étude sur la géographie l'histoire et le moeurs du pays)), Bulletin de géographie et d'archéologie de la province d'oran,t. 29,1909 P02.

3 - الشيخ بريك عيشاوي: مجاهد، مقابلة شخصية بأدرار 2017/08/23.

4 - نفس المقابلة.

المبحث الثاني: لمحة عن تاريخ توات وأهميتها.

المطلب الأول: أصل تسمية توات.

بخصوص أصل اسم توات¹، فقد جاء في بعض التعاريف أنه بربري الأصل معناه الواحات، ولقد جاء ذكر توات على ألسنة كثير من المؤرخين، وذلك نظرا لأهميتها البالغة فوصفوها وحددوا معالمها ومن هؤلاء المؤرخين، الرحالة ابن بطوطة حيث قال: "...قصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تاكده وتوات..."²، وقال عنها المؤرخ ابن خلدون: "...وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتنكورارين..."³، ومن بين الرحالة كذلك أبو سالم العياشي الذي قال عنها: "... ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تساييت وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المعروف بعريان الراس..."⁴، كما وصفها الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي حيث قال: "...توات أرض ذات سبخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها الجبال ولا الأشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها..."⁵. وعلى العموم يمكن الوقوف على أكثر من رأي في هذا الصدد، وقد خصها بعض الدارسين بجانب من الأهمية وأسهبوا في التفصيل في ذلك⁶، محددين سبع روايات ورد ذكرها في مختلف المصادر التاريخية وهي:

- 1- الصافي ختير: النضال السياسي والثوري في إقليم توات (1956-1962)م، مذكرة ماجستير غير منشورة، تاريخ عام، إشراف: بلقاسم بوعلام، قسم العلوم الانسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية (2011-2012)م، ص2.
- 2 - مُجَّد بن عبد الله بن بطوطة: المصدر السابق، ص277.
- 3 - عبد الرحمان بن مُجَّد ابن خلدون: المصدر السابق، ص77.
- 4 - أبي سالم العياشي: المصدر السابق، ص79.
- 5 - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص99.
- 6- أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص ص16 - 22.

1- الرواية الأولى:

تعود بأصل تسميت توات إلى 62هـ 682م؛ السنة التي وصل فيها الفاتح الإسلامي عقبة بن نافع الفهري بجياله توات، بعدما فتح بلاد المغرب ووصل إلى ساحله، ثم عاد إلى واد نون ودرعة وسجلماسة، وبناء على ما يتداول عن توات من معطيات لا تشجع على الحياة فإنه رأى إنها مكان يلائم العناصر المقلقة وأرض تواتي لنفيهم، مما جعل من هذا التخصيص نعتا توصف به البلاد، ومع الوقت تغير اللفظ على لسان عامة الناس¹.

هناك بعض التحفظات أبداها الباحثين في هذا الشأن، تتمثل في كون صاحب الرواية لم يعتمد على تأكيد ما وصل إليه على مصادر تاريخية معروفة في مثل هذه المسائل، بل اكتفى بما يتداول هنا وهناك من حكايات تروى على لسان العامة من موروثاتهم التاريخية الشفوية، ناهيك عن كون المصادر التاريخية لم تذكر وصول الفاتح عقبة بن نافع إلى هذه البلاد، بل اكتفى باتخاذ طريق ساحلي إلى غاية بلوغه المحيط الأطلسي وعاد عبر طريق داخلي مظاهره التضاريسية ابعده ما تكون عن الصحراء حتى منطقة الزاب نواحي بسكرة حيث أستشهد على يد كوسيلة سنة 63هـ 683م²، هذا وقد ورد ذكر هذه المنطقة في عديد المصادر التاريخية دون الإشارة إلى كونه توات بهذا المصطلح المعروف به اليوم، فيصفونه بالصحراء مع التحديد الجغرافي له الدال على موقع توات اليوم، من خلال إشارات موضعية له على غرار التوجه من سجلماسة إلى بلاد السودان من جهة القبلة عبر صحراء لاقرار فيها³.

1- مُجَّد بن عمر الجعفري البداوي: المصدر السابق، ص ص 04- 05.

2- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ص 177-207.

3- أحمد بن أبي يعقوب يعقوبي: البلدان، مطبعة بريل، لندن، 1890م، ص 37.

2- الرواية الثانية:

تعتمد في تفسيرها لأسم توات على جانب تاريخي ولغوي يعود للقرن 6هـ يتمثل في الأتوات المفروضة على سكان هذه البلاد من قبل حكام الدولة الموحدية¹، وما يحمله المصطلح من دلالة لغوية تعبر عن مجموع ما يعرف بفاكهة التوت بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه بديلاً². من خلال تتبعنا لدراسات التاريخية اتضح لنا مدى التحفظ على هذه الرواية، رغم كون العديد من الكتابات التاريخية عن توات قد اعتمدها كتفسير موضوعي لأصل تسمية توات، ولأصل في التحفظ جاء من كون هذه التسمية قد ارتبطت بفعل غير مرغوب فيه من قبل السكان، وهذا حلياً به أن يجعل السكان تأنف سماعه ما بالك إطلاقه كتسمية لبلادهم، ويقودنا هذا إلى نقطة مهمة تتمثل في كون الأتوات ليست اختصاص تواتي، فهيا معروفة عبر التاريخ باختلاف تسمياتها أنها لم تخص شعباً ولا منطقة بعينها بل شملت الجميع حسب قربه أو بعده عن السلطان، تأكيداً للولاء والطاعة والتبعية.

3- الرواية الثالثة:

يبدو أن للظروف المساعدة على الاستقرار دوراً في أصل تسمية توات، على غرار لجوء قبائل من لمتونة بعد سقوط دولة المرابطين في منتصف القرن 6هـ إلى هاته الأرجاء التي وجدت لها مناسبة للاستقرار مواتية للإقامة³ فطلقت عليها اسم توات، إلا أن وجود قبائل زناتة المعادية تاريخياً للصنهاجيين يرجح إمكانية عدم استقرارهم بها وعبورهم إلى معقل أبناء عموماتهم الطوارق المثلثين، مما يجزنا إلى عدم الأخذ بصفة الإطلاق بهذه الرواية والقول بنسبيتها وتبقى محل تحفظ قائم من قبل الباحثين.

1- علي محمد الصلاحي: دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، عمان، 1998م، ص111.

2- محمد بن عبد الكريم التمنظيبي: المصدر السابق، ص08.

3- ابن عذاري المركشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط03، ج04، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص07.

4- الرواية الرابعة:

ترجع الأصل في تسمية توات إلى الربع الأول من القرن 8هـ 14م تاريخ رحلة السلطان منسى موسى أعظم ملوك مملكة مالي إلى البقاع المقدسة مصطحبا معه قوة كبيرة وجماعة كثيرة، تمكن الوجد من بعضها من طول المسير فأقعدهم عن الركب، وبسبب هذا الوجد المسمى في لغتهم بتوات و الذي أصاب القدم تخلفوا عن القافلة واشتق المكان اسمه منه¹، إلا إننا نجد ذكر لتوات في تاريخ سابق لهذا التاريخ وقد تم الإشارة إليها في العديد المصادر التي تناولت ذكرها في سياقات متعددة².

5- الرواية الخامسة:

تذهب في طرحها إلى كون توات طائفة من قبائل المثلثون الصنهاجيين³ التي عرفتهم الصحراء بالجنوب؛ ومنهم التوارق ولمطة وملتونة.

وفي هذا خلاف بين عن ما ورد في بعض المصادر التاريخية؛ التي تؤكد على أن توات منطقة مستقلة عن بلاد التوارق إختطتها زناتة⁴ بالقفار وتشتمل على قصور عديدة تحفها النخيل وتجري بها الأنهار، مشكلة معسكرات واحاتية.

وفي هذا تأكيد قطعي على أن سكان توات الأصليين فرع من زناتة، ولايربطهم بقبائل المثلثين الصنهاجيين الا الجوار.

1- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، مطبعة هودس، باريس، 1981م، ص 07.

2- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 03، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار، البيضاء، 1954م، ص ص 105-107.

3- بهية بن عبد المؤمن: الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18). 19م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (2005 / 2006)م، ص 02.

4- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 78.

6- الرواية السادسة:

تقتضي بأن تسمية توات تعود لكونها أرضاً تواتي العبادة والزهد والانقطاع لله سبحانه وتعالى، فكانت عبر التاريخ مقصد الصالحين والزهاد من أولياء الله الصالحين¹، وكانت ولا زالت منطقة جذب لمن يبحث عن السمو بجانبه الروحي بامتياز؛ لما تتميز به بلاد توات من بعد عن سطوة وأعين السلطة الحاكمة من جميع الجهات أكسبتها شبه استقلالية، مع إمكانية كونها تبدي ولائها من خلال دفع الأتوات من مغارم ومكوس أو فاكهة من الفواكه التي تنتجها هذه البلدان كمحصول لسننها الفلاحية، مقابل الحماية وقت اللزوم.

وبالرغم من كون هذه الرواية تنطلق من واقع هذه البلاد الذي عرف فعلاً إقبالا منقطع النظير من رجال الله الكامل الصالحين، لسبب أو لآخر، إلا إننا لا يمكن أن نجزم في أي حال من الأحوال بأن تسمية بلاد توات جاءت من هذا السبب الذي استدلت به، وذلك راجع لكون هذه الرواية تصطدم بالرواية الأولى التي ترجع التسمية كما وردنا لكون البلاد تواتي لنفي العصاة والمجرمين والمتمردين على السلطة الحاكمة، وهذا ما يمكن تعزيره تاريخياً في كون السلطان السعدي المنصور الذهبي (ت 1012هـ / 1603م) عمد إلى قبائل "الخلط" العربية فضرب عليهم بعثاً إلى تيكورارين من بلاد توات بالصحراء².

ومع ذلك لا يمكن التسليم المطلق بهذا أو ذاك، ففي الوقت الذي واتت الهاربين من الفتن إلى رب العالمين، كانت منفي للمجرمين والمعارضين للسلطين؛ وكل هذا راجع كما سلف الذكر لكونها بعيدة عن سطوة المخزن والحواضر المؤثرة في البلاد لديهم.

1- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص100.

2- أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج02، ص158.

7- الرواية السابعة:

هذه الرواية ترى في كون اسم توات يعبر عن الوضع الطبيعي لهذه البلاد، باعتبارها تقع ضمن واحات الحوض الشرقي لواد الساورة، وهي الدلالة التعبيرية في اللسان الزناتي عن الواحات¹، فإسم توات Touat هو مفرد oua المتطابق بدوره مع oa الذي يشير إلى OASIS الواحات بالإغريقية، والتعبيرات المشابهة له في اللسان الزناتي على غرار: تواتن عبو Touatn ebbou واحة الماء بالزناتية.

من خلال ما استعرضنا من روايات مختلفة اجتهدت جميعها في محاولة إيجاد التفسير المناسب والمقنع لأصل تسمية بلاد توات، إلا إننا لم نستطع الجزم أو القطع بأي واحدة منها والأخذ بالإطلاق بها لكونها مجتمعة وفقت في جوانب وأخفقت في أخرى، بسبب توظيفها لمعطيات وتغييها لأخرى.

ومع ذلك يمكن ترجيح رواية كون اسم بلاد توات أمازيغي الأصل، قديم قدم ساكنيه من الأمازيغ البربر الزناتيين، وما يعزز الرواية كون غالبية تسميات قصور بلاد توات ذات دلالة أمازيغية على غرار: تلمين (النواق)، تساييت (المكان المعزول)، تنيلان (مكان الأحرار)، أدرار (الجبل)، تامست (النار)، تيلولين (منبت الكلال)، سالي (علاق الراحلة)، رقان (الجمل الراقد)، تيط (العين)، إنغر (الشعبة) وقس عليها باقي تسميات القصور بالبلاد التواتية والتشكيلات الإثنية والقبلية المشكلة لها²، رغم ما لحق مناطق توات من تغيرات جلية وواضحة انعكست على البلاد من خلال قبائل المعقل العربية؛ التي رغم وجود بعض القصور التي تحمل اليوم الاسم العربي إلا أنها لم تطمس الهوية الأمازيغية للبلاد، فنجد تعايش منقطع النظير بين الساكنة من أمازيغ وعرب يكاد يجعلهم لا يتمايزون.

1- ينظر: Mario vivarer: Au Sujer du Touat, Alger: librairie Michel Ruff, 1896, p03

2- مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ج01، صص 11 - 24.

المطلب الثاني: المد الاستعماري نحو توات :

أولا: الاستكشافات الأوروبية طريق للاحتلال الفرنسي:

وعن الظروف المحيطة باحتلال توات فإنه وحسب أبحاث ودراسات تاريخية هناك عدة محاولات فرنسية لاكتشاف منطقة توات¹، على غرار الدكتور هنري بارث Henry Barth الألماني من خلال رحلته في سنتي 1849م و1855م، والضابط دوكلومب Ducklum ودوفري Dover سنة 1858م، والرحلة الاستكشافية للألماني جيرارد روهلف Gerard Rohlef الممتدة من 1862م إلى 1885م، والذي يعتبر أول أوربي يخترق الصحراء من الغرب إلى الشرق، والملازم مارسيل بالاث Marcel Balat سنة 1885م الذي قتل بحاسي لاتو بين عين صالح وعين بلبال في 21 فبراير 1886م من طرف أولاد زنان، نفس المصير لقيه المستكشف كاميل دولس Camille Dulles في محاولته الاستكشافية سنة 1888م على يد أحد أبناء الطوارق وكان آخرها، البعثة العلمية للعالم الجيولوجي " فلامون " flamand، التي انطلقت حملته في 27 نوفمبر 1899م وأخذت طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على طبيعتها الجيولوجية والنباتية وإمكانيات مياهاها الجوفية، في حين أنها كانت محاولة لتوسيع نطاق الاحتلال الممنهج لأرض الجزائر، هذا ما يبدو من خلال دعم الحكومة الفرنسية لها بميزانية خاصة إثر طلب الوالي العام "لافريار" Lavaryar .

كما أعطت تعليماتها إلى النقيب " بان " Ban رئيس المكتب العربي بورقلة، بأن يحمي البعثة على رأس فرقته العسكرية المكونة من 90 مھاريا و15 فارسا².

1- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1 ثورات القرن التاسع عشر، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية لنشر والإشهار وحدة الطباعة بالروبية، الجزائر، 1996م، ص ص311-312.
2- تواتي دھمان وآخرون: المرجع السابق، ص 14.

الغطاء العلمي للبعثة لم ينطل على الأهالي، الذين عملوا على التصدي لها بقوة رافضين التعامل معها أو مرورها بأراضيهم، مما أضطر قوادها إلى الكشف المبكر عن نواياهم والدخول في صدام دموي مع الأهالي، شكلا منعرج في تاريخ المنطقة سنتعرض له بالتفصيل حدث بعد آخر.

ثانيا: الاحتلال الفرنسي لتوات و المقاومة الشعبية له:

تعتبر الحملة العلمية لفلامون بداية الاحتلال الفرنسي الفعلي الممنهج وبداية استكمال بسط النفوذ على المناطق الباقية الجديدة من أراضي الجزائر، لكن دخول الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات لم يستقبل بالورود و تسليم المفاتيح، فقد جوبه بمقاومات شعبية صلبة و شرسة، و في كل مناطق توات، من تيدكلت وتوات الوسطى إلى قورارة، و تمثلت هذه المقاومات فيما يلي:

(1) معركة اقسطن 28 ديسمبر 1899م: في 27 ديسمبر 1899م تمركز النقيب " بان " Ban ورجاله بجوار فقارة الحاج عبد القادر، بعد أن أدرك سكان المنطقة أن الحملة موجهة ضدهم، قام شيخ قبيلة أولاد باجودا" الحاج المهدي باجودا" بجمع المقاتلين من القصور المجاورة كقصر الساهلة وحاسي الحجر وأولاد ماحي وأولاد دهان، للتحضير للمعركة¹.

كانت المعركة في 28 ديسمبر 1899م، حيث تمكنت قوات العدو من السيطرة على القصر خاصة بعد إصابة قائد المقاومة الحاج المهدي بجروح بليغة واستشهاد أخوه بوعمامة وإبنه، ما مكن قوات العدو من دخول القصر.

كانت نتائج هذه المعركة وخيمة على قصور المنطقة وقبائلها، بسبب الخسائر التي تكبدها المقاومون والتي بلغت حوالي 37 شهيدا و 17 جريح و 49 أسير واستسلام كل قبائل عين صالح.

1- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 15.

أما الخسائر المادية فقد استحوذ العدو على 99 جملا، وما يقارب 500 قطعة سلاح كغنائم حرب، وتم تسجيل قتيل واحد وجريحان في صفوف العدو¹.

بعد أن تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على المجاهدين في معركة اقسطن أصبحت مدينة عين صالح بدون قوة تميمها، ما مكن العدو من دخولها يوم 30 ديسمبر 1899م وفرض 10000 فرنك كغرامة على سكان عين صالح دفعت في يومين²، وبسقوطها دخلت توات مرحلة التواجد الفرنسي بالمنطقة.

(2) معركة الدغامشة 05 يناير 1900م:

في 5 يناير 1900م هاجم المجاهدون بقيادة مولاي عبد الله الرقاني ولد مولاي العباس القوات الفرنسية، ونظرا لكون المكان مكشوف لا يساعد على المباغتة والتخفي، بسبب الدسائس الفرنسية واكتشاف العدو الفرنسي لخطة المجاهدين، اضطر المجاهدون إلى مواصلة الهجوم رغم إدراكهم لعدم التكافؤ في العتاد حيث كان عدد هم 1300 مجاهد، فأسفرت المعركة عن 150 شهيد منهم القائد مولاي عبد الله الرقاني وأزيد من 200 جريح و14 أسير، ومن الجانب الفرنسي مقتل صبايحي وجرح اثنان آخران³.

(3) معركة اينغر 19 مارس 1900م:

بتوجيه من الرائد "بومقارتن" Bomkarten قام الملازم "كلوستر" Cluster بتسيير طليعة من مائة فارس لجس النبض واستكشاف واحات اينغر التي ظلت مستعصية، كما أرسلت حملة

1- أحمد عبد العزيز: صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، بدون طبعة، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر، بدون سنة، ص 50.

2 - مبارك جعفري: الشهيد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني قائد مقاومة الدغامشة بعين صالح حياته وجهاده (1833 - 1900)م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي : ع17، ديسمبر 2017، ص ص 153 - 156.

3 - مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 153-156.

أخرى بقيادة العقيد " أو " Ou وذلك بعد أن رفض سكان تيدكلت وتوات الاستجابة لرسالة الاستسلام التي وجهت لهم بتاريخ 31 يناير 1900¹.

بعد وصول الدعم من مناطق إقليم توات بقيادة باشا تيمي إدريس بن الكوري في 14 فبراير بلغ عدد قوات المجاهدين 1300 مقاتل، يوم 14 فيفري 1900.

دارت المعركة صبيحة يوم 19 مارس 1900، اضطر المجاهدون إلى الانسحاب والاحتماء بقصبة أولاد حادقة وقصبة أولاد أحمد جلول، وبعد مقاومة عنيفة تمكنت نيران المدفعية من إحداث ثغرتين في القصبة الثانية، مما جعل المقاومة تنتقل إلى المنازل والبساتين المجاورة، حيث أن القوات الفرنسية لم تتمكن من دخول القصبة الأولى إلا بعد اشتباكات مريرة مع المجاهدين².

بعدها توجهت القوات الفرنسية إلى تيط يوم 23 مارس 1900، وبعد يومين من ذلك سقطت أقبلي وأولف، راح ضحية هذه المعركة أكثر من 500 مجاهد معظمهم من النساء والأطفال و162 أسير.

4) معركة تيميمون 27 أبريل 1900م:

بدأ الزحف الفرنسي من الجهة الشمالية الشرقية، وبالضبط من المنيعه حيث جهز الفرنسيون ما يقارب 800 جندي بقيادة العقيد " مينسترال Menstruel " وقطعتين مدفيعيتين ورغم ذلك عجزت هذه القوة عن دخول المنطقة، حيث اصطدمت بمقاومة القصور التي عطلت تحركها، مما

1- عمورة بلبشير: السجل التاريخي لشهداء الثورة التحريرية لولاية أدرار (1954-1962)م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار، الجزائر، 2014م، ص16.

2- إبراهيم مياسي: مؤوية إحتلال تيدكلت، مقال نشر بجريدة اليوم، بتاريخ 9/03/2000م.

اضطرها إلى طلب قوة احتياطية مكونة من 400 عسكري من ولاية البيض، مكنتها من دخول مدينة تيميمون يوم 12 ماي 1900¹.

5 (معركة المطارفة 30 أوت 1900م:

رفضت قبائل قصر المطارفة الاستسلام للعدو الذي تمكن من أسر شيخ قبيلة أولاد راشد، ما أدى إلى اصطدام الطرفين في معركة كبيرة في ضواحي القصر، حينها تراجع العدو إلى قصر لدول في انتظار الإمدادات.

وفي 5 سبتمبر وصلت المدفعية، بقيادة "بان" Ban و "فالكونيتي" Falconte تجددت المعارك، حيث انضم مجاهدون من قبائل الشعابنة والغنامة من سكان المنطقة، ونظرا لوجودهم خلف الكتبان الرملية تعطلت مدفعية العدو، ما ألحق بالجيش الفرنسي خسائر فادحة تجاوزت مئات القتلى والجرحى وبذلك سقطت أسطورة المدفعية الفرنسية².

6 (معركة شروين 28 فيفري 1901 م:

خلفت معركة المطارفة انعكاسات سلبية على الجيش الفرنسي، ما حرك القائد العام لناحية الجزائر الجنرال " سرفيار " Servia واضطره إلى قيادة طابور ضخم بنفسه لتمشيط مناطق توات وتطويرها وذلك في 20 فيفري 1901، إلا أن الثوار (قبائل الشعابنة والغنامة والخنافسة والمحرزة) نفذوا هجوما على المركز العسكري بتيميمون، فأرسل الجنرال سرفيار Serviar العقيد بان Ban في دورية استطلاعية، وعند وصوله إلى شروين وبالضبط في الوادي المعروف بضاية المجاهد فاجئه الثوار، الذين انسحبوا ليلا إلى قصر شروين وتظاهروا بالانسحاب منه إلى ما وراء الكتبان الرملية، ومع طلوع النهار انقسموا إلى فرقتين: الأولى باتجاه عين تبو، والثانية باتجاه قصابي، حيث دارت معركة كبيرة اضطرت على إثرها الجيش الفرنسي إلى الانسحاب، مخلفا وراءه خسائر بشرية

1- إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 _ 1912)م، بدون طبعة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص 114.

2- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 21.

ومادية من أبرزها مقتل الضابط راميلون Ramillon ومُجَّد بن الطيب نائب الطريقة القادرية بورقلة الذي كان يقود الفيلق العربي¹.

(7) معركة طلّمين 08 ماي 1901م:

حدثت هذه المعركة في الثامن ماي 1901 حيث قاتل رفقاء مُجَّد بن عبد الله بكل شجاعة إلى أن أسر، واستشهد ثمانية من رفقائه هذا ما مكن العدو من التوسع واحتلال منطقة قورارة².

هكذا دخلت منطقة توات تحت مناطق نفوذ السلطة الاستعمارية الفرنسية وتم إخضاع كامل توات بحلول سنة 1903، وقام الجنرال سرفيار Servia بتنصيب الحاميات العسكرية وإنشاء الدوائر والملحقات، وعين الضابط لايرين laperine قائد أعلى للوحدات الصحراوية، وقسم المنطقة لتسهيل مهمة مراقبتها كما يلي:

- الملحق العسكري بتيميمون يوم 20 ماي 1900م.
 - الملحق العسكري بتيديكالت في شهر أوت 1900م.
 - الملحق العسكري بتوات ثم تيمي خلال يناير 1901م³.
- كل هذه الملحقات والهيئات كانت تابعة للجنرال القائد للإقليم العسكري للجزائر العاصمة، كان مقرها وقيادتها العسكرية بتيميمون والتي ستنتقل فيما بعد إلى أدرار.

ثالثا: سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية في منطقة توات:

بعد إخضاع الاستعمار الفرنسي لمنطقة توات واحتلالها كليا، تم تنصيب حاميات، ثم شرع في إنشاء دوائر وملحقات ألحقت بقائد أعلى للوحدات الصحراوية الضابط لايرين laperine⁴.

2- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 21.

2- قلوب مكّي: "الغزو العسكري الاستعماري لأقصى الجنوب والمقاومة المسلحة الشعبية لمنطقة توات وتبدكلت وتيقورارين في مجابهة هذا الغزو"، مجلة أفاق التنمية، ادرار، 1987م، ص 38.

3- ينظر: TILLON (G): LA QUANQUETE DES OUASIS SAHARIENNES, PARIS: EDITION MELITAIRES, 1903, PP 62-64.

4- الصافي خنير: المرجع السابق، ص 51.

تميزت الفترة التي أعقبت احتلال منطقة توات، استكمال عملية هدم لجميع مقومات المجتمع بسن قوانين تعسفية، ثم ضم المنطقة ضمن مقاطعة عين الصفراء، وعلى رأس كل إقليم، قائد عسكري معين بمرسوم، وقسمت إلى أربع مناطق إدارية كبرى وهي: منطقة تقرت، منطقة الواحات قاعدتها بورقلة، منطقة غرداية، ومنطقة عين الصفراء التي تضم ملحقات: المشرية، البيض، بني ونيف، بشار، وتوات¹.

تميز النظام الاستعماري الإداري بوجود مصلحة الشؤون الأهلية التي عوضت المكاتب العربية، التي استمرت حتى 1947 بعد صدور دستور الجزائر².

وعملت الإدارة الاستعمارية على تحطيم نفوذ القبائل الناقمة، وأهكمت معيشة السكان، حتى عرف الوضع الاقتصادي تحولات كبرى في ميدان المبادلات التجارية ونمط الإنتاج وأوضاع الأسواق الداخلية والتجارة الخارجية³.

وقد أدى تحول وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنقود إلى أوضاع مأساوية للسكان، ظهرت خلالها مجاعات بشكل دائم ومستمر، وطعمت هذه السياسة الاستعمارية بسياسة أكثر تفقير وتجويع متمثلة في الضرائب المتنوعة: الضرائب العربية، ضريبة الزكاة والعشر، ضريبة اللزمة على النخيل⁴.

وكذا احتكار الفرنسيين واليهود للمواد الأولية، وتأسيس غرف تجارية، فكان تصرفهم المطلق، فضيقوا على سكان المنطقة⁵.

1 - جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م، ص ص 148-149.

2 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص 53.

3 - دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 28.

4 - الصافي خثير: نفس المرجع السابق، ص 54.

5 - الصافي خثير: نفس المرجع السابق، ص 55.

وغداة الحرب العالمية الأولى، شهدت منطقة توات تدهورا في الوضع المعيشي للسكان، نتيجة القحط والأوبئة التي طالت مناطق الصحراء، وازدادت معاناة السكان في ظل الحكم العسكري الفرنسي¹.

ولم يخف النظرة العدائية لفئة مدرسي الكتاتيب، تلك الفئة الشبانية، ولقد كشف عن دور هذه الفئة مستقبلا، دون نسيان دور الزوايا العلمية وعلاقتها بالعلماء ورجال الدين، التي ساهمت مع هؤلاء في مجابهة سياسة التجهيل الاستعمارية وكذا التنصير و كل المخططات الاستعمارية².

رابعا: دور الحركة الوطنية وشيوخ الزوايا في بعث الوعي السياسي الوطني:

رغم العزلة وقلة الإمكانيات والظروف الاجتماعية واستمرارية النشاط العسكري، لم تستكين همّة سكان منطقة توات، واجتمعت عدة أسباب لبعث الوعي السياسي وتوعية الجماهير حول مشروع وطني واع نذكر منها :

- 1- السياسة الفرنسية في المنطقة القائمة على الحكم العسكري والنظام السائد.
- 2- مطالب الأحزاب الوطنية بتعويض الحكم العسكري بنظام مدني يكون أقل وطأة على السكان³.
- 3- الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بالمنطقة، مما ولد شعورا بالوطنية والانتماء، وضرورة تغيير الأوضاع بالوسائل المتاحة⁴.
- 4- نفي العديد من الوجوه السياسية الوطنية الفاعلة إلى المنطقة، كالشيخ بوجناح سليمان والشيخ شونان محمد بن مختار عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمناضل الذبية محمد عن حزب الشعب الجزائري، وأدى اختلاط هذه الوجوه بالسكان وعملها السري مع المواطنين إلى بروز وعي سياسي وطني ثوري⁵.

1 - دحمان تواتي وآخرون: نفس المرجع، ص 29.

2 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص ص 57-59.

3 - دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 29.

4 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص 61.

5 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص 62.

5- نهوض بعض الأفراد والأسر كعائلة برادعي الطيب وباخدة عبدالله وكابويا أحمد و الشيخ مُجَّد بلكبير والشيخ مولاي أحمد وغيرهم، بجهود كبيرة على صعيد تعبئة الجماهير واحتضان الأحزاب الوطنية في المنطقة¹.

ولقد استفاد رجال الحركة الوطنية في المنطقة من تواجد بعض التيارات السياسية لتدعيم تجربتهم النضالية و استغلال توظيف هذه الهيئات لصالح النشاط السياسي، فتردد برادعي الطيب² على مدينة الجزائر عند سماعه لحزب يطالب بالاستقلال ، و هذا في سنة 1936 وأصبح عضوا فيه أي حزب الشعب الجزائري ، حتى أن المنفيين نزلوا ضيوفا عند برادعي الطيب³.

ولما علمت الإدارة الاستعمارية بقدوم المنفيين ، وزعت منشورا يمنع الاختلاط بهم أو التقرب منهم ، فلم يعيء مواطنو أدرار بالمنشور، فأدخلتهم الإدارة السجن، وبعد 15 يوم تم الإفراج عنهم⁴.

وانضافت إلى هذه المجهودات التوعوية، دور المدارس القرآنية وإسهامات علماء توات في تنوير العقول ونمو الوعي الوطني وتجنيد الشباب للعمل السياسي، فقد أسهم الشيخ مولاي أحمد

1 - سلطنة بومدين: مجاهد، شهادة مسجلة بتيميمون 2004/06/23، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.

2-الطيب برادعي: ولد بمتليلي خلال 1914 م ،أنخرط في الحركة الوطنية سنة 1936 م والتقى بمصالي الحاج ، و أصبح عضوا في حزب الشعب ، يعتبر من أعيان مدينة أدرار ومن النشطاء السياسيين ،لما تأسست جمعية اتحاد التجار الجزائريين انتخب كاتبا عام وأقاسم الحاج أحمد رئيسا ، ساهم في دفع عجلة التنظيم السياسي والثوري للمنطقة بداية من (1947-1948)م، لما اندلعت الثورة سنة 1954 م أصبح برادعي مولاي الطيب رجلا محوريا مع زملائه : المهدي بن السي حمو عن طريق المناضل المقدم العربي، في سنة 1957 م ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض ومكث تحت التعذيب شهرا كاملا، ثم نقل إلى سجن القنادسة وأطلق سراحه في أواخر سنة 1957 م، في سنة 1960 م تعرض لاعتداء من طرف الجيش السري الفرنسي (OAS) في وهران ونتيجة هذا الاعتداء تغلغل المرض إلى جسده، توفي في فرنسا سنة 1972 م نتيجة المرض الشديد ودفن في مدينة وهران رحمة الله عليه. ينظر: الصافي ختير: المرجع السابق، ص63.

3 - دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص30.

4 -الصافي ختير: المرجع السابق، ص63.

الطاهري الإدريسي والشيخ سيدي مُجَّد بلكبير في تجنيد علماء وأعيان المنطقة لنشر الأفكار الجهادية و مواجهة السياسة الفرنسية¹.

كما ساهمت ظروف الحرب العالمية الثانية في إدماج المنطقة ضمن المسيرة الوطنية، فوجد معظم الشباب في فرق المهريين التي انتقلت إلى تخوم الصحراء الشمالية واحتكت بواقع النضال الوطني². وفي 1946 تشكلت أحزاب وطنية كحركة انتصار الحريات الديمقراطية بقيادة مصالي الحاج وحزب البيان الجزائري بقيادة فرحات عباس ، سمح بالانخراط فيها، فكانت الانتخابات مجالا رحبا للنشاط الوطني، وكان من أبرز منظري حركة انتصار الحريات الديمقراطية بيتور علال³ و باخدة عبد الله⁴، وكانت الدكاكين و المحلات أحسن مكان لنشاط الأحزاب⁵، دون أن ننسى

1 - بومدين سلركة: المصدر السابق.

2 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص64.

3 - علال بيتور: ولد خلال عام 1914م بمثليبي منظر سياسي ومناضل نشط لحزب الشعب ، نفته الإدارة الفرنسية إلى تيميمون لكنه واصل النضال ولم ييخل ، فكان يتقمص شخصية تاجر ، ساهم بدور فعال في غرس الوعي الوطني ، سخر جميع جهوده وأمواله لخدمة الثورة في الإقليم ، عمل في المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطنية بتيميمون سنة 1956 م ، اعتقل بعض انتفاضة حاسي ساكة ، و أعدم بحاسي بوخلالة على يد السفاح الجنرال بيجار نهاية 1957. أرشيف المتحف الولائي للمجاهد أدرار.

1- باخدة عبد الله بن عبد الرحمان: من مواليد 1912م بأولاد أحمد مقاطعة تيمي من المناضلين السياسيين الأوائل بالمطقة أختير رئيساً لمكتب حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية سنة 1948م عمل على توعية المواطنين حول المشروع الوطني وإنجاح الانتخابات لصالح باقي بوعلام، ضايقته السلطات الفرنسية نظراً لنشاطه المتواصل ألقى عليه القبض سنة 1957نقل إلى مدينة بشار ثم القنادسة ثم بعد عام من السجون تم نفيه إلى مدينة أولف واستمر في عمله الوطني سراً إلى أن وافته المنية يوم 1973/7/22 م . أرشيف المتحف الولائي للمجاهد أدرار.

5 - بودواية بودواية: مجاهد، شهادة مسجلة بتيميمون، 2004/06/23م، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.

الكشافة الإسلامية الجزائرية فقد كان لها نشاط وفروع بالمنطقة¹، خاصة أدرار وتيميمون، فكان أول فوج أسس على يد المناضل علال بيتور².

وتعتبر الانتخابات محطة سياسية هامة ووجه ثاب بين السياسة الاستعمارية ونشاط الحركة الوطنية، وأول انتخابات بالمنطقة : الانتخابات البلدية 19-26 أكتوبر 1947م وانتخابات الجماعة من 24 نوفمبر إلى 12 ديسمبر 1947م وانتخابات المجلس الجزائري 1948م وانتخابات المجلس الوطني 4 فبراير 1951م والانتخابات التشريعية 17 جوان 1951م وانتخابات مجلس الجمهورية 27 أبريل 1952م³.

ففي 1948م انطلقت حملة انتخابية لمرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية بوعلام باقي في كل من أدرار وتيميمون⁴، ورغم الضغط الاستعماري لإفشال المرشح بوعلام باقي وترجيح الكفة لمرشح الإدارة الاستعمارية السي خلادي، فقد فاز مرشح حركة الانتصار بأغلبية الأصوات في المنطقة، فأثارت حفيظة المستعمر فما كان عليها إلا التزوير وترجيح كفة الأصوات لصالح مرشحها السي خلادي⁵.

وواصلت سياستها في تزوير الانتخابات ومضايقة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ومحكمة ممثلها، وكذا ضرب الخناق على منطقة توات فدخل النشاط الوطني مرحلة السرية⁶. ولقد إعتبر سكان توات في المحطة الانتخابية متنفسا لإبلاغ صوتهم ووسيلة سياسية ناجعة، رغم المضايقات للعناصر الوطنية¹.

1 - مكي قلوب: نبذة حول تاريخ الحركة الكشفية بمنطقة توات و تيدكلت بأقصى الجنوب الجزائري، محاضرة بمناسبة اليوم الوطني للكشاف 27 ماي 2007م، ص ص1-2 .

2 - عمار أقاسم: مجاهد، شهادة مخطوطة " نضال و جهاد منطقة تيميمون و الساورة و منطقة الجنوب (1947-1962)"، كتبت خلال (2005-2006)م، ص1.

3 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص69.

4 - الشيخ قلوب: ناشط في الحركة الوطنية، شهادة مسجلة بأدرار، 26/06/2004، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.

5 - بو مدين سلعة: المصدر السابق.

6- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص35.

ولا ننسى دور الشيخ بن هجيرة أحد أبناء منطقة قورارة، الذي كان من المناضلين المساهمين في إدخال السلاح الأول لجبهة التحرير الوطني بمنطقة الأوراس، و لما إندلعت الثورة في 1 نوفمبر 1954م، انضم لها هناك، مثله مثل الكثيرين من أبناء الجزائر الثائرين².

خامسا: مساهمة منطقة توات في الثورة التحريرية:

بداية من 20 أوت 1956م تاريخ انعقاد مؤتمر الصومام قرر المؤتمر ضرورة توسيع رقعة الفعل المسلح ليشمل جميع التراب الوطني، مما جعل أعضاء جيش التحرير الوطني يكتفون من نشاطاتهم وتنقلاتهم وربط اتصالاتهم بمنطقة توات مستغلين حركة القوافل، ويبدو نجاح مسعاهم واضحا من خلال انجاز عدة مراكز للتموين في قصور وآبار الصحراء (الحاسي)³.

وتأسيسهم اللجنة الحماسية لجبهة التحرير الوطني بالمنطقة والتي ضمت⁴ :

1. أقاسم عبد العزيز رئيسا
2. بوحادة عبد القادر نائبا
3. سنيسنة دريالي كاتبا
4. البشير العامري أمينا للمال
5. سلركة بومدين عضوا
6. حمداوي حمو مكلفا بالاستخبار

1 - الصافي خثير: المرجع السابق، ص71

2 - دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص ص35-36.

4 - الطيب مولاي عمر: التعريف بمعارك العرق الغربي الكبير، الملتقى التاريخي الأول المنعقد بتاريخ 20 _ 1997/12/21م، بتيميمون.

5- بومدين سلركة: المصدر السابق.

7. بودواية بودواية مكلفا بالتموين و البريد

وأُسندت إليها مهمة تنظيم الفداء بتوات أقصى الجنوب الغربي الذي أصبح في معظمه تابع للمنطقة الثامنة بالساوراة من الولاية الخامسة التاريخية.

وهكذا نلاحظ تزامنا مع بداية تبلور الهيكل التنظيمي للثورة، حدوث مناوشات داخل المجندين من أبناء الجزائر داخل القوات الاستعمارية الفرنسية، على غرار ما حدث في بداية أكتوبر 1956م بجاسي فرسيقة؛ لما رفض عشرون جزائريا تجديد العقد كمهاري في الجيش الفرنسي نذكر منهم، الزاوي مول الفرعة ، هاشمي أمجد ، بلعقون أحمدية.

كما نسجل في نفس السنة عقد أول اجتماع تاريخي بقصر فاتيس برئاسة السيد الزاوي الشيخ بالمبروك؛ حيث تقرر فيه إرسال فوج من المجاهدين من أبناء المنطقة إلى نواحي البيض بالناحية الثامنة عبر العرق الغربي، عندها تحصل السيد هاشمي أمجد على الرسائل الواردة إليه من المنطقة والتي توضح أسماء المناضلين من السكان والمهاري الذين كانوا في صفوف الجيش الفرنسي¹.

وكلف السادة هاشمي أمجد، الشيخ بوبكر مرزوق، نواري نوار، الدين سليمان في بداية سنة 1957 بتحضير مراكز التموين والتنسيق فيما بينها، وقد بلغ عددها أكثر من 21 مركزا.

وتم لقاء السيد هاشمي أمجد مع قائد الناحية الثامنة السيد عبد الغاني عقبي المدعو السي عمار في شهر جويلية من سنة 1957 بفيقيق مقر قيادة الولاية الخامسة، حيث زوده بمسدس وعلم جزائري كان ملطخ بدماء شهداء معركة خراج عبد الرحمن التي قادها العقيد لظفي نواحي بشار، كما أدى اليمين على المصحف وعين مسؤولا سياسيا وعسكريا وسماه باسم الفاتح عقبة بن نافع كلقب ثوري، وطالبه بالتنسيق مع الملازم بلعيد أحمد المدعو السي فرحات الموجود بمنطقة

1- التلفزيون الجزائري: ملحمة العرق الكبير، إنتاج محطة بشار، سنة 1992م .

الساورة¹، وفي حاسي تاسلغة التقى هذا الأخير مع الجنود بالعرق وحثهم في خطابه على إنشاء وتكوين جيش قوي بالمنطقة لتكون لهم ناحية وأقسام، وإعلامهم عن الاتفاق الذي تم مع مهارى حاسي صاكة حول الفرار من الجيش الفرنسي في شهر أكتوبر لأنهم عادة ما يجتمعون بحاسي صاكة قبل تقسيمهم على الآبار².

ومع هذا الحراك العسكري والسياسي من حيث التنظيم سجلت المنطقة معارك ثورية عديدة نذكر منها:

1- إنتفاضة حاسي صاكة 15/10/1957م:

هو بئر ماء يقع على بعد 90 كلم شرق مدينة تميمون، كانت تقيم به كتيبة مهارى توات التابعة للقوات الفرنسية، وفي 14 أكتوبر 1957م اجتمع فيه النقيب " صوابي " Suway قائد كتيبة مهارى توات بـ 63 مهاريا من أجل تقسيم الكتيبة إلى ثلاث فرق الأولى تتوجه إلى بوبرنوس، الثانية إلى حاسي بوزيد و الثالثة إلى قرن القصعة³، في الوقت الذي كان مخبري جيش وجبهة التحرير الوطني قد عبثت المجندين الجزائريين في صفوف هذه الكتيبة بضرورة القيام بعملية فرار جماعي والالتحاق بركب الثورة، وهذا ما حدث عشية يوم 15 أكتوبر 1957م على الساعة الخامسة مساء بعد قتل الجنود الفرنسيين التابعين لكتيبة مهارى والبالغ عددهم ثمانية 08 قاد العملية بيده مُجَّد العطشان⁴.

-
- 1- عبد الغاني عقي: مجاهد، شهادة مسجلة بتاريخ 2013/05/23م، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.
 - 2- عبد المجيد بن يعقوب: معارك العرق الكبير (1957 _ 1962)م، كتاب مخطوط غير مطبوع، 1996م، ص 6.
 - 3- نفسه: ص 7.
 - 4- جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة: السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار، دون سنة طبع، 1996م، ص 23.

أسفرت العملية عن الاستيلاء على 250 جملا وكل الأسلحة والمؤونة¹ وتوجهت الفرقة إلى حاسي الجديد الشرقي، في اليوم الموالي علم القبطان " نيكلو " Nicole بتيميمون بالعملية و تحرك القبطان " صوايي " Suway إلى عين المكان ليعاين ما حدث ميدانيا وبهذا شكلت عملية التمرد صدمة غير متوقعة من الإدارة الاستعمارية أطاحت بأسطورة الأرض الآمنة.

2- غارة جوية بحاسي الجديد الشرقي:

بعد عملية الفرار الجماعي للمهاري قامت قوات البوليس الفرنسي بحملة مدهمات واسعة في وسط السكان صاحبها عملية قمع لكل مشتبه في إمكانية مساعدته للمجاهدين، في الوقت ذاته انتقل الجنرال " دي كرافكار " De Cravcar إلى تيميمون لدراسة الوضعية وإعطاء التعليمات للقائد " بيار بوشي " Pierrepoche لاتخاذ جميع التدابير التي من شأنها تسمح بتحديد مكان المتمردين، وبدوره قدم بوشي مخططه للقائد " قتنيل " Cantine نائب والي أدرار و القبطان " نيكلو " Nicole مفاده نشر أكبر قوة جوية في الشمال، شمال غرب وشمال شرق تيميمون على مساحة 200 كلم على وجه السرعة، قتل أكبر عدد من الإبل، تحطيم منازل الفارين، تحطيم الآبار التي يمكن أن تكون مورد مائي وضرب أي متحرك في الصحراء².

وبدأت قوات الاحتلال الفرنسي عملية تمشيط واسعة حسب مخطط بوشي³ بفك مكون من كتبية مهاري توات ومجمع الكتبية الصحراوية الرابعة، بداية من يوم 20 أكتوبر 1957م بقيادة القبطان " صوايي " Suway على حاسي الجديد الشرقي الذين يعد عن تيميمون حوالي 245 كلم، غير أنهم لم يعثروا على المهاري الفارين لأنهم غادروا المكان يوم 19 أكتوبر حيث

¹ - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية: المرجع السابق، ص24.

² - نفسه: ص27.

³ - عمورة بلبشير: المرجع السابق، ص34.

استمروا في المشي لمدة ثلاثة أيام بدون انقطاع متوجهين نحو منوشات بالعرق الغربي الكبير بعد ملاحظتهم حركة الطائرات، الشيء الذي أجبر قوات صواي Suway رجوع أدرجها إلى تيميمون في 26 أكتوبر 1957م¹، لتبدأ في تنفيذ المرحلة الأخيرة من مخطط بوشي والمتمثلة في ضرب أي متحرك بالعرق، فعمدت إلى رمي مناشير دعائية تطالب فيها البدو بضرورة الالتحاق بالمناطق الآمنة التي حددتها كمحتشدات في غضون ثمانية أيام لعزل الثوار.

3- إنشاء محتشد حاسي صاكة:

بعد انقضاء المهلة المحددة للبدو الرحل بالالتحاق بالأماكن الآمنة اعتبرت إدارة الاحتلال الفرنسي العرق منطقة محرمة وكل من فيه خارج عن القانون ومعرض للموت، وأنشأت محتشد بحاسي صاكة سنة 1957م واحتشدت فيه جميع العائلات التي تتواجد على سفوح هذا العرق وحرقت كل أملاكهم وبلغ عدد المحتشدين فيه أكثر من 300 عائلة موزعة على 275 خيمة²، في ظروف أقل ما يقال عنها أنها كارثية تنعدم فيها أبجديات الحياة الشيء الذي انعكس على صحة المحتشدين مما أدى إلى ارتفاع غير مسبوق في نسبة الوفيات في وسط الأطفال والنساء، وأعقبها بجملة من الإجراءات الردعية حيث قامت ب:

- عملية تهديم شامل لكل الآبار الجوددة بالعرق خصوصا البعيدة منها عن نقاط المراقبة.
- إلقاء القبض على الكثير من المدنيين والزج بهم في السجون بكل من تيميمون، بشار، القنادسة، المدينة الجديدة وهران، البرواقية والحراش بالجزائر.
- حرق واحات النخيل من أملاك المجاهدين وتدمير المساكن.

1- عبد المجيد بن يعقوب: المرجع السابق، ص 10.

2- ميلود بلعقون وآخرون: مجاهدين، شهادة في إطار البطاقة التاريخية، بتينركوك وتيميمون، 2002م، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

4- كمين حاسي تاسلغة 06 نوفمبر 1957م:

توجه المجاهدون الذين أصبح عددهم 76 يوم 05 نوفمبر 1957 إلى حاسي تاسلغة على بعد حوالي 130 كلم من تيميمون والتحقّت بهم قوات من جبهة التحرير الوطني مكونة من 40 رجل (وهي وحدة تابعة لمركز القيادة) قدموا من الساورة تحت قيادة فرحات.

في الوقت الذي كلفت فيه فرقة لحساب الجاذبية الأرضية من جماعة بترول الجزائر برسم خط حساب الجاذبية بعد تشخيص الأماكن ووصف حالتها الطبيعية للبحث والتنقيب عن البترول، بداية من يوم 03 إلى 06 نوفمبر 1957م كانت هذه الفرقة مكونة من 41 عاملا منهم 12 جزائريا بالإضافة إلى فرقة أخرى أجنبية (لاليجو Laligo)¹.

بعد علم المجاهدون بهذا، كلف السيد " فرحات " الفرقة الأولى التي يقودها المجاهد " سليمان بن عبد الله " بمحاصرة العدو، بعد ملاحظتهم أن الشاحنتين مرتا بمنحدر الفايحة الكحلة انقسمت الفرقة إلى فوجين واحد بقيادة سليمان بن عبد الله والآخر بقيادة حناني علي، وبما أن الجنود لم يتمكنوا من أخذ مراكزهم قبل وصول أول سيارة أطلقوا الرصاص عليهم وهم في حالة انبطاح، وبعدها تمت الإحاطة بالشاحنات الخمس، وأثناء هذه المعركة تدخل فوج من المجاهدين الذين كانوا برفقة الملازم فرحات وأطلقوا النار على السيارات بما فيها شاحنة البنزين.

- بلغت خسائر العدو: 16 قتيل² - أسر 04 - حرق 06 سيارات عسكرية.

- الغنائم 18 بندقية ورشاش من عيار 20/29 وجهاز راديو للاتصال.

- شهيد واحد في صفوف المجاهدين.

1- عبد المجيد بن يعقوب: المرجع السابق، ص 11.

2- مجلة أول نوفمبر: العددان 151/152، سنة 1997م.

كما لا يفوتنا هنا الإشارة إلى عنصر السرعة والمباغطة لعناصر جيش التحرير الوطني في إنجاح العملية، التي شكلت ضربة موجعة للاستثمار في مجال البترول في الصحراء الجزائرية من خلال إلغاء العديد من الشركات لعقودها مع إدارة المحتل الفرنسي¹.

5 - معركة حاسي غمبو 21 نوفمبر 1957م:

على بعد 120 كلم من تميمون، يقع حاسي غمبو وسط الكثبان الرملية المتزامية بالعرق الغربي الكبير يتخللها وادي يبلغ طوله 03 كلم يحده من الجهة الشمالية حاسي تنوانو ومن الجهة الجنوبية حاسي تاسلغة، دارت هذه المعركة في 21 نوفمبر 1957م من الساعة 7:00 صباحا إلى حوالي 20:00 مساء.

وتقول المصادر إن هاشمي أمجد رئيس فرقة الاتصال لجيش التحرير ووحدة جيش التحرير الوطني التي تضم 65 مجاهدا منهم بشرير فوضيل، ليتيم الشيخ، عبد القادر كحلوش²، مع اثني عشر مدنيا، تمركزت في مركز تاسلغة بالعرق الكبير منذ بداية النصف الثاني من شهر نوفمبر 1957م وذلك لتعقب تحركات القوات الفرنسية وربط الاتصال مع المسبلين في التجمعات السكانية القريبة.

إلى أن وصلت أخبار من مسبلي قصر تينزوك بأن قوات كبيرة من العدو ستقوم بمسح لمنطقة (تاسلغة)، الشيء الذي اضطر المجاهدين إلى الانسحاب التكتيكي لمنطقة حاسي غمبو الأكثر منعة، في الوقت الذي بدأ فيه المجاهدين في التموقع استعدادا لأي طارئ لوحظت ثلاثة طائرات B 26 وجانكير تجوب الأجواء ويبدو أنها لمحة آثار الثوار فطافت بهم وقصفت الإبل مما

1- عبد الرحمن محرز: المرجع السابق، ص54.

2- التلفزيون الجزائري: المرجع السابق.

أحدث فوضى بينها وأصيب بعضها، ورد عليها المجاهدون بطلاقات متقطعة أجبرتها على التقهقر قبل أن تعيد الكرة من جديد وبعدها اختفت على الأنظار¹.

بعد التأكد من عدم معاودة طائرات العدو لطلاعاتها الاستكشافية، تسارع المجاهدون إلى احتلال مواقعهم الدفاعية على بعد 5 كلم بالوادي المحاذي لحاسي غنبوا، مع بداية طلوع الشمس بدأت قوات العدو في إنزال مكثف للمظليين وزحف باتجاه الوادي مكان تمرکز المجاهدين، وبمجرد ظهور أولى طلائع المظليين سيوف الكتبان الرملية باشرهم المجاهدون بالقنص بالرصاص، عنصر المباغنة أجبر المظليين على التراجع مخلفين عدد من الضحايا وكمية من الأسلحة والذخيرة تمكن المجاهدين من جمعها، في نفس الأثناء كانت قوات العدو تطوق المكان، وعليه تم تعديل الخطة الدفاعية ونظم المجاهدون أنفسهم في شكل حلقة دائرية للتصدي لهم من جميع الجهات كما عززوا دفاعهم بأربع رشاشات غنموها في المعركة تم نصبها في أماكن إستراتيجية.

بعد هدوء يشوبه الحذر لمدة تجدد الاشتباك في حدود منتصف النهار بكل عنف وشراسة في بادئ الأمر كانت المعركة تميل لصالح المجاهدين رغم عوامل التفوق من عدة وعتاد؛ قد نرجع هذا لعناصر المعرفة بالميدان والتمركز المناسب لجيش التحرير الوطني ناهيك عن مميزات شخصية يملكها المجاهد الجزائري تشكل لديه الدافعية أكثر مقارنة مع الفرنسيين، لكن الكثرة تغلب الشجاعة².

بداية العمليات العسكرية أسفرت عن سقوط رئيسا كتيبي الفرقة الثالثة وأصبح أمر نقل الجرحى من الصعوبة بمكان، هذه التطورات الميدانية أجبرت بيجار Bejar إلى التنقل على وجه السرعة لعين المكان ومتابعة الأحداث عن كثب.

1 - عمورة بلشير: المرجع السابق، ص 39.

2- التلفزيون الجزائري: المرجع السابق.

استماتة المجاهدون جعلت المعركة تستمر حتى المغيب¹ دافع فيها المجاهدون بشراسة وتلقى العدو خسائر فادحة، سقوط قتيلان في بداية القتال وهما الرقيب الأول " سانتناك " SANTANAK والملازم الأول " روهر " Rohr مما جعل بيجار يأمر قواته بالرجوع إلى الخطوط الخلفية، لافتتاح المجال للسلاح الجوي والقصف المدفعي حيث ظهرت طائرات ترمي قنابل غازية على المجاهدين أدت إلى انعدام الرؤية وهلاك الكثير، وبحلول الظلام انسحبت تلك الطائرات . حاول المجاهدون فك الحصار من ناحية الوادي فوجدوا المنطقة مطوقة من طرف الجيش الفرنسي، فما كان بوسعهم وقتها إلا الاستبسال والدفاع على النفس في ملحمة بطولية أستشهد خلالها 42 مجاهد التحق بهم 10 من أخوانهم أعدموا بعد أسرهم ونجا منهم 05 هم: الزاوي سليمان، مناد عبد القادر، علي بن عمار، بن حمادي مُجَّد الصالح، بضيف قدور.

- إنشاء مركز بوخلالة: على بعد 120 كلم شمال تيميمون يقع بئر في مكان يسمى بوخلالة قرر بيجار إنشاء مركز للقيادة أين يوجد موقع هبوط الطائرات المنجز من طرف البتروليين، وبدأ في عملية نقل العتاد والجيش إلى عين المكان، ووضع تحت تصرف بيجار الإمكانيات العسكرية التالية²:

- 1- الفرقة الأولى والرابعة
- 2- 6 مروحيات لبرونات
- 3- طائرات بيبير للاستكشاف
- 4- يونكر 52 - 18 طن من العتاد
- 5- 15 طن من البنزين .

1- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 66.

2- عبد المجيد بن يعقوب: المرجع السابق، ص 18.

أصبح مركز بيجار في حاسي بوخلالة مكان للاستنطاق والتعذيب بعيد عن أدنى شروط ومقومات حقوق الإنسان بعيدا عن أعين الرقابة في صحراء مترامية الأطراف، بلغت فيها جرائم بيجار حدود ما يرتقي إلى جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية مستهدفا فيها المدنيين العزل حيث تم تنفيذ حكم الإعدام في حق 24 مجاهدا، بعد تقديمهم لمحاكمة أقل ما يقال عنها صورية حكمها مسبق قبل إثبات الإدانة.

6- اشتباك لقطاب: 1957/12/04م:

على بعد 120 كلم شمال شرق حاسي بوخلالة مكان تواجد مركز بيجار Bejar للاستنطاق والتعذيب، وقع اشتباك عنيف في منطقة تسمى لقطاب بين عناصر الكتيبة الرابعة المظلية لفرقة الليف الأجنبي ومجموعة من جيش التحرير بلغ عددهم 09 كانت مكلفة بنقل المهندس الفرنسي الذي أسر في كمين تسلغة إلى الحدود، وقد تم قتل المهندس الفرنسي من طرف المجاهدين بعد أن اكتشفت طائرات العدو مكانهم فوق الاشتباك¹، الذي أستشهد على أثره مجاهدان وأسر الباقون نقلوا إلى بوخلالة ومنه عبر تيميمون إلى سجن القنادسة، حيث إلتقوا هناك بمجاهدين من تيميمون وادرار مثل بيرادعي مولاي سليمان، بن عيشاوي محمد، بن داره محمد وغيرهم²، ولاذ بالفرار كل من: لمطوش بحوص، لقرع الشيخ، الناصري العيد³.

7- معركة حاسي علي 07 ديسمبر 1957م:

شكل وجود مركز بيجار Bejar السالف الذكر بحاسي بوخلالة معضلة كبيرة لتنقل المجاهدين من وإلى الساورة مكان تواجد قيادة المنطقة الثامنة، وعقد من مهمة الاتصال والتواصل بالرغم من عدم إكتراث المجاهدين للأمر مما تسبب في استشهاد العديد من رجال جيش التحرير الوطني الجزائري بالعرق، وفي هذا الإطار صادف محاولة تسلل عناصر من المجاهدين بلغ عددهم

1- عمورة بلبشير: المرجع السابق، ص45.

2- محمد بن عيشاوي(قروط): مجاهد، مقابلة شخصية بمنزله بأدرار، يوم 2018/02/18م، على الساعة 12:15 سا.

3 - محمد بن الحسين مناد: مجاهد، شهادة مسجلة بتاريخ 2013/05/24م، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

16 على بعد 100 كلم من بوخلالة في منطقة تسمى حاسي علي طلائع استكشافية لقوات العدو الفرنسي، التي أبلغت على ما يبدو مركز القيادة بتحركات مشبوهة لعناصر يمكن أن تكون من الفلاقة الشيء الذي رجح احتمال التحاق سرب من الطائرات بعين المكان، وبدأ في أنزال المظليين خلف قوات جيش التحرير الوطني التي دخلت في اشتباك عنيف مع قوات العدو انتهت بإسقاط 3 طائرات وعديد القتلى في صفوف المظليين، واستشهد 14 مجاهد وأسر البقية، عملية جعلت قيادة الثورة تعيد النظر في عملية الفدى في العرق لعدم توفر الظروف الموضوعية لذلك، هذا ما يفسر استكانة الناحية الثالثة من المنطقة الثامنة للولاية الخامسة التاريخية وركونها للهدوء النسبي إلى حين.

8- باقي معارك العرق الغربي الكبير¹ :

بعد سنة من الهدوء التكتيكي بناحية العرق الغربي الكبير نتيجة استشهاد المحافظ السياسي والعسكري المكلف بالناحية الشهيد هاشمي أمجد (بونافع) في معركة حاسي غنبو 21 نوفمبر 1957م كما سلف وإن ذكرنا آنفا، والفشل الذي عرفته العمليات التي أعقبت معركة حاسي غنبو على غرار اشتباك لقطاب 04 ديسمبر ومعركة حاسي علي 07 ديسمبر من نفس السنة، رأت قيادة الثورة بالمنطقة الثامنة ضرورة بعث نفس الثورة وإحياء العمل العسكري ضد القوات الفرنسية وعملائها بالعرق والمناطق المجاورة له، فتم بذلك تعيين المجاهد حناني علي كمحافظ سياسي وعسكري على الناحية وإعادة تنظيمها هيكليا لتتماشى ومتطلبات الثورة، وتقرر العمل على تطهير الناحية من المعادين للعمل العسكري ضد القوات الفرنسية والمتعاونين معهم، وإعادة الثقة للمواطن بحتمية النصر وقوة جيش التحرير في بلوغ ذلك، ومن هنا بدأت سلسلة من العمليات

1- ميلود بلعقون وآخرون: الشهادة السابقة.

العسكرية انطلاقاً من بني عباس مروراً بالعرق ووصولاً إلى القصور المتاخمة لمنطقة توات الوسطى، نذكر منها: معركة حاسي الشيخ في مارس 1959م، عملية قرن القصعة في صيف نفس السنة، اشتباك حاسي تنوانو في 13 نوفمبر 1959م، معركة دماغ العبيد الأولى في أواخر فيفري 1960م، تبتعتها معركة قرن الرثامية في 11 مارس، اشتباك دماغ العبيد الثانية في 17 مارس، معركة حاسي زيارة في جوان، معركة حاسي ثلجة الأولى في 14 أكتوبر من نفس السنة، يأتي اشتباك أرباق اجراد في 10 أبريل 1961م تلتها معركة دمغت مولاي في 18 أبريل ومعركة حاسي قدور بن يحيى في أواخر ماي ومعركة قرن بوقرافة من 05 إلى 10 أكتوبر واشتباك حاسي علي بن حيمودة نواحي المنيعه وحاسي بن خليل إضافة إلى معركة إيزي أواخر ديسمبر 1961م¹، كل هذه المعارك والاشتباكات كبدت العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وجعلت من خلق المنطقة المثالية في الهدوء ضرب من الجنون، الشيء الذي أربك الإدارة الاستعمارية الفرنسية وأخلط حساباتها، فحاولت إنقاذ الموقف بتفجير أول قنبلة نووية بمنطقة حمودية برقان بتاريخ 13 فبراير 1960م، كان رد جبهة التحرير الوطني توعية أبناء الجزائر بأقصى الجنوب الغربي وتكوين جبهة جنوبية بدولة مالي² الشقيقة لدعم الجهود الحربية وفك الحصار على الثورة، في رسالة واضحة أكدت من خلالها للمستعمر الفرنسي مدى قدرتها على التحكم في الوضع، وإن استمرار الوجود الفرنسي في الجزائر أصبح قضية وقت فقط.

سادسا: الجبهة الجنوبية:

لقد أملت ظروف عديدة على قادة الثورة الجزائرية ضرورة إعطاء نفس جديد للثورة وتوسيع رقعة العمل المسلح تصعيداً لوتيرة المواجهة مع جيش الاحتلال الفرنسي، الذي عرف الصراع بينه

¹ - الشيخ بريك عيشاوي: المقابلة السابقة.

² - عمورة بلبشير: المرجع السابق، ص 128.

وبين جبهة وجيش التحرير الوطني تطورات ميدانية وسياسية فرضت إلزامية تغيير وسائل وأساليب التصدي للمخططات الاستعمارية الرامية إلى عزل الثورة في الشمال، على غرار محاولة فصل الصحراء من خلال إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية وتخصيص حقيبة وزارية للصحراء¹، وذهبت أبعد من ذلك بتجنيد لها لبعض الأعيان ورجال الدين في الصحراء والبلدان الإفريقية المجاورة في محاولة يائسة لتفكيك الوحدة الترابية التي كان يراهن عليها المفاوض الجزائري، في دعوتها المغرضة لتأسيس جمهورية مستقلة للصحراء، وقف لها الشيخ مولاي أحمد الطاهري سدا منيعا حال دون تحقيقها² وانطلاق مزارعها على أهل توات مما عرضه لمضايقات كبيرة من إدارة المحتل سنعود إليها بالتفصيل في مواقف الرجل خلال دراستنا هذه، كما لا يفوتني الإشارة إلى الدور المحوري للشيخ محمد بلكبير في توعية الشباب للالتحاق بمعسكرات الجبهة الجنوبية وحث السكان على المساهمة بما يستطيعون في إنجاح المشروع وهذا ما سيتضح من خلال تواجده كعضو فاعل في مجلس الأمة المعينين لهذا الغرض، وإنشاء المستعمر الفرنسي للمركز الصحراوي للدراسات العسكرية برقان ومركز التجريب العسكري في الواحات لاحقا³، هذه المستجدات والمناورات الفرنسية كانت كافية للمضي قدما في إيجاد بدائل جديدة لدعم الكفاح المسلح وتكثيف الضغوطات.

تبعاً لذلك قامت قيادة الثورة خلال اجتماع المجلس الوطني في نهاية سنة 1959م بطرح وتدارس فكرة إمكانية إنشاء جبهة عسكرية لجيش التحرير الوطني الجزائري على الحدود الجنوبية للجزائر، وتماشيا مع تطور الفكرة طلب قائد الأركان المجاهد هواري بومدين من الطيب فرحات في

1 - عبد الله مقلاتي وحفوظ رموم: الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الإستراتيجي في الثورة الجزائرية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2009م، ص24.

2 - مبارك جعفري: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016م، ص244.

3 - فيكتور مالو سيلفا: رقان حبيبي، تر: سعيد بوطاجين، منشورات عدن، الجزائر، 2013م، ص169.

بداية سنة 1960م ببحث إمكانية تجسيد المشروع¹، وقبلها كانت الحكومة المؤقتة قد طلبت من ممثليها في غانا جمع معلومات ومعرفة رأي الزعماء الأفارقة المعنيين بتحقيق المشروع في الأمر²، والقيام بعملية جس النبض لمعرفة مدى استعدادهم لتبني المشروع وحجم المساعدات التي يمكن تقديمها للثورة، وتتمثل هذه الشخصيات الإفريقية في الرئيس الغيني "سيكو توري" و"ميديو كايثا" رئيس دولة مالي الذي كان يسعى هو الآخر لتحرير مالي³.

ويبدو أن فرانز فانون لم يجد صعوبة في إقناع القادة الأفارقة بتبني المشروع، وقام بإرسال تقرير مفصل عن مجريات مساعيه أفصح فيه عن تأييد كلا الرئيسين ودعمهما السياسي والعسكري للمشروع، فما كان على الحكومة المؤقتة إلا تشكيل بعثة مهمتها الاستطلاع على المناطق المعول عليها في إنشاء مراكز لوحدات جيش التحرير، تكونت من فرانز فانون رئيسا لها وكل من فرحات حميدة المدعو الرائد زكريا وبن سبقاق أحمد مساعدين له وفرقة الاتصالات التي عينها عبد الحفيظ بوصوف : صدار السنوسي وأبو الفتوح والسي العربي والسي علي⁴، بعد وصولهم الأراضي المالية وجدوا وزير داخليتها في استقبالهم وتهيئة الظروف المساعدة لهم في تنفيذ مهمتهم، وفي خلال أسبوع تواجدهم بعاصمة مالي قرر وفد البعثة تشكيل فوجين أحدهم ضم فرانس فانون وبن سبقاق وفرحات والسي علي يتجه إلى منطقة قاوا وكيدال، والفوج الثاني يتجه إلى ناحية كاييس في الشمال الغربي بالقرب من الحدود الموريتانية يتكون من صدار السنوسي وأبو الفتوح والسي

1 - عبد الله مقالتي ومحفوظ رموم: المرجع السابق، ص34.

2 - ينظر: Frantz fanon: pour la révolution africaine, paris: éd François Maspero, 1979, pp¹⁷⁶⁻¹⁸⁹.

3- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 94.

4- عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، ص133.

العربي¹، ونشير إلى التسهيلات الغير متوقعة التي منحها العثور على وثائق الأرشيف الفرنسي تركته المخابرات بقاؤ في تسهل عملية دراستها من الناحية الجغرافيا والوقوف على إمكاناتها السياسية والعسكرية، ومعرفة عدد الجالية الجزائرية هناك ومواقفهم وميولاتهم السياسية، وإعلام قيادة الثورة بتونس حيث تقرر إنشاء جبهة في جنوب الصحراء على الحدود المالية والنيجرية.

وميدانيا تم إيفاد بعثة للإشراف على إنشاء الجبهة الجنوبية ضمت ممثلين عن قيادة هيئة الأركان العامة و هم: النقيب عبد العزيز بوتفليقة وأحمد قايد، الذي ترى بعض الدراسات إنه رافق البعثة إلى مالي ولكنه لم يتوجه إلى مركز القيادة في قاو، بالإضافة إلى عمر أوصديق ممثل الحكومة المؤقتة في غينيا كوناكري وضباط القاعدة الشرقية المفرج عنهم بعد محاولة الانقلاب على الحكومة المؤقتة أو ما يعرف بمؤامرة لعموري سنة 1958م، وبعد استلامهم خطة العمل هناك إنتقلوا من تونس إلى غينيا جوا ثم إلى مالي وبعدها إلى منطقة "قاوا" التي اعتمدت كمركز للقيادة.

كانت الانطلاقة الفعلية في إرساء دعائم الجبهة هناك بتوزيع المهام بين القادة وتحديد المسؤوليات، بحيث كانت على النحو الآتي²:

- عبد العزيز بوتفليقة: قائدا سياسيا وعسكريا.
- عبد الله بلهوشات: عضو قيادة المنطقة مكلفا بالشؤون العسكرية.
- مُحَمَّد الشريف مساعدي: عضو قيادة المنطقة مكلفا بالشؤون السياسية.

1 - ينظر: senoussi saddar: ondes de choc, Alger , editon ANP, 2002, p¹⁴⁵.

2 - مُحَمَّد ديدي وعبد العزيز بكرأوي: إستراتيجية الثورة التحريرية في الصحراء الجبهة الجنوبية كنموذج، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار، السنة الجامعية (2006/2005)م، ص43.

- دراية أحمد: عضو قيادة المنطقة مكلفا بالاتصالات والأخبار.

- عيساني شويشي: مسؤول مصلحة التموين.

- بشير نور الدين: مسؤول مصلحة الصحة.

1- محور مهام الجبهة الجنوبية في الخارج:

ضمانا للاتصال والتواصل بقيادة الثورة في الشمال وتكثيف وجود جبهة التحرير بالمنطقة لجئ المكلفون بالتنظيم إلى ربط منطقة توات بمركز القيادة في قاوا ومنها إلى الساورة ثم وهران نفس الشيء إنطبق على بلاد الاهقار¹.

وبدأت حملة توعوية واسعة في وسط الجالية الجزائرية بالبلدان المجاورة، والقيام بعمليات إحصائية شملت السكان والأماك ونشاطاتهم اليومية وتسجلها في بطاقات إحصائية تشكل قاعدة معطيات للمسؤولين على تنظيم الجبهة، واندرجت هذه العملية تحت مهام موكلة لهيكل من الهياكل التنظيمية للجبهة الجنوبية تسمى قسمة ضمت مجموعة من أعيان توات بمالي والنيجر وهم²:

1- سيد لحبيب رئيسا

7- أقاسم عمر

2- ديدي مولاي عبد الكريم

8- لروي بحوص

3- مرابطي مُجَّد البركة

9- دحاج عبد القادر

4- أبا حسان الجومي

10- بن السي حمو عبد الله بن أحمد

1 - دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 97.

3- مُجَّد ديدي وعبد العزيز بكرأوي: المرجع السابق، ص 45.

5- أقوجيل عبد القادر

11- فرجاني الحاج أحمد

6- لقصاصي عبد القادر بن سيد أحمد

وهناك لجان فرعية تكلف كل منها بالإشراف على مركز من المراكز التي أنشئت لتسهيل عملية التعبئة والتجنيد وجمع الاشتراكات والمساهمات التي تدر بها الجالية على المجندين، على غرار مركز كيدال، أقلهوك، انافيف، تاسليت، بورام ومركز تمبكتو.

ويبدو من خلال التجاوب الكبير الذي وجدته عملية تجنيد أبناء الجالية الجزائرية والإقبال الواسع لفئة الشباب على المراكز إن الجبهة الجنوبية بدأت تحقق جزاء من أهدافها المتمثل في التجنيد والتدريب، بحيث كانوا يقومون مباشرة بتأدية القسم وتسجيل كل المعلومات الخاصة بكل جندي، ورغم العوائق المتعلقة بتأمين وصول السلاح فقد كلفت قيادة الثورة عبد الحفيظ بوصوف بشراء كمية من الأسلحة الخفيفة والنصف الثقيلة تقدر بـ 20 قنطار من تشيكوسلوفاكيا باسم دولة غينيا ليتم تسليمها إلى قيادة الجبهة الجنوبية من السلطات الغينية لتنقل إلى مالي عبر الطريق البري¹.

وتمت مباشرة عملية استقطاب الشباب الراغبين في التجنيد عبر المراكز المخصصة لذلك، هذه المواقع تم اختيارها بعناية ودراسة إستراتيجية موقعها من حيث تواجد الجالية ومن الناحية الطبيعية، ويمكننا التعريف بها فيما يأتي²:

1- عمورة بلشير: المرجع السابق، ص 132 . .

2- محمد ديدي وعبد العزيز بكرابي: المرجع السابق، ص 47 .

أ- مركز كيدال:

تحت إشراف مُجَّد الناجم تم إنشاء ثكنتين عسكريتين في مركز كيدال للتدريب، نظرا لأهميته الإستراتيجية المتمثلة في قربه من الحدود الجزائرية ومن مراكز القيادة بقاوا، ويعد أول مركز عسكري استقرت به وحدات جيش التحرير الوطني بعد مركز القيادة بقاوا، بحيث كانت تتم فيه عملية التجنيد والتدريب¹.

ب- مركز أنتكو: أوكلت له مهمة التدريب والنقل التي اضطلعت بها الكتبية الثانية بقيادة بوجمعة بوسعيد.

ت- مركز انتدني: أنيطت به مهمة الإشراف على المهام العسكرية والمدنية، استقرت به الكتبية الأولى بقيادة أولاد الطالب ميلود.

ث- مركز تساليت: كلف بمهمة التموين والاتصال، عسكرت به الكتبية الثالثة بقيادة سي يحي بوبرينيس.

ج- مركز انتاديني: يقع جنوب ولاية تمنراست مهمته التموين والنقل.

2- محور مهام الجبهة الجنوبية في الداخل:

الشغل الشاغل لدى القائمين على قيادة الجبهة الجنوبية كان التوعية في أوساط السكان عبر اللجان السياسية المشكلة من أعيان القصور وجمع الاشتراكات وإرسالها إلى قيادة الثورة

¹ - مُجَّد بن عيشاوي(قروط): المقابلة السابقة.

بالخارج في شكل سلع وبضائع تنقل من طرف التجار إلى مالي لبيعها وتسليم عائداً لها لقيادة الثورة هناك¹ إلى غاية الإعلان عن وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م.

وفي السياق نفسه يمكن الإشارة إلى نقاط أو مراكز التعبئة والعبور التي أوجدتها قيادة الجبهة الجنوبية عبر القصور الرابطة بين برج لابرير أو برج الشهيد باجي مختار ومقر الولاية حالياً أدرار²؛ لتسهيل عملية التنقل من وإلى المراكز العسكرية وتمت تهيئتها وتكليف مسؤولين بالإشراف عليها وهي:

- مركز رقان: تحت إشراف الحاج الصالح، قدور لقصاصي، مولاي أحمد الرقاني.
- مركز بقصر العلوشية سالي: تحت إشراف مولاي المهدي بن السي حمو _ مر به الكثير من القيادة وهم: احمد دراية، عبد الله بلهوشات، احمد سبقاق، مُجَّد الشريف مساعدية، وقد تم تدريب أكثر من 5 دفعات أرسلت إلى أدرار، عين صالح، تمنراست ومالي.
- مركز تيلولين: تحت إشراف الحاج أمَّجَّد خليلي
- مركز فنوغيل: تحت إشراف متوكل مُجَّد
- مركز تمنطيط: تحت إشراف عبد القادر بن سيدي أحمد ديدي
- مركز أدرار: تحت إشراف حمو كابويا _ أفوجل عبد القادر

¹ - عبد الرحمن كابوية: مجاهد، مقابلة بمنزل المجاهد الحاج عبد القادر دحاج، يوم 2018/02/18م، على الساعة 17:45 سا.

2- دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص 100 .

كلف قيادة الثورة التحريرية مولاي عبد الكريم ديدي بإعادة النظام الإداري لمنطقة أدرار وتيميمون على النحو التالي¹:

. المكتب الإداري: - حمو نكلو - مولاي الطيب - حمو كابويا - مولاي المهدي بن السي حمو - قلوب الشيخ.

- مسؤول الخلية الأم: - أولاد الطالب بحوص.

- مسؤول مجلس الشعب: - الشيخ سيدي محمد بلكبير وأربعة أعضاء هم: - المتوكل - بوعمامة الذيبه - سالم بوجلي - بوضفر الحاج علي.

وبتكاليف جهود الجميع تكلفت مهمة الجهاد ضد التواجد الاستعماري بالنجاح والتوفيق، ويرجع هذا بالأساس للدور المحوري الذي لعبه كل من الشيخ مولاي أحمد الطاهري في إجهاض المخططات الاستعمارية والشيخ سيدي محمد بلكبير في توعية وتجنيد شباب توات في ضرورة نصره المجاهدين بالعرق وإنجاح إستراتيجية الثورة في إرساء قواعد الجبهة الجنوبية.

المبحث الثالث: التركيبة الاجتماعية.

عرفت توات توافد دفعات مختلفة من الأجناس عبر تاريخها الطويل، وبالنظر لموقعها الإستراتيجي الذي يتوسط بلدان السودان الغربي والشمال الإفريقي فإنها كانت ممر مميز لطريق القوافل وما ينتج عنه من اختلاط، ونتيجة استقرار بعض هذه الأجناس تولد عن ذلك بروز أربع فئات² شكلت التركيبة السكانية لتوات كلا حسب أصله ومولده ومكانته الاجتماعية.

1- محمد ديدي وعبد العزيز بكرأوي: المرجع السابق، ص 50 - 51 .

2 - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات، مرجع سابق، ص 101.

(1) **الشرفاء:** يلحق نسبهم بالبيت النبوي الشريف، وهم في توات في الغالب علويون؛ وبدورهم ينقسمون إلى بلغيين على غرار شرفاء سالي ومن ينتمي إليهم ومُجّدين كشرفاء زاوية كنتة ومن ينتمي إليهم، وبعض الأدارسة، تحظى هذه الفئة بالتقدير والاحترام من بقية الفئات يتقرب من خلاهم إلى الله ويتبرك بهم، ولطالما شكلوا الرابط الروحي لسكان توات وعوامل تماسكه.

(2) **المرابطون:** يرتبط نسبهم بصحابة رسول الله ﷺ والصالحون من بعده تولى أغلبهم مهمة تحفيظ كتاب الله وتعليم الناس أمور دينهم، علو همتهم ودمائة أخلاقهم وأمانتهم جعلتهم محل احترام الجميع، ومن الباحثين من ينسب تسميتهم بالمرابطين إلى المجاهدين المرابطين في سبيل الله.

(3) **العرب:** ويتشكلون من باقي القبائل التي اتخذت من أراضي توات مستقرا لها من غير الأشراف والمرابطين والموالي، ويلاحظ على هذه الفئة ملامح وصفات العرب من وجها أبيض مشرب بالسمر والكرم والمروءة والشهامة وخدمة الإسلام وأهله، على غرار سكان ميمون ببلدية سالي ومن ينتمي إليهم من عرب توات.

(4) **الموالي:** وهم في الغالب يوالون فئة من الفئات السابقة الذكر، ويقومون على خدمتهم ويتولون المهام الشاقة عنهم من خدمة الأرض وحفر الفقاير وشق السواقي وبناء الدور، وينحدر أغلب المنتمين لهذه الفئة من قبائل الفلان والبامباز والمانيقو والهوسا¹، مع الزمن أصبح لبعض العناصر من هذه الفئة حظوة ومكانة اجتماعية بسبب احترافهم لمهنة التجارة والحرف واشترى العديد منهم أملاك أسيادهم واستماتوا في خدمتها من أجل الحصول على مكانة محترمة في المجتمع

1 - عبد الله بابا: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112 - 1421هـ / 1700-2000م، رسالة ماجستير غير منشورة، في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بو صفصاف، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أحمد دراية- أدرار الجزائر، السنة الجامعية 2011-2012م، ص13.

التواتي¹، ومنهم من امتهن العلوم وبرز فيها² وبذلك تموقعوا في المجتمع وأصبحوا يشكلون مكون مهم فيه إلى جانب الفئات الأخرى التي تفضل موضع احترام وتقدير دائما.

وفي خاتمة هذا الفصل التعريفي بمنطقة توات وما تضمنته مباحثه من معطيات معرفية عن توات الأرض والسكان، يتضح لنا بجلاء العمق التاريخي والملح الحضاري البادي في تظاهرات الثراء الثقافي والتنوع الجغرافي الذي ميز المنطقة بنواحيها المترامية الأطراف، فشكلت بيئتها الجغرافيا وموقعها الفلكي عامل مساعد لجذب السكان، رغم ما يلاحظ عليها من سمات طاردة للسكان لا تسمح بتشكيل مقومات بناء الحضارة، ولعل هذا التناقض هو من أعطى هذه الأرض ميزة عدم البوح بأسرارها إلا لمن أستأنس لها وحمل نفسه على التوطن بها، على غرار الشعوب والأجناس المختلفة الألوان والأعراق التي استوطنتها، وبنت قصورها وحفرت فقاقيرها وعمرت واحاتها وشيدت حضارتها، ودافعت عنها لما طمع المستعمر فيها، دفاع مستميت خلدت بطولاته في سجل التاريخ؛ من خلال معارك المقاومة الشعبية ضد الاحتلال ومساهمتها الفعالة في الفعل المسلح للثورة التحريرية الجزائرية من أجل الإنعتاق والحرية من المستعمر الفرنسي الغاشم، كانت وستظل منطقة جذب للسكان قدمت وستقدم للحضارة الإنسانية جانب من خلق وإبداعات التواتيين عبر الحقب التاريخية الغابرة، الذين استطاعوا رغم التنوع الإثني والفوارق الاجتماعية أن يشكلوا مجتمع متجانس في مختلف جوانبه، ورغم تداخل عدة عوامل موضوعية مساعدة في ذلك، إلا إنه يمكن إيعاز ذلك بشكل أساسي للعامل الروحي الذي شكل من خلال رجال الدين محور المجتمع وأدوات تماسكه في كل الأحوال والظروف، من خلال الزوايا والمدارس القرآنية التي عرفتها توات، واضطلعت بمهمة قيادة المجتمع وتقومه وترشيد سلوكات أفراده، في الوقت الذي غابت فيه المؤسسات الرسمية للسلطة الفعلية الحاكمة، على مختلف فترات القوى المسيطرة عبر التاريخ، وصولا

¹ - ينظر: Karl Suter: Etude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara Algérien p448.

2 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص101.

الى الفترة الاستعمارية الفرنسية التي غيبت فيها لصالح الجمعيات الخيرية التبشيرية المغرضة للأباء البيض، والإرساليات التنصيرية المختلفة.

الفصل الثاني

مولاي أحمد الطاهري وسيدي

محمد بلكبير

المولد والنشأة

المبحث الأول : الشيخ مولاي أحمد الطاهري.

المبحث الثاني : الشيخ سيدي محمد بلكبير.

الفصل الثاني: مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير المولد والنشأة.

تحتاج الأمم في مسار بنائها الحضاري إلى عوامل مساعدة على البناء سواء كانت مادية أو بشرية، وهذا العامل الأخير هو الأكثر أهمية لماله من محورية تجعل منه حجر الزاوية في البناء الحضارية للأمم، من هذا يبدو إن المولى تبارك وتعالى قد حبي ساكنة توات ومن خلاهم كل الشعب الجزائري بميلاد شخصيتان مهمتان سيكون لهما شأن عظيم في مساره الحضاري، ألا وهما الشيخان مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير وما بلغاه من مكانة، أهلهما أن يقودا قاطرة العلم والمعرفة والإصلاح في المجتمع، وكان لهما قصب السبق في تحصين المجتمع وحمائته من الإنحرافات، وقد كان لتنشئتهما الأسرية وبيئتهما الجغرافية دورا في تكوين شخصيتهما، وتأهيلهما وتشكيل محددات الاستعداد عندهما لتحمل المسؤولية، وهذا ما سيتضح من خلال هذا الفصل الذي يسلط الضوء على جوانب من حياتهما.

المبحث الأول: الشيخ مولاي أحمد الطاهري.

المطلب الأول: مولده ونسبه.

في إحدى القرى التي تسمى بأولاد عبد المولى نواحي منطقة بوجمادة بإقليم شيشاوة التي تنتمي أداريا إلى محافظة مراكش المغربية، بتاريخ 1325هـ الموافق لـ 1907م¹، ولد العلامة الشيخ مولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي المعروف بإدريس، كان والده رحمة الله عليه مولاي عبد المعطي شخصية يميزها النبل والشرف محل احترام وتقدير عند الناس، له في العلم صولة وجولة جعلته من كبار المشايخ والعلماء في زمانه²، شكلت مدرسته لتحفيظ القرآن نواة فعلية لبداية بروز ملامح الشيخ مولاي أحمد بالرغم من التحاق الشيخ عبد المعطي بالرفيق الأعلى وتركه لم يبلغ سن الخامسة من عمره، ومع ذلك كانت النبع الذي اغترف منه والمعين الصافي الذي ارتوى به والخطوة

1 - عبد الله الطاهري: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني وحياته العلمية (1905-1979)م، مذكرة لنيل شهادة الأستاذية غير منشورة، إشراف: أ. أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والجغرافية، بوزريعة: السنة الجامعية (2006-2007)م، ص14.

2- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: فتوحات ألاله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، ط1، ج1، ترجمة لتلميذه وخليفته الحبيب بن عبد الرحمان العلوي، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1994م، ص7.

التي بلغت الألف ميل، كان مولاي أحمد طفل شديد النباهة محب للتفوق على أقرانه ومجارات من يكبرونه في حفظ ما تيسر من القرآن، كما أدرك مبكرا الانعكاسات الخطيرة للاستعمار على الناس والبلاد في جميع مناحي الحياة، والوضع الكارثي الذي وصل إليه الشعب المغربي بسبب الفقر والتجهيل والمسوخ الممنهج والعبث بالمقدسات الإسلامية وحجم التبشير الذي باشرته سلطات الحماية، التي سلبت المغاربة إرادة التصرف في مقدراتهم وإدارة شؤونهم، والأکید هذا ما يمكن أن يصدق على بقية الشعوب المستعمرة خصوصا العربية منها والإسلامية، هذه المعطيات شكلت الدافعية لمولاي أحمد الطاهر في ما سيقدم عليه من تحمل مسؤولية التصدي للمشاريع التجهيلية والتغريبية إنما كانت بالسهر على تعليم أبناء الأمة كتاب الله وسنة رسوله والعودة إلى منابع الصفى وما سار عليه الصحابة والتابعين.

يتصل نسب الشيخ مولاي أحمد الطاهري¹ بالشرفاء الأدارسة السباعيين، وقد وردت سلسلة نسبه في شجرة أنسابهم كما يلي : "وهو احمد المعروف بالطاهر بن عبد المعطي بن احمد بن محمد بن عبد المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبد المولى بن عبد الرحمن الغازي بن عمرو بن أعمر بن مولانا عامر المكنى بابي السباع بن إحرز بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إدريس بن محمد بن يوسف بن زيد بن عبد المنعم بن عبد الواسع بن عبد الدايم بن عمر بن سعيد بن عبد الرحمن بن سالم بن عزوز بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد الله بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن عامر بن محمد بن عبد الحميد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين... وهكذا ساق هذا العمود الشريف والعقد النفيس غير واحد من العلماء الأخيار العاملين الأبرار، كالشيخ سيدي محمد المجلسي والإمام المؤرخ الكبير الواعية الشهير الذي انتقلت إليه رئاسة التاريخ بلا نكير العلامة أبي زيد بن خلدون، وإمام المحدثين الحافظ السيوطي والعشماوي... أما ابن خلدون فقد

1 - ينظر : صورة الشيخ مولاي أحمد، الملحق رقم 03.

الفصل الثاني مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير المولد والنشأة

ذكر السباعيين في تاريخه الصغير، والسيوطي في تأليفه شجرة الأنساب والعشماوي في مؤلفه المنفرد في ذكر الشرفاء...¹.

ونسب الشيخ يعود إلى الأدارسة الذين أسسوا الدولة الإدريسية² في المغرب الأقصى؛ ويعود تأسيسها إلى إدريس الأكبر القادم من المدينة المنورة بعد اضطهاد العباسيين لهم فكان ممن نجا من أهله فقصده بلاد المغرب وأسس الدولة عام اثنان وسبعون ومائة 172هـ، وتوسع بفتوحاته إلى تلمسان أين كانت قبيلتي مغراوة وبني يفرن.

أما كنيته "السباعية" فهي لجدته عامر الهامل الذي عاش في القرن الثامن الهجري، والسباعيين استوطنوا الصحراء وتاريخهم على مر العصور حافل بالماثر التي كانت تصدر من فطاحل العلماء والمجاهدين الذين أبلاوا البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الإسلام³.

1 - عبد الله بن عبد المعطي الحسني الإدريسي: الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع، المطبعة الطائفة، 1986م، ص 17-32.

2 - الدولة الإدريسية: يعتبر إدريس الأكبر هو مؤسس الدولة الإدريسية، كان المغرب الأقصى قبل ظهور الأدارسة يتكون من عدة دويلات تتنازع حكمها قوى مختلفة، وقد تمكن المولى إدريس بن عبد الله المنتسب للبيت النبوي الشريف من الوصول إلى المغرب سنة (172هـ - 788م)، وبايعته قبيلة أوربة بمدينة ويلي، بعد اغتيال إدريس الأكبر بايع المغاربة ابنه إدريس الثاني سنة 803م، عرفت الدولة الإدريسية تطور كبير على يد إدريس الثاني، الذي عمل على توسيع دولته وتأسيس عدة مدن أهمها فاس، كان للعاصمة فاس إشعاع حضاري متميز: أسس السلطان إدريس الثاني مدينة فاس (عدوة الأندلس) سنة 808م، على هضبة سايس، ثم بنى سنة 809 عدوة القرويين، بعده قام ابنه محمد بن إدريس الثاني (828 - 836م) بتقسيم المملكة بين إخوته الشيء الذي أضعف البلاد واثّر على وحدتها، بدأت بعدها مرحلة الحروب الداخلية بين الإخوة بداية من سنة 932م، وقع الأدارسة تحت سلطة الأمويين حكام الأندلس والذين قاموا لمرات عدة بشن حملات في المغرب لإبعاد الأدارسة عن السلطة، بعد معارك ومفاوضات شاقة تمكنت جيوش الأمويين من القبض على آخر الأدارسة الحسن الحجام والذي استطاع لبعض الوقت من أن يستولي على منطقة الريف وشمال المغرب، قبض عليه سنة 974م، وثم اقتياده أسيرا إلى قرطبة توفي هناك سنة 985م. ينظر: عباس نصر الله سعدون: دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص 76-83.

3 - أحمد الشيباني الإدريسي: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، مكتبة رائد الأمان، الرباط، 1987م، ص 247.

وسبب الكنية السباعية هي: "... أن عامر الهامل عندما ذاع صيته واشتهر بين الناس، أرادت قبيلة البراييش أن تختبر ولايته فأرسلت إليه وفداً من الفرسان حوالي تسعة وتسعين فرحب بهم وأبدى لهم الكثير من البشاشة والإكرام، وقدم لهم الطعام فلم يرضوا بذلك وقالوا لقد قصرت في ضيافتنا ولم تقدرنا حق قدرنا فلما تبين له قصدهم وعرف مرادهم صاح بأعلى صوته "يا ميمون"، فأحاطت بهم السباع من كل جانب وصارت تناوشهم حتى لاذوا به وتلقوا بأذياله وصاروا يتضرعون أن يكف عنهم سباعه فرجعت عنهم السباع فتابوا بعد ذلك وأقروا بولايته..."¹.

المطلب الثاني: نشأته ودراسته.

توفي والده رحمة الله عليه، ومولاي أحمد ابن السابع سنوات، وبعد ذلك تولاه أخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان علامة وباحثاً وعلى درجة كبيرة من العلم حتى أصبح سيد العلماء في مراکش وأحوازها².

تلقى الشيخ مولاي أحمد تعليمه على يد أخيه مند سن السابعة، وبلوغه سن العاشرة من عمره حفظ القرآن، وعقد العزم وثمر على ساعد الجد في طلب العلم، ونال منه الحظ الوافر على مذهب الإمام مالك كرم الله وجهه في أصوله وفروعه، وتضلع في شتى أنواع العلوم فكان نحوياً بليغاً، وفي كلامه منطق وحجة وإقناع، لا يبدي رأي إلا وأعاده لصاحبه ولا حكماً إلا أصل له، مفسراً بعقل ونقل، تكتشف في حديثه إنه واسع الإطلاع لم يقف عند جنس من العلوم فله من الفلسفة نصيب وفي الرياضيات حساباً وفرضيات فقيهاً، ذا علم بالقراءات مجداً في البحث عن كل مستجد حتى انتهى لمقام الإفادة والاستفادة، وسلك طريق السادة الصوفية في تقربه من الله وزهده في الفانية، عن طريق شيخه وأخيه مولاي عبد الله الذي أجازه في ذلك³، وأعانه في رسم خريطة الطريق إلى الله وعباده، على الطريقة القادرية⁴.

1 - مولاي أحمد لشقر: الإيداع والإتباع في تركية شرف أبناء أبي السباع، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، ص 56-57.

2 - الطاهري عبد الله: المرجع السابق، ص 15.

3 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: فتوحات أله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، المصدر السابق، ص 7.

4 - الطريقة القادرية: تعتبر الطريقة القادرية من أقدم الطرق التي ظهرت في القرن 5 هـ - 11 م يرجع تأسيسها إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني المولود بمدينة جيلان سنة (471هـ - 1077 م). أنظر: الزهرة مسعودي: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، رسالة ماجستير غير منشورة، المشرف: عبد الكريم=

تبحر الشيخ مولاي أحمد الطاهري، في عالم العلوم من الدنيا والدين، مستعينا بالله وبجمهرة من العلماء، نذكر منهم، أخيه الشيخ مولاي عبد الله الذي كان يعرف بالسيد غالب العلماء في المغرب، تفرغ للتدريس والإشراف على مدرسة والده بعد أخيه، حيث شهدت المدرسة في عهده ازدهارا واسعا ونشاط علمي كبير¹.

فكما ذكرنا أخذ الشيخ -رحمه الله- العلم عن أخيه الشيخ مولاي عبد الله عن أبيه مولاي عبد المعطي عن أحمد بن مبارك الرموكي عن محمد بن محمد الهلالي، عن الشيخ سيد أحمد بن محمد الميموني، عن الشيخ سيدي محمد بن يحيى، عن الشيخ أحمد الضحكي عن الشيخ أحمد الصوابي عن الشيخ سيدي احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، عن الشيخ سيدي أحمد السكوتي، عن سيدي إبراهيم بن حسان الكودي الكوزاني عن الشيخ سيدي عبد الله الأهواز، عن الشيخ سيدي أحمد محمد بن أحمد النهرواني، عن والده أبو الفتوح الطاووس عن الشيخ بابا موسى الهواري عن الشيخ بن شاد يخت الفارسي الفرعاني، عن الشيخ أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقليل بن شاهان بن معمر الختلائي، عن الشيخ سيدي محمد بن يوسف البربري عن الشيخ يزيد بن محمد بن إسماعيل البخاري عن الشيخ المكي بن إبراهيم عن الشيخ يزيد بن عبيد الله عن الشيخ مسلمة بن الأكوع رضي الله عنه، عن عين الرحمة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه هي السلسلة الطاهرة التي اغترف منها الشيخ علومه وسقي منها وسيظل سقيها إلى حيث شاء الله².

المطلب الثالث: رحلاته العلمية.

1- الشيخ في شنقيط:

بعدهما أثبت الشيخ مولاي أحمد وجوده وبدأ يبرز بين علماء ناحيته رأى أن يسير في أرض الله الواسعة، على سنة الرعيل الأول من علماء الإسلام، للفائدة والإفادة، فشد الرحال من مسقط

=بوصفصاف، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية جامعة أحمد دراية - أدرار، السنة الجامعية(2009 - 2010)م، ص49.

1- صالح بن بكار السباعي: الأئمة والإمامة في اعلام الأشراف أولاد أبي السباع، ط2، مطبوعات الرابطة العلمية للشرفاء السباعيين، الرباط، 2005م، ص114.

2- عبد العزيز محجوبي ومحمد بن عزوي: شخصية مولاي أحمد الطاهري ومآثره في توات، رسالة تخرج غير منشورة، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية، بسكرة، السنة الدراسية (2005 - 2006)م، ص10.

رأسه عام 1342هـ الموافق 1923م متجها إلى أرض موريتانيا فحطت به الرحال بأرض شنقيط، مسقط رأس الأشراف السباعيين¹ أجداده شمال الصحراء الموريتانية، وهي تذخر بالعلم والعلماء وتفاجيء بجملة الاستقبال وحفاوة الترحاب من عامتها وخاصتها، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما أنشده الشاعر المعروف بتلكم الديار محمد السالم بن أبي ايوب اليعقوبي، بقصيدة شعرية يمجدها فيها الشيخ ويفتخر باصوله الشريفة²، فرد عليه الشيخ مولاي أحمد الطاهري بقصيدة مماثلة، توازيها في الإتجاه والمقصد تساويها في شدة الحرارة والإعتراف بفضل الأختيار³.

وأقام بشنقيط ما شاء الله له مع أقاربه السباعيين، وتصدر في المنطقة للتعليم والتدريس فتخرج على يديه علماء جهابذة نقاد⁴، وصادف وجوده سجل فكري إفتعله أحد علماء شنقيط في مدينة آطار المحاذية لها يدعى " ابن عبد الهادي " عن كرامة أولياء الله الصالحين فرد عليه الشيخ مولاي إحمد بتأليف عنونه بـ " مورد الظمان الصادي في الرد على ابن الهادي ".

2- الشيخ في تمبكتو:

أما محطته الثانية في هذه الرحلة كانت بلاد تمبكتو بمالي الآن، التي وصل إليها سنة 1356هـ الموافق 1937م والتقى بعلماء أجلاء في هذه المنطقة وتراجعوا بينهم في مسائل عديدة ونكت غريبة، ورغم ما لاقاه من حرارة الترحاب وآداب المعاملة إلا إنه لم يطل المقام ومنها انتقل إلى بلدة " تھانت " مسكن أبناء سيد المختر الكنتي، ومنها شد الرحال مع القوافل القاصدة أرض توات.

1 - السباعيين أشراف استوطنوا الصحراء الموريتانية وتاريخهم على مر العصور حافل بالمآثر التي كانت تصدر من فطاحل العلماء والمجاهدين الذين أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الإسلام. أنظر: أحمد الشيباني الإدريسي: المرجع السابق، ص247.

2 - ينظر: الملحق رقم 04.

3 - نفسه.

4- الشيخ مولاي التوهامي غيتاوي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، ط1، ج2، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، مارس 2005م، ص93.

3- الشيخ في توات:

وفي 1356هـ الموافق 1937م خرج الشيخ مولاي أحمد من بلاد تمبكتو برفقة جماعة منها، متوجهين إلى توات، فوصلوها في شهر ربيع الأول من نفس السنة¹.

في حين يرى تلميذه الشيخ محمد باي بلعالم؛ أن دخوله لم يكن في عام 1356هـ بل كان عام 1363هـ الموافق لـ 1944م²، وانتهى المطاف بالشيخ إلى منطقة توات فكان أول ما دخل نزل بقصر تاوريرت³ على بعد 5 كلم عن رقان، ثم منه إلى رقان عند السيد لقصاصي الحاج قدور الذي كان مشهورا بإيواء التجار والمسافرين الوافدين، ويتميز الشيخ عن غيره من المسافرين بحمله مجموعة من أدوات العلم من كتب وأقلام وغيرها، فأرشده السيد لقصاصي إلى بلدة سالي وهي تابعة لمقاطعة رقان⁴ التي كان بها الشرفاء آل السبحمو بقصر العلوشية يبحثون عن معلم لأبنائهم بأمور الدين ويدرسهم شتى فنون العلم، فلما دخل سالي اجتمع بمنزلهم بعالم جليل جعفري النسب وهو سيدي محمد ابن الحاج من قصر تلولين⁵، فبعدهما تفرق الجلساء عنهما بعد العشاء استقر بهما المجلس فتجاريا في بعض المسائل العلمية، فوجده الجعفري في العلم بحرا لا ساحل له وتعجب فيما انطوى عليه من العلوم فقال سبحان الله "لله دره عالماً"، فلما أصبح الله بالصباح وجاء سيدي المهدي وإخوانه وهم كبراء البلاد، قال لهم الجعفري من أول وهلة هذه ذخيرتكم النفيسة وبغيتكم المنيفة، فها هو العالم الذي كنتم تتمنون ساقه الله هدية إليكم ونفحة أكرم بها الله حيكم، ففرحوا به غاية الفرح وقابلوه بالابتهاج والسرور ورحبوا وبروا به غاية الترحيب والبرور، فأخبروه بما كانوا يتمنون فلباهم فيما يقصدون ويريدون⁶.

- 1- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجيروم، ترجمة للشيخ عن طريق تلميذه السيد الحبيب بن عبد الرحمان، ط1، مطبعة الواحات، غرداية، دون سنة طبع، ص ص6-7.
- 2- الشيخ محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص357.
- 3- مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص137.
- 4- ينظر: الخريطة التوضيحية لرحلة الشيخ العلمية الملحق رقم01.
- 5- مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص163.
- 6- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: فتوحات الإله الملك، المرجع السابق، ص8-9.

4-ركبه العلمي:

بعد إرساء دعائم المدرسة القرآنية، وبداية بروز نتائجها العلمية وانعكاس ذلك على أهل سالي في دينهم وديناهم، تطلع الشيخ مولاي أحمد الطاهري إلى تعميم نفع مركز إشعاعه العلمي والإصلاحي على عموم أرض توات بمناطقها الثلاث، تدكلت وتوات الوسطى وقورارة، فسن سنة حسنة تمثلت في ركه العلمي الذي كان يجوب المناطق المذكورة، يعقد في قصورها المجالس العلمية، لتفقيه الناس في أمور دينهم، وإفهامهم ما أشكل عليهم من مسائل في دينهم وديناهم، كان الشيخ يسير في موكب مهيب يحفه الجلال والوقار، ما حل بقصر إلا لقي من أهله جميل التقدير والاحترام، باديا ذلك من خلال مظاهر استقباله أو درجة الاهتمام بمجالسه التي لا يتأخر عنها كبير ولا صغير رجل كان أو امرأة، طالبين لعلمه راغبين فيما عنده، وهكذا دأب على هذا المنوال الذي يعتبر امتداد لسنة سيد الأولين والتابعين من بعده، وبالمقابل تشملته الناس بالهدايا العظام والعطايا الجسام بطيب أنفسهم وصدق نياتهم¹.

وقد تعدت رحلاته العلمية حدود المنطقة، فشملت عين صالح وتمنراست ثم عين أميناس وإليزي وورقلة مرورا بحاسي مسعود وغرداية وهو يقول: "بيننا وبين أهالي هذه المناطق كتاب الله نقرأه ونفسره"²، كان هذ سنة 1975م خلال شهر صفر إلى أواخر ربيع الأول، ومازالت هذه الرحلات العلمية تقليد سنوي للمدرسة الطاهرية، والحق يذكر أن الشيخ سيدي مولاي أحمد الإدريسي قد جاء لتوات وهي يومئذ تئن تحت وطأة الجهل والأمية، وإليه يرجع الفضل في إزدهار الحركة العلمية والثقافية في توات خلال القرن الرابع عشر الهجري³.

1- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: فتوحات الإله الملك، المرجع السابق، ص 10-11.

2- عبد العزيز محجوبي ومحمد بن عزاوي: المرجع السابق، ص 23-24.

3- الصديق حاج أحمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، ط1، الجزائر، 2003م، ص 13.

المبحث الثاني: الشيخ سيدي محمد بلكبير.

المطلب الأول: مولده ونسبه.

هو الشيخ محمد بلكبير¹ (بن لكبير)² بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن أحمد بن داود بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن السلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن يونس بن مدني بن داني بن سكناس بن مغراوة بن قيس بن قيس بن محمد بن محمد بن أبيان بن الخليفة الثالث ذو النورين الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف³.

ولد بقصر الغمارة من قصور بودة الواقعة على بعد 25 كلم جنوب غرب مدينة أدرار سنة 1911م الموافق 1330هـ، من أبوين كريمين هما السيد عبد الله بن محمد، والسيدة أمباركة رحموني رحمهما الله من قصر بني اللو.

قبل بلوغه الثلاثة سنوات من العمر توفيت والدته رحمها الله تاركة فراغ لا يمكن سده، ليتولاه السيد الوالد بالرعاية والتربية إلى جانب باقي أبنائه، وشاءت الأقدار أن يلتحق أبنائه الثلاثة أمحمد وعبد الرحمن وأحمد بوالدتهم وهم في سن الزهور تاركين أخوهم الشيخ محمد بلكبير والحاج عبد القادر⁴؛ أخوهم من زوجة أبيهم السيدة الفاضلة حموية غانمي التي أنجبت له بنتان كذلك هما مستورة وعائشة فتربوا جميعا في كنف أبيهم الذي كان لهم الأب والأخ والمعلم.

1 - ينظر: صورة الشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير، الملحق رقم 05.

2 - ينظر: وثيقة الحالة المدنية، الملحق رقم 06.

3 - الشيخ مولاي النهامي غيتاوي: الضوء المستنير، المرجع السابق، ص 09.

4 - عبد القادر: الأخ الغير شقيق للشيخ محمد بلكبير، ولد سنة 1925م بقرية الغمارة بلدية بودة الواقعة على بعد 25 كلم جنوب عاصمة الولاية أدرار، تلقى تعليمه في كتاب القرية ثم انتقل إلى مدرسة سيدي بوغراة بعاصمة تيدكلت تيميمون بعدما تولى مهامها أخوه الشيخ محمد بلكبير، ومن حينها وهو ملازم له تلميذا وأخا وصديق، وفته المنية سنة 2005 بأدرار. ينظر: محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص فقه وأصول، إشراف: سعيد فكرة، كلية علوم الشريعة، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية (2016-2017)م، ص 50.

المطلب الثاني: نشأته ودراسته.

رغم فقدانه لجزء مهم من العوامل المساعدة في تشكل شخصيته هي أمه في الوقت الذي كان أحوج ما يكون إليها، إلا أن الله أجل وأعلم فهذا الحرمان كان عاملاً قوياً ودافعاً للتفوق والعطاء، فبدخوله أقريش¹ أظهر رغبة كبيرة في التعلم ومقدرة هائلة على حفظ القرآن، تعلم أبجديات اللغة العربية وقراءة القرآن على يد الإمام المدرس بالقصر الشيخ محمد بن عبد الرحمن.

في بيئة أقل ما يقال عنها أنها علمية ومساعدة على تفتيح قريحة المرء، فالأب الكريم من حفظة كتاب الله ورواد المسجد المشهود لهم بالتقوى والصلاح، وعمه إمام بمسجد القصر ومدرس للقرآن، وخاله المهدي من وجهاء قصر بني اللو بنفس الجهة بودة وفقه معروف بتصوفه، شب الشيخ محمد بلكبير وترعرع وأشدت عوده وتمكن من متون الفقه والنحو والتوحيد على غرار الرسالة والألفية².

اجتمعت كل هذه المعطيات الموضوعية لتشكل عاملاً من عوامل النجاح والتفوق عند الشيخ محمد بلكبير، ساهمت بشكل أو بآخر في تمهيد طريق العروج إلى ما بلغه من مكانة علمية واجتماعية.

التعلق بأهل العلم وحبه للعلم والتعلم جزئيات مهمة طغت على شخصية الشيخ محمد بلكبير، وميزته عن بقية أقرانه وطبعت مساره العلمي.

تمكن رحمه الله أن يمتلك مهارات التفوق العلمي في شتى المعارف المتاحة لطلبة المدارس الدينية، وساعدته مقدرته الهائلة على الحفظ وقدرته المنقطعة النظير على التذكر من إثارة انتباه مشايخه فتنبؤاً له بمستقبل واعد.

1 - أقريش: هو المصطلح المستعمل للكتاب باللسان الدارج عند أهل توات ويرجح أنه الاسم الأمازيغي للمحل الذي يحفظ فيه القرآن، ويلقن فيه المبادئ الأولية للدين الإسلامي

2 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال وحدة الروبية، الجزائر، 2002م، ص11.

قل ما نجد شخصية يتفق في توصيفها بقدر ما لمسناه بالنسبة لشخص الشيخ بلكبير الذي أجمع السواد الأعظم من معارفه وتلامذته الذين قابلتهم، على أنه كان أبيض الملامح مشرب بالسمر، مربع القد، جميل الهيئة، يتميز ببصيرة ثابتة سرعة في الفهم وكلام لا تجانبه الحكمة والرزانة، طبعه هادئ وشكيمته قوية يحفه الجلال والوقار مهاب الجانب¹.

في الحديث عن سلوكياته فهو انعكاس فعلي لما احتواه في صدره ووعاه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسير التابعين وأهل العلم والصلاح، شهادات أبدأها لنا العديد من تلامذته ومعلمي القرآن والمشايخ والمعاصرين له ممن كانوا على مسافة قريبة منه "... إن أخلاق الشيخ كانت مستمدة من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، من حلم وكرم وعلم وعمل ووقار وخشية لله عز وجل وزهد..."².

وأضافوا عن ما لامسوه في شخصه من أخلاق كانت تظفي على معاملته لهم كمنتسبين أو مع العامة من الناس وحتى المسؤولين: "... كان الشيخ محمد بلكبير متخلقا بخلق القرآن والسنة..."³.

ومما عرف عن الشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير رحمه الله أنه كان لا يعر اهتمام للمال، وقد تداول الشارح العديد من الحالات التي تدخل الشك أحيانا بصدقها لما يلاحظ فيها من ما يمكن أن نعتبره مبالغة لما نعرفه عن الإنسان اليوم، إلا إننا لمسنا إمكانية صدق هذه المعلومات من خلال لقاءاتنا مع بعض خريجي مدرسة الشيخ محمد بلكبير ممن عاصروه وهو في كامل عافيته⁴.

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المرجع السابق، ص 40.

2 - الحاج أحمد حفاري: من تلامذة الشيخ وأحد أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الشيخ محمد بلكبير، مقابلة بالمدرسة المجاورة لمسجد الشيخ سيدي محمد بلكبير بأدرار، بتاريخ 2018/04/05 م على الساعة 10:15 سا.

3 - شهادة الشيخ الحاج المهدي رابح: خريج مدرسة الشيخ بلكبير. ينظر: مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المرجع السابق، ص 39 - 49.

4 - محمد عبد الحق بكرابي: أحد تلامذة الشيخ أستاذ بجامعة أدرار قسم العلوم الإسلامية، مقابلة في منزله بأدرار، بتاريخ 2018/05/05 م على الساعة 10:30 سا.

وفي كل الأحوال كان الشيخ محمد بلكبير من طينة العلماء الكبار زاهدا في الفانية عاقد العزم على تأدية رسالته العلمية، عاطيا في ذلك المثال والنموذج الذي يقتدى به، سيرته وسلوكاته كتاب الله وما جاء عن محمد رسول الله قولاً وفعلاً، مما أكسبه احترام الناس ومحبتهم مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية أو وظائفهم الحكومية، التواضع له عنوان والحلم والسماح ورحابة الصدر والتبسم مرسوم على محياه بهذه المواصفات بلغ درجته عند الله وعباده ومن أحبه الله أحبته الناس.

بحكم إن بلاد المغرب عرفت بكون سكانها على مذهب الإمام مالك كرم الله وجهه، وهذه المسألة يرجع تاريخها للعهد المرابطي¹ الذي عرف انتشار واسع لهذا المذهب، الشيء الذي جعله محل اهتمام من علماء توات فبرزوا فيه وتفننوا في تعليمه بنظمهم لمتون تسهل التفقه في هذا المذهب، ونجد خزائن المخطوطات التي تعد إرث حضاري للإنسان عبر تاريخ تواجده بتوات تذخر بهذه المتون والتفاسير.

ولم يشذ الشيخ محمد بلكبير عن القاعدة وهكذا نجده منذ نعومة أظافره انبرى لحفظ المتون المتعلقة بهذا المذهب والتبحر فيها على يد مشايخه ومن أحتك بهم من العلماء في مراحل دراسته.

هذا يقودنا إلى اعتبار الشيخ مالكي المذهب بل من علمائه المتضلعين، كان مرجعية في المعارف الفقهية عند السادة المالكية، ومع ذلك لم يغنيه ذلك عن معرفته بباقي المذاهب وهذا حال العلماء في عصره موسوعيين في الغالب، لا يختصون في جنس فقه بعينه لأنهم علماء أمة لا علماء طائفة مذهبية معينة، وهذا بفضل الاجتهاد والبحث والتقصي مما مكنه من الوقوف على أهم مشكلات

1 - المرابطين: تطلق على دولة أسسها عبد الله بن ياسين الجدولي ما بين 1056-1060م، كان هدفها الأساسي الدعوة إلى نشر الإسلام؛ حيث انطلقت من موريتانيا إلى بلاد غانا وصولاً إلى الصحراء الغربية والمغرب، انتهت بغرب الجزائر ومراكش ، وقد اتبعت الدولة المذهب المالكي، واتخذت أعماط ثم مراكش عاصمة لها، بعد مجده وقوة عرفت تراجع على جميع المستويات توالى عليها النكبات وقيام الثورات في الأندلس وفي المغرب حيث قامت حركة الموحدون التي قضت على دولة المرابطين بدخولها العاصمة مراكش سنة 541 هـ 1147م. ينظر: حامد محمد الخليفة: انتصارات يوسف بن تاشفين، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، 2004م، ص11.

عصره وزمانه في المسائل الدينية ذات الاتجاه الفقهي، بل وكانت له فتاوى واجتهادات شخصية تجعله في مصاف كبار العلماء¹.

ويتناقل عنه تلامذته العديد من الاجتهادات في مجال العلوم الدينية للاختصاص ومجالات حياتية أخرى لكونه العالم المرجع في المنطقة، ومن المسائل المتداولة إشكالية القبض والسدل في الصلاة وما نتج عنها من لغط بين عامة الناس في المنطقة، باعتبارها غير مألوفة بين أهلها ولم يسبق وأن كان أحد علماء توات أو مشايخها يعرف عنه أنه يقبض في صلاته، هذا ما لمسناه من خلال هذه الشهادة لأحد تلامذته الذي قال إن الشيخ محمد بلكبير سئل عن رأيه في القبض فكانت إجابته "...ينبغي ألا ينكر السادل على القابض ولا القابض على السادل، وإذا وجد القابض جماعة يسدلون سدلاً، وإذا وجد السادل جماعة يقبضون قبض حتى لا يلفت أنظار الناس إليه، ولا توضع له علامة إستفهام، ولا ينبغي للمسلمين أن يختلفوا ويتجادلوا في مسائل مثل هذه، ومن العار والفضيحة أن يقتتل المسلمون أو يتقاطعوا أو يتدابروا من أجل سنة أو مندوب؛ فالسنة سنة والمندوب مندوب والفتنة حرام وعواقبها وخيمة، قال رسول الله ﷺ: "...الفتنة نائمة ملعون من أيقظها..."²، وبالحكمة والموعظة الحسنة عود الشيخ سيد الحاج محمد بلكبير تلامذته ومن خلالهم عامة الناس التعاطي مع الإشكالات، بعيد عن التشنج والانفعال والتعصب لرأي وإنكار الآراء الأخرى، مبرزاً في سلوكه هذا المغزى السامي لرسالة المحمدية.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية وجوانب من شخصيته.

إن بوادر التفوق العلمي التي أبدتها منذ نعومة أظافره والوسط الاجتماعي الذي كان أرضية مناسبة للنجاح، عوامل اجتمعت في الشيخ محمد بلكبير لتجعل منه شخصية لا ترضى من دون

1 - محمد عبد الحق بكرأوي: المقابلة السابقة.

2 - إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدس، القاهرة، 1932م، رقم 1817.

البحث عن مصادر المعرفة آن وجدة بديلا، وهذا ما بدى من شدة حرصه على حفظ القرآن ومجالسة أهل العلم في بلدته والاحتكاك بهم، هذا ولدى في نفسه الفضول العلمي الذي يعد دافعا رئيسي في بلوغ المعالي وتحقيق السبق المعرفي، الأمر الذي دفع بالشيخ محمد بلكبير منذ أن بلغ ريعان شبابه أن ينتقل من مسقط رأسه باحثا عن المزيد من العلوم، ومتعرفا على شيوخ زمانه، الذين كان لهم السبق آنذاك في شتى علوم الدين والدنيا، ومن ثمة وصل إلى مدن العلم وحواضره¹، فقد رأى خاله سيدي محمد بلمهدي ضرورة انتقاله إلى حاضرة توات العلمية والثقافية والتجارية عند العلامة سيدي أحمد بن ديدي؛ صاحب المدرسة الدينية البكرية بتمنيط² الشيء الذي راق للسيد الوالد وباركه، لتبدء منها رحلته العلمية نحو الأفاق.

1- الشيخ في تمنيط:

تمنيط بثقلها الحضاري كانت ولا تزال حاضرة علمية في المنطقة التواتية، بل ومنبعا فكريا لا ينضب وهو الأمر الذي دفع بوالد الشيخ محمد بلكبير إلى إرساله برفقة خاله محمد بن المهدي إليها، بتوصيته وهو يهم بالرحيل إلى تمنيط: "...يا بني إذا كنت للعلم طالبا، وللخير سائلا، فليس لك بدٌ من الوقوف والجلوس عند بحر البحور، والنزول عند عالم الأعلام، تستفيد من معارفه وتعرف من كمالاته..."³.

كان السيد الوالد قد أدرك همة ابنه وتعلقه بالعلم والعلماء، ومن ثم فلا بد من توجيهه ومساعدته بارتياح المكان الذي يحقق له همته ومبتغاه، ولم يكن أفضل من انتسابه إلى الزاوية البكرية⁴ التي كانت ذائعة الصيت محورا مهم في المعادلة الاجتماعية بتوات، في ظل الظروف الاستعمارية الصعبة، كان

1 - ينظر: الخريطة التوضيحية لرحلة الشيخ العلمية الملحق رقم 01.

2 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المرجع السابق، ص 12.

3 - الحاج أحمد حفاري: المقابلة السابقة.

4 - الزاوية البكرية: أسسها سيد البكري عام 1112هـ 1701م بتمنيط، وكانت مركزا علميا للتدريس والإفتاء والقضاء، وبرزت بشكل كبير مع الشيخ والقاضي عبد الكريم بن أحمد، وهي إلى اليوم قطب علمي يستقطب رجال الدين والعلماء من كل المعمورة. ينظر: عبد الله بابا: مرجع سابق، ص 58.

الشيخ بلكبير قد حفظ القرآن في أقريش جامع قريته قبل انتقاله لتمنيط، لهذا السبب نجد أن الشيخ بلكبير أفتح بالزاوية البكرية مختصر خليل وجعل فيه وقفين، الأولى في البداية، والثانية في باب البيوع، إلا إنه لم يوفق في إتمام حفظه في المدة التي اتفق فيها مع السيد الوالد مما حتم عليه ضرورة العودة إلى الديار لإستأذانه في تمديدها، فأذن له بسنتين إضافيتين لأن مختصر خليل كان يحفظ في العادة خلال أربع سنوات، "...في هذه الفترة يقول الشيخ رحمه الله : أن الشيخ أحمد كان يحبه، وكان يجلسه بجواره، ويضع ركبتيه عليه دوما أثناء التدريس..."¹.

يقول الشيخ الحاج الطاهر : "...تلقى الشيخ بتمنيط ما قدر الله له من العلوم الشرعية والعربية، من توحيد وفقه وحديث وتصوف وتفسير وآداب ونحو ولغة وصرف على يد العلامة الشيخ أحمد ديدي عالم وقته ومصباح زمانه، حيث مكث عنده ثلاث سنوات، كانت بأيامها ولياليها ميدانا فسيحا للعمل المتواصل، تقدر حصيلتها بثلاثين سنة - فيما بعد - لأن مواهب الإله لا توزن بمقاييس ولا تقدر بأزمان؛ حيث انتهى الشيخ في هذه المدة الوجيزة من دراسة الفقه المالكي بالأمهات، والتوحيد بالأدلة والبراهين، والنحو والصرف، واللغة مع سرد وشرح صحيح البخاري..."².

كان للشيخ محمد بلكبير في فترة تدرسه بتمنيط إتصالات عديدة بالعارفين من أهل العلم والصلاح المشهود لهم أنذاك؛ على غرار فقيهه بني تامر عبد الكريم البلبالي³ وشيخ قلعة العلم

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير، المرجع السابق، ص12.

2 - أولاد حمادي الطاهر: رفيق الشيخ محمد بلكبير، مقابلة على هامش الندوة السنوية 16 للشيخ محمد بلكبير بمنزل الطالب زيراري بأدر، يوم الاحد 04 مارس 2018م على الساعة 11:45 سا.

3 - عبد الكريم البلبالي: هو عبد الكريم بن محمد البلبالي، حفيد الشيخ الأكبر محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الملك البلبالي، ولد ببني تامر عام 1288هـ، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه وبمدرسة تمنيط، وانتقل لمدرسة كوسام التي كانت عامرة بالعلماء، حيث تتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد البلبالي، ورجع إلى بني تامر وخلف جده واشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف، تتلمذ على يديه عديد المشايخ على غرار محمد عبد العزيز بن سيدي عمر المهداوي الذي جمع له نوازل وطبعها في كتاب، وكذلك محمد بن أحمد ومحمد العربي بن أمبارك بونعام وأحمد بن مولاي العربي من أولاد براهيم وغيرهم، وقد

والعلماء قصر املوكة الشيخ بوعلام¹ وابن عم شيخه سيدي أحمد بن ديدي القاضي محمد بن عبد الكريم البكري² وجمهرة من علماء عصره عبر الحيز الجغرافي لمنطقة توات؛ للمذاكرة معهم والاستفادة منهم والبحث في المشكلات العلمية التي قد لا يتمكن من مراجعة الشيخ أحمد فيها، مما وسع معارفه وجعله على دراية واسعة بالنوازل والفتاوى التي وقعت في المنطقة إلى أن صار متمكنا راسخا لا يجارى، واثقا، له في كل جنس ولون معرفي باع³.

2- الشيخ في تلمسان:

كما سبق وأن ذكرنا فإن الشيخ بلكبير أتم عامه الثالث في حضرت الشيخ سيدي أحمد ديدي بالزاوي البكرية بحاضرة تمنطيط التاريخية، وأبدى استعداد فطري كبير في التحصيل المعرفي زاده حبه المطلق للتعلم والعلماء صقلا لمواهبه التي لا تحصى، وهكذا نجد أن الشيخ قد استوفى ما

خلف لنا مجموعة قصائد شعرية في مجال المدح النبوي والنصح الاجتماعي والتوسل وغيرها. ينظر: عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: معجم أعلام توات، ط01، منشورات الرياحين، الجزائر، 2013م، ص247.

1 - الشيخ بوعلام: هو بوعلام بن محمد البلبالي ولد عام 1294هـ الموافق 1877م بملوكة، حيث تعلم وتفقه في العلوم الشرعية واللغوية، إشتغل بتدريس ببلدته ملوكة وتخرج على يديه كثير من الطلاب والأئمة، كان مفتيا وقاضيا، توفي رحمه الله بملوكة سنة 1376هـ الموافق 1955م. ينظر: عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، نفس المرجع، ص138.

2 - محمد بن عبد الكريم البكري: هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري ولد بتمنطيط عام 1300هـ، ونشأ بها وتعلمنا على يد مشايخها، بعد بلوغه سن الرشد خيره والده بين العلم والتجارة بعد إستشارة الشيخ محمد البكراوي الذي أشار عليه بالعلم، فما كان على أبيه إلا أن أخذه لمدرسة كوسام عند الشيخ سيدي عبد الله بن محمد لحبيب، فكان حافظا نابغة، وتحققت فيه دعوات شيخه سيدي عبد الله وبقي في كوسام ثمانية أعوام، ثم عاد بعد إجازته لمسقط رأسه تمنطيط واشتغل بالتدريس، وتولى منصب القضاء بالديار التواتية سنة 1354هـ وبقي فيها مدة ثلاثون سنة، خلف لنا عديد المؤلفات المخطوطة على غرار " درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام " ومخطوطيه في التراجم والسير " الكواكب البرية في المناقب البكرية " و" جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني " وفي النحو " حاشية على شرح السيوطي على ألفية ابن مالك في النحو " وغيرها من المدائح الشعرية، توفي رحمه الله يوم الأحد 25 ذي الحجة سنة 1374هـ الموافق 1954م. ينظر : عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: نفس المرجع، ص 351 - 356.

3 - لحسن رضوان: الدور التربوي والاجتماعي لزواية سيدي بلكبير دراسة سوسيو انترولوجية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الانترولوجيا، تحت إشراف: محمد رمضان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم الثقافة الشعبية فرع : الانترولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية (2004-2005)م، ص162.

تعاهد به من مدة مع أبيه وقد حقق المراد وأصبح مؤهلاً لتولي مهمة الإمامة والمشيخة في قصره إلا إنه كان له رأي آخر، فقد فاجئ أبوه برغبته في التحصيل العلمي والتعمق في فنون المعرفة الشرعية والتبحر في مختلف ألوانها، وكان يري في جامع القرويين بحاضرة فاس المغربية المكان الأنسب لذلك، فالتمس من أبيه الإذن بالذهاب إلى هناك غير إن رغبته لم تستهوي السيد الوالد الذي كان يري في إمكانية التحصيل المعرفي في أماكن قريبة داخل البلاد أمر مستحب، فاقترح عليه بدل الذهاب إلى فاس الذهاب إلى عاصمة الزيانيين تلمسان حيث يوجد العارف بالله وشرائعه السماوية الشيخ العلامة عبد الرحمن بن بوفلجة ليتلقن على يديه أرواد الطريقة الموساوية، وتذكر بعض الكتابات أن الشيخ محمد بلكبير لم يكن لديه المبلغ الكافي للذهاب إلى تلمسان إلا ما جاد عليه به شيخه أحمد ديدي، والمتمثل في 150 سنتيم (30 دورو)، وهو المبلغ الذي أستعمل جله للوصول إلى تلمسان، ولم يبق منه إلا 20 سنتيم أهداها إلى شيخه عبد الرحمان بن بوفلجة¹.

إن لهذا المعطى مغزى دلالي كبير يؤكد لنا الظروف الصعبة للتحصيل العلمي في ذلك الوقت، فشغف العيش وصعوبة التوفيق بين طلب العلم وإعالة الأسرة أمر صعب لا يمكن إدراكه من أي كان، فهذا الشيخ بلكبير لم يشفع له انتمائه لعائلة نبيلة تعد من علية القوم ليتسنى له توفير مبلغ الوصول إلى تلمسان، فكيف بغيره من عامة الناس أن يتمكن من ذلك وبالأخص ما يتعلق بتعلم القرآن والشريعة الإلهية باعتبارهما السبيل الوحيد لتعلم اللغة العربية في الفترة الاستعمارية وهذا لا يروق للإدارة الفرنسية.

اعترف الشيخ عبد الرحمن بن بوفلجة بالمستوى العلمي الذي بلغه الشيخ بلكبير في ظرف وجيز، واكتشف فيه أسرار ربانية وخصال الصالحين جعلت منه يصل إلى معارف ربانية لا يلقنها الشيخ لمريديه بالجملة، وقد فاضت معارفه وبلغت حد النفع والاستنفاع الشيء الذي دفعه لطلب الاستئذان من شيخه لذهاب إلى بغيته المنيفة جامع القرويين بفاس كما ذكرنا آنفا في التماسه من

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير، المرجع السابق، ص21.

أبيه، لكن الشيخ أصر على ضرورة احترام رغبة أبيه في عدم الذهاب إلى هناك¹ ولا بأس بزيارة استطلاعية يطفئ بها وهج عواطفه اتجاه هذا الصرح العلمي، فكان له ذلك في رحلة قادتته إلى المغرب الأقصى زار فيها جامع القرويين بفاس، واتصل بعلمائه واستفاد منهم أيما استفادة وأفاد. وبعد أن بلغ بغيته عند الشيخ عبد الرحمن بن بوفلجة، وذاع صيته واشتهر أمره بالمنطقة طلب منه أن يشتغل بالتعليم القرآني، وجاءت الفرصة بعدما طلب ناس لعريشة من الشيخ بن بوفلجة مدهم بمن يعلم أبنائهم القرآن ويؤمهم في الصلاة أشار عليهم بالشيخ محمد بلكبير الذي رأى فيه المواصفات المطلوبة التي تؤهله لذلك، فذهب معهم وبقي مابين تلمسان والعريشة والمشربية خمسة أعوام²، أثبت فيها إمكانياته وقدراته على تبليغ الرسالة العلمية وكان على قدر من المسؤولية الملقاة على عاتقه وفي مستوى ثقة وتطلعات شيخه فيه، وقد تخرج على يديه في تلك الفترة جمع كبير من الأئمة والفقهاء والمعلمين وغيرهم، وقد وفقه الله أن يكمل نصف دينه هناك ويتزوج من بنات أهل تلكم الديار الأخيار، بعدما فتح الله عليه وحقق المراد وما كان يصبوا إليه من حله وترحاله في طلب العلم والمعرفة.

3- الشيخ في تيميمون:

مرت الأيام والأعوام والشيخ بلكبير بعيد عن الديار مشتغلا بالعلم والتعلم والتعليم مجتهدا في التحصيل، في الوقت الذي بدأ أبوه يشعر بحجم الفراغ الذي تركه فيه ابنه لم يتمكن من سده أخوه عبد القادر لوحده وثقل السنين بدأ يلوح وينهك كاهله، فما كان عليه من بد إلا الإرسال في طلب ولده ليكون له معينا ونصيرا، وهكذا لم يعد أمام الشيخ بلكبير سوى خيار العودة إلى مسقط رأسه "بودة" استجابة لدعوة والده الذي أصبح في حاجة إليه أكثر من أي وقت مضى.

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المرجع السابق، ص22.

2 - نفسه.

عاد الشيخ بلكبير إلى قصر لغمارة وذلك خلال 1943م وما إن استقر به المقام حتى علم به بعض أعيان تميمون فوقفوا على أبيه ملتجئين السماح له بالذهاب معهم ليكون معلما عندهم للقرآن والفقه والعلوم الشرعية، فأجابهم إلى مطلبهم مؤثرا حاجتهم لعلمه على حاجته لخدمته. وهكذا بعون الله وقوته كان افتتاحه لمدرسته القرآنية سيدي بوغرارة بعاصمة منطقة قورارة تميمون خلال عام 1943م¹، وفي ظل الظروف المحيطة بالتعليم القرآني في كامل البلاد الجزائرية المحتلة وما يلاقيه صاحبه من المضايقات والتصرفات الاستفزازية فإن المهمة كانت تعتبر ضرب من التحدي قبل به الشيخ بلكبير وحسب حسابه من البداية، فعمل على محور أولوية التوعية وإعداد المجتمع القادر على مواجهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى تجهيل المجتمع وطمس هويته الإسلامية، "...فكان يلقي الدرس ضحي لأعيان المنطقة، ثم بعدها يلقي درسا آخر للصغار، وقد إتبع في ذلك برنامج تعليمي يتناسب والأهداف التي سطرها تمثل في قراءة القرآن في الألواح، قراءة القرآن الكريم جماعة (الحزب الراتب) بعد صلاة المغرب، تدريس علم التجويد وعلم الضبط، تدريس علم التفسير، إلقاء دروس في السيرة النبوية، قراءة المتون في الألواح وجماعة يوم الأربعاء، إلقاء دروس الفقه للتجار والطلبة الصغار الداخلين ونذكر هنا إن أول التلاميذ الداخلين كان السيد عمار أقاسم وبعده الشيخ الحاج سالم بن براهيم ليتوالى الانتساب إليها تباعا، وتولى التجار والمحسنين مهمة الإنفاق على المدرسة..."².

ومن المتون التي كان الشيخ يلقي بها دروسه وكان يحث طلبته على حفظها³ :

أ- متون التوحيد: السنوسية، الجوهرة، الأوجلي، إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة (وكلها على معتقد الأشاعرة).

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير، المرجع السابق، ص 25.

2 - نفسه.

3 - نفسه: ص 49 - 66.

ب- متون الفقه: المرشد المعين، العبقري، أسهل المسالك، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مختصر خليل (وكلها في الفقه المالكي).

ت- متون اللغة: الأجرومية ، مُلحة الإعراب، ألفية ابن مالك.

ث- متون الأدب: سراج طلاب العلوم، نصيحة الهلالي، نصيحة الشباب والهدية وغيرها.

ولا بأس من إننا نذكر أسماء بعض الطلبة الذين درسوا على يد الشيخ في مدرسة تميمون :

عمار أقاسم، والحاج سالم بن إبراهيم¹، والحاج عبد القادر أخ الشيخ بلكبير وغيرهم.

في خلال المدة التي قضاها في تميمون بين عام(1943-1948) استطاع بعون الله والمخلصين أن يزيح غشاوة الجهل عن المجتمع ويبصر الناس بشرع الله، مجنب المجتمع التشبث بالبدع والخرافات التي كانت تشكل المحور الأساسي في المشاريع الاستعمارية التضليلية، الشيء الذي أقلق الإدارة الاستعمارية وجعلها تحسب له ألف حساب وبدأت في الكيد للشيخ بلكبير ومدرسته، لكن رعاية الله أحاطته بعنايته وسخرت له من يقوم بإخباره بكل صغيرة وكبيرة تحاك ضده، فكان سبفاق أحد المخلصين من أبناء الجزائر المجندين في صفوف الشرطة الاستعمارية في خدمته وخدمة المدرسة منذ بداية الحملة التضيقية، "...وقد مكث الشيخ في تميمون حتى أواخر

1 - الطالب سالم بن إبراهيم: من مواليد عاصمة قورارة تميمون عام 1345هـ الموافق 1927م، تعلم القرآن الكريم في الكتاب ثم التحق بمدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير بتميمون عام 1947 فاستكمل عنده حفظ القرآن، ودرس عليه العلوم الشرعية واللغوية¹، وبعد رحيل الشيخ سيدي محمد بن الكبير إلى مدينة أدرار رحل إليه فاستكمل دراسته عنده بداية من عام 1950م، ثم بدأ حياته العملية بالإمامة والتدريس بمسجد الجيلالي ومدرسته بأدرار، ثم عين مديرا للشؤون الدينية بولاية أدرار إلى أن تقاعد من الوظيفة، وهو عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى، خلف الشيخ سيدي محمد بن الكبير في خطابة الجمعة و التدريس في ليالي رمضان بالمسجد الكبير بأدرار مدة من الزمن، تخرج على يديه مجموعة من الأئمة والمعلمين، وفضل رغم المرض يشرف على مدرسته مع ابنه وواصل رسالته من بيته المفتوح لطلبة العلم والمحبين إلى أن وافته المنية بتاريخ 08 يناير سنة 2019م رحمة الله عليه. ينظر: عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 160.

سنة 1948م، وما عرفه أهل المنطقة إلا رجلا ورعا زاهدا عما في أيدي الناس، محبا وأخا كريما ومدرسا ومفتيا، ومصالحا بين الناس، لا يمل ولا يكل في الاجتهاد وطلب العلم...¹.

ورغم كل الاحتياطات المتخذة من الشيخ بلكبير والمخلصين من أهالي تيميمون خشية تقديم أي عذرا أو دافع للسلطات الاستعمارية تستغله ضد المدرسة إلا أن القدر أراد غير ذلك، فقد استغلت الإدارة الفرنسية حادثة تأديبية لبعض المنتسبين للمدرسة من أحد المعلمين المساعدين لشيخ لتتخذ منها قضية رأي عام، وراحت تضخم من الحادثة وتصفها بأبشع النعوت وتنسب لأصحابها الفعل الإجرامي المضاد للإنسانية والانتهاك الغير مسموح به في حق الطفولة، مما جعل الرأي العام يتصور الوضع بعيون آلة الإعلام الاستعمارية المغرضة التي لم تصدق لعبة القدر لصالحها، وهكذا ساهمت في خلق شقاق بين الشيخ محمد بلكبير وبعض أعيان تيميمون، وإثرى هذه الحادثة تم إلقاء القبض على مساعد الشيخ المدعو الطالب صديق وقدم لمحاكمة صورية لم يؤخذ فيها برأي الشيخ ولا أهالي التلاميذ²، في مسرحية محبوكة لضرب المدرسة القرآنية التي أصبحت مصدر خطر على الوجود الاستعماري في المنطقة، وبهذه الحادثة كان موقف الشيخ بلكبير صارما في عدم البقاء في أرض يظلم فيها أهل العلم ويزج بهم في غياهب السجون، كانت هذه التدايعات أواخر سنة 1948م وعاد بعدها إلى مسقط رأسه ومعه أخوه عبد الله، ثم التحق به بعض من أولئك التلاميذ الذين كانوا معه بمدرسة تيميمون على غرار الطالب سالم بن براهيم³ بعد فتحه لمدرسته الدينية بعاصمة توات أدرار.

1 - الطالب سالم بن براهيم: مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، الملتقى الوطني المذهب المالكي وجهود علماء توات ودورهم في تفعيله وترسيخه ونشره، أدرار سنة 2004م.

2 - مولاي التهامي غيتاوي: الأشراف الكبير، المرجع السابق، ص28.

3 - نفسه: ص31.

4- جوانب من شخصيته:

لقد جاء تلميذه الشيخ الطالب سالم بن براهيم بجملته من المناقب التي عرف بها شيخه في شهادة تعد نموذج لتلميذ لازم شيخه في السراء والضراء، إرتقينا أن نقف من خلالها على بعض المناقب مع بعض التعليقات.

يقول الشيخ الطالب سالم بن براهيم رحمه الله¹، لقد وفق الله الشيخ الحاج محمد بلكبير منذ بداية إدراكه لكنه هذه الحياة أن يعمل على طلب العلم و لم تنبيه عن ذلك أية إغراءات أخرى، هيئته الإرادة الربانية لأن يحمل على عاتقه هموم هذه البلاد التي كانت تعاني من التجهيل الممنهج من قبل الاستعمار الفرنسي، وانتشار العصبية القبلية والإثنية والعرقية بين أفراد المجتمع الواحد، وأيد الله أبوه بأن تمكن من رعايته والأخذ بيده إلى بلوغ مرامي الفلاح والنجاح وأن يكون من أهل الهمم العالية والأهداف السامية، وكان لشخصه الموقر عظيم الأثر في تسهيل مهمة أبيه وتذليل ما يمكن أن تعترضه من صعاب التنشئة والتربية في غياب الأم التي لا غنى عنها في بناء شخصية الفرد، وبانتسابه إلى صفوف الزاوية البكرية وجد الشيخ محمد بلكبير الأرضية الخصبة التي تمكنه من الوصول إلى بلوغ قصب السبق وتفجير مابه من منابع الخير والمعرفة، والسمو بنفسه من مطالب الدنيا الفانية إلى مقاصد الإستقامة والصلاح وما جاءت به شريعة رب السموات، وكان لشيخه سيدي أحمد بن ديدي اليد الطويلة في تعبيد سكة العلى وتحريك شخصية الطالب العالم والباحث والفقير في دواخله، فحبه لبلكبير وتقربه منه وحرصه الشديد على مستوى تحصيله علامات دالة على اكتشاف الشيخ في تلميذه ما دفعه لأن يكون تحت نظره يقوم فيه كل حركة وسكنة.

و في زمن يسير عرف من فيض شيخه علما وحكمة، وفهما ودراية، وتزود منه بدعوات الخير والبركة، وفتح الله عليه من فضله الواسع، و ذلك فضل الله يقذفه في قلب من يشاء، وكيف ما يشاء والله ذو فضل عظيم.

1 - الطالب سالم بن براهيم: المرجع السابق.

أثناء تواجده في الزاوية البكرية عند شيخه سيدي أحمد بن ديدي فاضت معارفه وتفجرت ينابيعه وأبان عن ساعد الجد والتحصيل، فكان الطالب المجد المثابر على اقتناص العلم، ويسرت عليه ذاكرته القوية استيعاب مجمل ألوان وفنون المعرفة، وغرف ما شاء الله له من العلم، ففهم جزئياته، وكان ملما بتفاصيله الدقيقة وفروعه الواسعة، إن هذا من كرامات الله ونعمه عليه بأن يحاييه بيئة علمية تمثلت في عائلته وشيخ يحسب من الراسخين في العلم كانت تشد له الرحال ومضرب للأمثال وحجة علمية لا تضاهها¹.

لم يعرف على الشيخ بلكبير طوال حياته مشاركته جموع الهوى والعبث، فكان صاحب همة عالية انعكست على المستوى الجدي لشخصيته وبدون تزمت لا يرى إلا ساعيا لفعل خير أو قول ما ينفع الغير، وهكذا عرف عليه منذ نعومة أظافره تربي وشب في مجالس العلم، محبا أو متعلما أو معلما أو عالما، بعيدا عن كل ما يشغله عن تحقيق أهدافه وغاياته، متعلقا بالثروة لا يرضى دونها².

كما سلف وإن ذكرنا شد الشيخ بلكبير الرحال إلى عاصمة الزينيين تلمسان في طلب العلم والمعرفة والغوص في محيطه والإمساك بدرره ونفائسه، حيث كان هناك عالم رباني من العلماء الأجلاء وهو الكرزازي السيد بوفلجة، وإستفاد من بحر علمه وفيوضات أسراره، وأصبح طبيبا ماهرا في معالجة النفوس ومعرفة دائها ودوائها³، واستطاع أن يبلغ المعالي ويحقق المرامي بالمثابرة والجد والاجتهاد والعمل المتواصل ليلا ونهارا دون هوادة، وفي آخر مشواره العلمي تمكن من حيازة جملة من العلوم والمعارف الشرعية مكنته من أن يكون على قدرا من الخبرات التي تسمح له بممارسة التعليم والإمامة، فكانت أولى بدايته بمدينة العريشة وبادية المشربة التي قضى بينهما ما يزيد عن الخمس سنوات أظهر فيها قدرة هائلة في التعليم وإمامة الناس في الصلاة والحياة وكان موفق في

1 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

3 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع.

تخرج العديد من الأئمة والمدرسين, ومع اضطراره للعودة إلى مسقط رأسه بودة بسبب حاجة والده إليه في معترك الحياة، فإنه قد تمكن من الحصول على زاد معرفي كبير وخبرات ميدانية في تحمل المسؤولية وصناعة الأجيال، جعلت منه ينظر إلى شخصه أنه مجبر على استثمار ذلك في بناء الفرد والمجتمع من باب الالتزام الأخلاقي لمن أستودعه الله مفاتيح معرفته، وما دامت الغاية نبيلة فإن ما وراءها من مشاق و صعاب ستزول بحول الله تعالى¹.

ومع قلة الإمكانيات وانعدام الحيلة في ظروف يهيمن عليها الاستعمار الفرنسي الذي يرى في كل محاولة لتبصير الشعب وتحسيسه بأهمية العلم إجهاض لمخططاته، وبالتالي فإن من يقوم بهذه المهمة يشكل خطر على وجوده وهو في حالة حرب غير معلنة معه وبالتالي ما عليه إلا تحمل تبعات ذلك, وتلك همة عالية قلما تكون في غير فحول الرجال, وهداية ربانية يوفق الله لها من يشاء من عباده من أفضل الفضل والكمال.

مواصلة لمشواره في مجال تعليم أبناء الأمة كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ كانت انطلاقا من عاصمة قوراة تميمون² التي حط الرحال بها بعد طلب من أعيانها لأبيه الذي لم يتردد في ترك ابنه يعكس فيوضاته الربانية على أبناء المسلمين، وقناعة من الشيخ بلكبير بضرورة تبليغ الرسالة الربانية كما سلف وإن ذكرنا، وفيها وفقه الله إلى تغير الوضع الاجتماعي السائد إلى ما يرضي الله ورسوله، لكن كل هذا ما كان ليمر مر الكرام على الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تنتظر الفرصة المواتية لإجهاض المشروع، ولحكمة أرادها الله كان لها ما أرادت وتم غلق المدرسة الدينية التي كان يدرس فيها الشيخ لأسباب تم ذكرها وعاد إلى الديار، في هذه الأثناء كان أعيان عاصمة الولاية أدرار في حاجة ماسة لمن يؤمهم في الصلاة ويعلمهم شؤون دينهم ويزيح على مجتمعهم غشاوة الجهل والضلال، وبمجرد ما تناهى إلى مسامعهم خبر ما حدث مع الشيخ في تميمون بادروا

1- لحسن رضوان: المرجع السابق، ص166.

2 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع السابق.

إلى شيخه سيدي أحمد بن ديدي صاحب الزاوية البكرية بتمنيط ليتوسط لهم عنده ويقبل طلبهم، والكل يدرك صعوبة ذلك نظرا للتجربة التي مر بها بتيميمون وما ترتب عليها من انعكاسات على مستوى مواقفه وممارسته للتعليم في الأماكن التي تسيطر عليها الإدارة الاستعمارية الفرنسية بشكل جلي، وهذا الواقع قائم بعاصمة الولاية مقارنة بقصورها التي تعرف وطئة قليلة الشدة وتدخل غير مباشر للإدارة الاستعمارية، ولهذا كان يفضل العمل بعيدا عن أعين المستعمر الفرنسي والله حسابات أخرى، فما كان من شيخه إلا أن أشار عليه بضرورة إجابة أهل أدرار لما يجب ويرضون¹، وقد يكون الشيخ سيدي أحمد بن ديدي قد رأى ما لم يراه غيره وأبصر بحسن بصيرته التي يهبها الله لمن يشاء من عباده المخلصين أن هذه فرصة لتمكين الشيخ بلكبير من قيادة البلاد وتنوير درب العباد إلى تخليصهم من ليل الاستعمار الذي جثى على صدورهم وتحكم في مقدراتهم، إشارة المعلم لتلميذه كانت منعرج حاسم في حياة الشيخ بلكبير جعلته يتخذ قرار حاسم وفاضل بين الخضوع لإرادة الإدارة الاستعمارية الفرنسية ومساعدتها على تحقيق أهدافها في تجهيل الشعب وسلخه عن مقوماته وهويته، وبين رفع التحدي في وجه هذه المخططات وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وبذلك اتفقت الرغبات وتلاقت الأهداف وأصبح بلكبير أحرص من أي وقت مضى على إعادة بعث هممة الشعب وتعلقه بمقوماته الحضارية، وبدأ في مشروعه الحضاري خلال سنة 1950م، ويمكن اعتبار تمكنه من تأسيس مدرسته الدينية بأدرار بالإنجاز الكبير قياسا بالظروف المحيطة والوضع السائد وقتها، ناهيك عن موقف الإدارة الاستعمارية الفرنسية من هكذا مشاريع وتلكم منقبة من المناقب الكبرى له، فقد عرفت مدرسته الدينية بوسط المدينة أدرار نجاح كبير وذاع صيتها وبلغ الأفاق وتعدت في مجالها الحدود الجغرافية والعرقية لمنطقة توات، وصارت مصدر سعادة وخير لابن الغني والفقير، وللصغير والكبير، ولابن الشمال والجنوب، ولمن يقصدها من أبناء القارة السمراء و أخوانهم المسلمين من القارة الأوربية، وبلغت شهرتها بذلك شرقاً وغرباً، واجتمع في رحابها طلاب العلم والمعرفة من كل فج عميق.

1 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع السابق.

وبذلك امتد مداها ومددها في تلك الربوع وانعكس تأثيرها على تلك الأصقاع، وبذلك فإن هذه المدرسة وإشعاعها تجاوز ربوع منطقة توات وضواحيها، بفضل جهود الشيخ وبركته وتفانيه وفوق هذا بفضل نيته الصادقة وإخلاصه لرب العالمين، وأصبحت تتعلق بها الأئمة، وتشد إليها الرجال، وتلهج الألسنة بذكر صاحبها وتثني عليها، وهذه المدرسة بفضل الله قد انبثقت عنها مدارس سليمة ببركة الشيخ، وفتح العديد منها بإيعاز منه في حياته¹.

أعتبر الشيخ نفسه مسخرة لخدمة الرسالة المحمدية وتجديد وإحياء نورها في قلوب المؤمنين من عباده، وقد حظي بتأييد من الله وعونه وبركته وهذا ما ظهر بجلاء في سهولة مسالكه وتجدد عباده لمساعدته وتذليل الصعاب من أمامه، والتفاف خيرة أهل البلاد حول مشروعه وتعاضدهم لإنجاحه وتوفير الظروف الموضوعية له.

كان الشيخ سيدي أحمد بن ديدي مثاله الذي جعله نصب عينيه والأمنية التي تمنى أن تتحقق له بالسير على منواله وتقفي أثره وطريقه في الوصول إلى الله وقلوب عباده، وجند لذلك نفسه وجهده وماله وما ملكته بنانه، ولذلك فتح الله عليه من فضله الواسع، ووسع الله عليه بما لا يدخل تحت حصر، ومع هذا لم يدخر هذه الخيرات لنفسه ولا اتخذها وسيلة للغنى والثراء، ولا دخلت في دائرة اهتمامه ولا أهدافه ولم يكن بريقها له أخذ، وإنما كان يستغل ما جاد به المخلصين من مال الله في خدمة العلم وطالبيه ولم ينسى فقراء المجتمع وذوي الحاجة فيه، لا يخشى عاقبة فقر ولا انقلاب دهر، وكان يردد دائماً ويقول على رأس الأشهاد " ... طالب العلم تكفل الله برزقه... " وما أعتبر الأوراق المالية مالا إلا في باب الزكاة، ولكنه كان يسميها كاغدا²، هذه السلوكات لا تبدوا من أي كان من بني البشر إن لم يكن من المختارين الأخيار الذين حباهم الله بدرجة الصديقين، لأن التعلق بالفانية وإبريقها والقيادة وسطوتها آخر اهتمامات الصديقين، ولا أدل على

1 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع.

2 - نفسه.

ذلك من تسخيره لكل ما يملك في خدمة أهل العلم ومحبيه وكل عابر سبيل ومحتاج، فكانت مدرسته ومنزله وما يشتملان عليه من هياكل تحت تصرف، يلتقي فيها القاضي والداني، ورغم الظروف الصعبة التي لا تخفى على أحد وما كان فيه المجتمع في ظل التواجد الاستعماري الفرنسي من شغف العيش والقهر والحرمان، إلا أن ذلك لم يثني الشيخ من وقوفه إلى جانب المجتمع في كل الأحوال والظروف، وكثيراً ما كان يواسي الفقراء والمحتاجين ومن تقطعت بهم السبل، ويبحث أحياناً للعاجزين من هؤلاء بالمال والمؤن ووسائل العيش دون من أو أذى، وكثيراً ما يدرك بفراسته حاجة المحتاجين الذين لا يسألون الناس إلحافاً، وهو شعور بل سلوك في نظري ينم عن مكاشفة خاصة يمنحها الله لمن فتح عليه بصيرته فيكون هو بصره الذي يبصر به وهذا من فضل الله يؤتیه من يشاء من عباده.

عرف عنه رحمه الله الصبر والثقة بالله، فلا يجزع لكرباً ولا يقلقه مكروه متوكلاً في كل أمور حياته على الله وإيمانه الجازم بعدالته وقدرته، فهو كما نعلم في ميدان حف بالمكارة لما له من تأثير على جموع المسلمين في جميع مناحي حياتهم، فهو الذي يؤمهم في صلاتهم ويعلم أبنائهم ويعد الأجيال لما هو قادم من الأيام، وهو في نفس الوقت القاضي الذي يعود إليه الناس عند اختلافهم ويحتكمون إليه في خصوماتهم، والموجه الفعلي وصاحب الحل والعقد عند أعيان البلاد في ظل النفور الطبيعي من الإدارة الاستعمارية، ولهذا كله وأشياء أخرى فإن الشيطان وحزبه لا يتركون فرصة إلا حاولوا ركوب سهوتها لضرب وحدة الصف وزرع البلبلة والفتن في أوساط المسلمين، ومع ذلك فإن الشيخ كان ثابت لا يتزعزع وذلك سلوك أهل التقوى والعارفين بالله¹.

لقد تمكن الشيخ بلكبير أن يحسن تسير مدرسته على ما يرام في جميع مجالاتها، وكان يمثل محور الإدارة فيها وكل الطاقم المساعد يرجع إليه بالمشورة والتدبير رغم اتساع ألقها مع الوقت وتعدد مهامها، ويرجع ذلك لبعده نظره وسداد رأيه وسرعة بديهته وهي مواصفات الرجل المؤهل للقيادة

1 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع.

الناجحة والمهام السامية، ولا يمكن بلوغ ذلك إلا بتأييد رباني وعناية من لدنه لمن يراه أهلا لها، هذا ما يجعله دائما كلما هم بشيء وعزم عليه بيدي توكله على الله ويؤكد ضرورة الإيمان بقدرته جازما بالتوفيق في كل ماله نفع ينعكس على جمع العباد، رافضا رحمه الله كل الإشارات التي تحاول أن تربط ما وصلت إليه المدرسة من نجاحات لكرامات وأسرار مكنونة في شخصه.

لما بلغ درجة من الاستفادة قرر الإفادة وتخصص في مجال التعليم الذي رأى فيه واجب أخلاقي على كل متعلم أوتي شيء من المعرفة العلمية في تلك الظروف الاستعمارية وما كان يعاني منه المجتمع من جهل وأمية تنخر كيانه، وبفضل الله وعونه تمكنت المدرسة من تقديم نخبة من خيرة أبناء الأمة تمكنوا بدورهم من تشكيل جدار ناري في وجه المخططات الاستعمارية، وكانوا حسن الأرضية التي تبنى عليها مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة في مختلف القطاعات، كل هذا كان نتيجة طبيعية لكون الشيخ أوقف حياته للجزائر سلم تتسلقه أجيالها.

كانت خلفيته الفكرية المالكية نسبة لمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، الشيء الذي جعل من مدرسته تعتمد في منهاجها الدراسي على مقومات المذهب المالكي في مجال الفقه وعلى الأشعرية في العقيدة والطريقة الجنيديّة في التصوف، هذه الثلاثية ظلت طوال حياته قوام تعليمه وذروة سنامه، وذلك يرجع إلى كون هذا المذهب يمثل الإختيار الأول لسكان المغرب الإسلامي اعتمدوه في حياتهم السياسية والاجتماعية عبر العصور.

ولذلك يعتبر الشيخ بلكبير من الشخصيات البارزة في التمكين للمذهب المالكي عبر المعمورة، فكل من تخرجوا على يديه كانوا على نهجه وساروا دربه في هذا المجال، وقد وفق إلى حدا كبير في تكوين وتأهيل جيش من الأئمة المالكيين غطى بهم التراب الوطني وبعض الدول المجاورة، فلا تكذ

الفصل الثاني مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير المولد والنشأة

تجد منطقة في الجزائر إلا وتجد فيها أحد خريجي مدرسة الشيخ بلكبير ناهيك عن المدارس التي تفرعت عنها هنا وهناك¹.

المرجعية الفكرية المالكية كمذهب رباني في التذوق الروحي كان طريق الشيخ بلكبير إلى معرفة الحقيقة الإلهية، وبالتالي جعل منها معراج كل من انتسب إلى مدرسته الدينية وذاك دأب العلماء والمشايخ الذين عرفتهم توات في الحقب الزمنية المختلفة، فقد نجد شبه إجماع على إتباع هذا المذهب وترسيخه في مجتمعنا كسبيل ومنهاج يبلغنا رضاء الله ورسوله، وتحقيق الفوز بالدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم².

يعتبر الشيخ بلكبير رحمه الله رجل مبدءا والرجال مبادئ، حياته كلها تركز على مبادئ ربانية سامية سموها همته، فقد كان ربانيا في أفعاله التي كانت تطابق أقواله، ملتزما بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا يقدم على شيء حتى يرى حكم الله فيه مجتهدا في تنفيذ أوامره جادا في اجتناب نواهيه لا يخشى في الله لومة لائم، لقد أثبت من خلال سلوكه ومعاملاته في حياته إنه من زمرة الصالحين الأتقياء الأوفياء الذين باعوا الدنيا بالآخرة وارتقت بهم أنفسهم إلى مصاف الأنبياء والصديقين، فقد كان رحمه الله صوفيا فقيها زاهدا في هذه الدنيا الفانية مسخرا نفسه لله ساعيا إلى خدمة رسالة نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فبلغ بذلك منزلة من أصبح بنور الله يبصر ويمشي راسما سبيله في هذه الحياة³.

اقتدى رحمه الله بالصالحين من عباده من لا يعصون الله ما أمرهم الطائعين الناسكين ولم يكن بالنسبة للشيخ محمد بلكبير من يشكل الرجل المحوري في هذه المعطيات غير شيخه وعالم زمانه سيدي أحمد بن ديدي صاحب الزاوية البكرية التي قضى فيها الشيخ جزءا مهما من حياته فكان

1 - الطالب سالم بن براهيم: نفس المرجع.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

3 - الحاج أحمد حفاري: نفس المقابلة.

له نعم القدوة، وعلى هذا الأساس كان يحث تلامذته على ضرورة الإقتداء بمن هم أسبق إلى طريق الله ورسوله والراسخون في عالم المعرفة الربانية، من عرفوا من فيوضات المعارف النافعة وأثار الله بصيرتهم بالخير والبركات، وفي نفس الوقت تجنب من يتخذون من عذب الكلام وسيلة لأسر قلوب الناس وتسخيرهم لخدمته الخاصة بدل خدمة الإسلام والمسلمين¹.

تبحر في عالم المعارف الربانية ونال منها الحظ الوافر وبلغ من خلالها حد الاستفادة والإفادة وأصبح بتوفيق من الله مرجعية دينية في المذهب المالكي، وعلى بينة من علوم الدين في مختلف المذاهب الإسلامية تشد له الرحال ويشار له بالبنان ويستشهد بأرائه الفقهية في المجالس العلمية بداخل الوطن وخارجه وبصفة أوضح "... لقد جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، فكان على معرفة يقينية بالله يخص بها تقواه، ويبين عاقبة من يخالف شرعه ولا يخشاه، وهو فضل من الله عظيم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم..."²

كان لشخصيته المتميزة بالصلاح والانضباط الأثر الكبير على سلوكات العديد من الناس الذين رؤوا فيه الرجل الأسوة، وهكذا كان لحرصه على صلاح نفسه وعلو همته واعتداله في تصرفاته مع الناس دروس تستقى ونصائح عملية يؤخذ بها، هذه المعطيات التي تنمو عن شخصية ليست عادية تعد أساس من ينشد حب الله الكفيل بحب خلقه.

انعكس مشروعه العلمي والإصلاحي على البلاد في ظرف وجيز، فقد تغيرت اهتمامات شباب البلاد وحرص أهلها من حطام الدنيا إلى ابتغاء رضاء الله والفوز بالآخرة، فلم يستثنى من ذلك الغني ولا الفقير الرجال والنساء كبيرا وصغيرا، بدى على أدرار وما جاورها حراكا علمي وفكري وثقافي قد يكون بداية إرهابات الثورة في توات.

1 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

2 - الطالب سالم بن براهيم: المرجع السابق.

كانت تميزه رحمة الله عليه قوة إجابته؛ فكان يجيب سائليه بطريقة منطقية سهلة لا تكلف فيها ولا صعوبات بأسلوب أقل ما يقال عنه السهل الممتنع، وقد كان لحضوره الذهني بالغ الأهمية في هذا الشأن، كما كان لسرعة بديهته في التعاطي مع المسائل الطارئة والمستجدات عمل الحسم في الرد على من يحاولون الدخول مع الشيخ أو مع تلامذته في جدليات الفكر الفلسفي الباحث في الماورائيات الميتافيزيقية، فكثيراً ما كان يفحهم بأدلة ثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً¹، وذلك من نور المعرفة والعلم الذي يمنحه المولى تبارك وتعالى للراسخين من عباده المجاهدين في سبيل ترسيخ مبادئ المعرفة والدين، وإزاحة غشاوة الجهل والأمية والتضليل وما سعت إليه فرنسا الاستعمارية في الجزائر منذ احتلالها، وهكذا كان مصدر توعية وتحسيس ونورا يهدي به الله من يشاء.

قد لا نبالغ في كون نهاية النصف الأول للقرن العشرين وبداية نصفه الثاني كانت تمثل زمن الشيخ مولاي أحمد الطاهري والشيخ بلكبير، بالنظر لما بلغاه من شأن في مجال العلم والمعرفة تتوج بسلوك كل منهما طريق الصحابة والتابعين في تعلم القرآن وتعليمه، ورغم الظروف الصعبة التي لا تخفى على أحد فقد تمكنا من بلوغ تحصيل علمي ومعرفي يضعهما في مصاف العلماء، ومن خلاله كانا سدا منيع في وجه الاستلاب والتغريب، الشيء المؤكد أن مسارهما التكويني كان له بليغ الأثر في تشكل مقومات شخصيتهما، فبالرغم من اختلاف بيئتهما الجغرافية إلا أن التاريخ والمصير المشترك كانا عاملان مهمان في تقاطع غايتيهما وتطلعاتهما، فكان الشيخ مولاي أحمد تجسيدا فعليا لمغرب الشعوب، والشيخ بلكبير تأكيداً لقدرة أبناء توات على بلوغ المرامي وتحقيق الأماني إذا ما تعلق همتهم بالسمو، ورغبتهم في تحقيق أهدافهم، فبرغم من أن الشيخ مولاي أحمد فقد السند الأبوي وهو صغير والشيخ بلكبير فقد حنان الأم هو كذلك، فقد وفقهما الله في تجاوز ذلك وقهر الصعاب فكليهما من مواليد رحم الأحزان؛ استعمار يغتصب البلاد وشعب يئنوا تحت وطأة الفقر والجهل والحرمان، محروم من أبسط حقوقه الإنسانية كالتعليم والرعاية الصحية والاجتماعية، فسحة الأمل المتاحة من خلال المدارس الدينية الحرة لتعليم القرآن لم تسلم من التضييق والاستفزاز، مع قلة الإمكانيات من مادة ووسائل مساعدة على الفعل التعليمي، وفي

1 - الطالب سالم بن براهيم: المرجع السابق.

الفصل الثاني مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلڪبير المولد والنشأة

الوقت الذي تجد نظيرتها التبشيرية التنصيرية حازت على كل ما من شأنه يغري الكبير قبل الصغير، مع ذلك تجد عزوف من أبناء المنطقة والإقبال على تعلم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي، وكان هذا أكبر انتصار لإرادة الشعوب المقهورة.

الفصل الثالث

الجهود العلمية للشيخين

المبحث الأول : المدرسة محور علمي واجتماعي.

المبحث الثاني : المدرسة الطاهرية.

المبحث الثالث : مدرسة الشيخ بلڪبير.

الفصل الثالث: الجهود العلمية للشيخين.

إن الدارس لتاريخ توات يلاحظ بجلاء الانتشار الواسع للمدارس الدينية، التي عرفت بتواجدها في المشهد الحضاري للبلاد الإسلامية، وتزامنت في الغالب بانتشار الإسلام وتزايد الطلب على تعلمه والتعرف عليه، في حين نجد إن المدارس الدينية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ترجع في زيادة تواجدها إلى غياب سياسة تعليمية لدولة، مما أضطر بعض الأعيان والشخصيات إلى تأسيس مدارس تعليمية ووقفها لطلبة العلم، هذا الإجراء نجده استمر إلى غاية الفترة الاستعمارية الفرنسية، لما حاولت السلطات الحاكمة فرض نمطها التعليمي المبني على سياسة الفرنسة، الشيء الذي دفع بالنخبة المثقفة إلى أخذ زمام المبادرة وتأسيس مدارس موازية تهتم بالتعليم الأصلي، هذا الإجراء نجده في الجنوب الجزائري وأخص بالذكر حاضرة توات اضطلعت به بعض العائلات العلمية، التي أخذت على عاتقها مسألة حماية المجتمع من الوقوع في المخططات التعليمية الفرنسية الرامية إلى خدمة التوجه الاستعماري.

في هذا الإطار جاءت المدرسة الطاهرية لتعليم الديني ومدرسة الشيخ بلكبير بحاضرة توات بأقصى الجنوب الجزائري، كأتمودجان يجتدا بهما في هذا المجال، ولكونهما تجربة تستحق التنويه كونهما مثال لتجسيد المقاومة الشعبية الفكرية للاستعمار ساهمت بشكل كبير في إجهاض مخططاته.

المبحث الأول: الدور العلمي والإجتماعي للمدارس الدينية.

المطلب الأول: مفهوم المدرسة.

1- لغة: درس الكتاب درساً ودراسةً، من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه، والمدرّسُ الموضوع الذي يدرس به، كما تعرف المدرسة على إنها مشتقة من الدرس¹، وأنها من أجل ذلك تكسب طلابها حق الأولوية في تعويض الأوقاف دون الأساتذة، أما قاعات الصلاة التي ألحقت بها فدفعاً لوصف الفندقية عنها بدليل تعمد عدم بناء المآذن بجل المدارس .

1 - ميلود ميسوم: مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، إشراف: أ.د. عبد الحميد حاجيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، (2003/2002)م، ص30.

2-إصطلاحاً: أصل المدرسة إسلامي، وقبل ظهورها كان التعليم مقتصرًا على المساجد، فجاءت المدرسة لإعطاء دفع للحركة العلمية والثقافية، والتي هي في الأصل عبارة عن مؤسسة تعليمية تشرف عليها الدولة وتتولى أعباء الطلبة والوافدين عليها وإيوائهم، وتتكفل بمصاريف المدرسين، والقائمين بشؤونها المختلفة¹، وجاء في المدرسة أيضا على إنها كل ما يبنى بدافع تحصيل العلم، أي لتعليمه وتعلُّمه².

كانت بلاد المشرق الإسلامي السبّاقة في تشييد المدارس عن المغرب والأندلس، لتوفر وملائمة الظروف الدينية والسياسية والاجتماعية، فظهرت المدرسة في القرن 05هـ/11م بالمشرق الإسلامي³.

ويعتبر أهل نيسابور بخراسان، السباقين في تشييد المدارس، وأشهر مدرسة بنيت كانت في عهدهم وتعرف بالمدرسة النظامية ببغداد 459هـ / 1049م في عهد وحكم الدولة السلجوقية. ووصل نظام المدارس مصر أواخر العهد الفاطمي، ليتطور في عهد صلاح الدين الأيوبي، الذي بني مدرستين: الناصرية والقمحية⁴.

ولا يكاد المؤرخون يتفقون على تاريخ محدد يخص ظهور نظام المدارس في المغرب الإسلامي، فتشير النصوص التاريخية إلى وجود المدارس في مناطق مختلفة من بلاد المغرب الإسلامي، منذ حكم الخليفة الموحد يعقوب المنصور (555هـ - 595هـ / 1160م - 1198م). وقد عرفت الجزائر في عهد الزيانيين مدارس حظيت بشهرة كبيرة، فكانت خمسة منها في تلمسان حسنة التصميم، مزدانة بزخارف الفسيفساء، ووجد في بجاية عدد هام من المدارس، وفي قسنطينة مدرستين، فلم يدخر ملوك الزيانيين جهدا في الظهور بمظهر الحكام المولعين بالعلم، والمقدرين للعلماء كلما سنحت لهم الظروف بذلك، وترجم اهتمامهم ذلك ببناء بعض المدارس،

1 - ميلود ميسوم: المرجع السابق، ص30.

2 - نفسه: ص31.

3 - صلاح مؤيد العقي: الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت- لبنان، 2002م، ص303.

4 - نفسه: ص304.

وكانت أول مدرسة بنيت في عهد الزيانيين، تلك التي بناها السلطان أبو حمو موسى الأول (707هـ-718هـ / 1308م-1318م)¹.

وبدخول العثمانيين إلى الجزائر في بداية القرن السادس عشر، أخذت حركة التعليم والثقافة منحى جديدا، فلم تعد حواضر التعليم محصورة في الحضر، وإنما أخذت تنتقل إلى الريف، وتنتشر في كافة أنحاء البلاد، في الجبال والسهول والصحاري، فتأسست الزوايا العلمية والدينية، والمدارس الفقهية والعلمية. وقد كثرت المدارس في الجزائر حتى كاد لا يخلو منها حي من الأحياء، بل إنها كانت منتشرة حتى عند أهل البادية والجبال النائية وهو ما جعل الكثير ممن زاروا الجزائر خلال العهد العثماني يتبهون لكثرة المدارس بها وانتشار التعليم، وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس في البايلك الواحد².

ومع مطلع القرن العشرين شهدت توات تأسيس مدارس دينية داخلية تكلفت بطلبة العلم من جميع المجالات وخصصت لها أوقاف وأحباس، حيث كانت البداية أثناء الاحتلال الفرنسي مع مدرسة سيدي أحمد ديدي البكرية ثم مدرسة تلميذه الحاج محمد بلكبير ومدرسة مولاي أحمد الطاهري، وبعد الاستقلال انتشرت المدارس الداخلية عبر كامل التراب التواتي، وساهمت في تخريج أجيال من الطلبة كان لهم الدور البارز في بناء جزائر ما بعد الاستقلال داخل منطفة توات وخارجه، لكن بدأت بعض المدارس تشهد تراجعاً في أعداد التلاميذ لعدة عوامل داخلية وخارجية.

ويبدو أن ظهور المدارس شكل ضرورة وتعبيراً عن صور الازدهار والرقى، والنقلة النوعية في الحياة العلمية والأدبية والثقافية عامة، عند العرب والمسلمين، فأصبح المسجد قاصراً على إيفاء متطلبات الحياة العلمية الجديدة القائمة على تفرع العلوم وتشعبها، كونه مؤسسة مفتوحة على

1- ميلود ميسوم: المرجع السابق، ص50.

2- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)م، ط3، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص247.

عامّة الناس، ودروسه تقف عند المواعظ وتلقين الحديث... ولم تكن ترقى إلى حدّ المناظرة، والجدل الذي قد يجيد أحيانا عن أخلاقيات الأدب بما يتعارض وحرمة بيت الله¹.

المطلب الثاني: هيكلها التنظيمي.

من خلال معاينتنا الشخصية للعديد من المدارس أو الزوايا بتوات، وقفنا في جلها على نمط هيكلية واحد يختلف بعض الشيء من مدرسة وأخرى حسب شخصية القائم عليها، فأحيانا يكون للشخصية الكرزمية للشيخ أهمية كبيرة في اختفاء بعض الهياكل التي تكون عادة مستقلة عن مهام الشيخ، فنجد بعض الشيوخ يكتفون بمهمة الإشراف على المدرسة والقيام ببعض الدروس التوجيهية والتي تكون في الغالب ذات طابع تنظيمي، وبعضهم يضيف على ذلك مهمة القيام بالعملية التدريسية كجزء من هيئة التدريس إن لم يكن محورها، الشيء الذي يجعل من التنظيم الهيكلي للمدرسة يتمدد ويتقلص حسب الحالة، ولتحديد الصورة الدقيقة لهذا الهيكل يقتضي الأمر تقسيمه إلى جانبين اثنين يمثلان بتكاملهما الهيكل التنظيمي لكل زاوية وهما: الجانب البشري والجانب المادي².

أولا: التأطير البشري:

1- شيخ المدرسة: هو القدوة والمرجعية العلمية الدينية والأخلاقية التي تشكل خريطة الطريق نحو بلوغ المقاصد المعرفية والربانية للمنتسبين للمدرسة من التلاميذ، والشيخ يمثل حلقة من الحلقات المتواترة في سلسلة شيوخ المدرسة أو من بلغ من خلالها معراج المعارف، مما يجعله جسرا للحقيقة واليقينية التي تبلغ من الاحتكام لطريق يعتقد إنها توصل إلى سيد الخلق محمد رسول الله أو أصحابه الأتقياء الأوفياء³؛ ويقتضي أن يكون شيخ المدرسة حافظا لكتاب الله، فقيها عالما بجميع الفنون التي تُعَلَّم في هذه المدرسة أو الزاوية، لأنه يمثل بحق محور كل النشاطات التي تمارسها المدرسة ومن ثمة فإن مهام صلاحياته متعددة نذكر منها:

1 - ميلود ميسوم: المرجع السابق، ص32.

2 - لحسن رضوان: المرجع السابق، ص160.

3 - جان شوقلي: التصوف والمتصوفة، تر: عبد القادر قينتي، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ص99.

أ-التدريس: يشمل أجناس عدة من العلوم التي تعتمد كمادة علمية لتلقين التلاميذ مبادئ المعرفة الدينية، التي يتم تقديمها حسب نمط منهجي مدروس تعتمد المدرسة في العملية التعليمية، ويراعى في ذلك المستوى التأهيلي للمنتسب وسنه حسب طبيعة المادة العلمية المراد تدريسها، كما لا ننسى الدروس العامة التي تستهدف المنتسبين والمستمعين من المترددين والزوار للمدرسة¹.

ب-الإشراف العام على تسيير المدرسة: شيخ المدرسة يمثل الهرم الإداري في مدرسته، بل يعتبر بكل ما تحمله الكلمة من معنى الأب الروحي للمدرسة وقد تمتد هذه السلطة الأبوية لتشمل حيز جغرافي سكني محدود أو مترامي الأطراف حسب الحالة، فهو في العادة ونخص بالذكر هنا منطقة توات يعتبر الولي العام لسكان المنطقة والمقصد الأول في كل ما يشكل على الناس هناك، وصاحب الرأي الأول في كل نازلة مستجدة في المجتمع، ولهذا نجد إن هذه المهمة لا يوكلها الشيخ لغيره بل يقف على جميع النشاطات العلمية والخيرية للمدرسة، والحرص على ضمان تنفيذ النظام الداخلي للمدرسة والسهر على قيادتها نحو تحقيق أهدافها².

ت- مهمة الإيواء والإطعام: نظرا لما لهذه المسألة من أهمية نجد إن القائمين على المدارس يلحقونها بمهامهم رأسا، حتى في حالة تكليف أحد العاملين أو كبار التلاميذ بها، وتكمن أهمية هذه المسائل في كونها تعكس الإمكانيات الضرورية لحصول الفعل التعليمي بالمدرسة، وغالبا ما تكون عامل هام في جذب أو طرد المنتسبين وانتقالهم من مدرسة لأخرى، وبهذا السبب نجد التفاوت النسبي أو المطلق بين منتسبي المدارس الذين يزيدون أو ينقصون بالاحتكام لهذه الجزئيات، التي تشكل عامل مهم وقيمة من قيم صناعة السمعة والصيت³.

ث-القيام بالشعائر الدينية: من المهام التي لا تناط لغير شيخ المدرسة، إلا في الحالات القهرية من مرض وسفر أو غياب لسبب ما في هذه الحالات فقط يخلفه من يراه أهلا لذلك، وعلى رأس

1 - لحسن رضوان: نفس المرجع، ص168.

2 - عبد الرحمن الضب: عضو جمعية الأبحاث التاريخية، مقابلة بمقر المتحف الولائي للمجاهد، بتاريخ 2017/09/07.

3 - نفسه.

هذه المهمة إمامة الناس في الصلاوات المفروضة في المدرسة، وافتتاح المجالس العلمية الرسمية للمدرسة، وكذلك إحياء المناسبات الدينية الرسمية الخاصة والعامة، افتتاحاً واختتاماً¹.

ج- استقبال الضيوف: فعل الضيافة من المهام التي نذرت المدارس والزوايا لها نفسها، واعتبرت هذا الصنيع من التعاليم الدينية التي يجب الحرص عليها، وتدخل في العديد من الأحيان في إطار الدروس التطبيقية الموجهة للمنتسبين من تلامذة المدارس في الغالب، لما تشتمل عليه من سلوك وآداب في العبادات والمعاملات تسمح في الإسهام في الجانب التربوي للمدرسة، وبالنظر لكون المدارس في معظم الأحيان تكون مقصد الزوار والفقراء والمساكين وعابري السبيل، وأغلبية من يزورها يطلب رؤية شيخ المدرسة والتماس بركاته فإن الكثير من القائمين على المدارس يخصصون جزءاً من وقتهم اليومي لاستقبال الضيوف والوافدين، وتجاذب أطراف الحديث معهم والاستماع لانشغالاتهم ومحاولة إيجاد حلول لاستفساراتهم².

ح- النظر في طلبات الانتساب للمدرسة: لا تعتمد المدارس الدينية بتواتر طلبات الانتساب بالوثائق المعمول بها في العادة إدارياً، ولكن يتم ذلك مشافهتاً من ولي التلميذ أو من التلميذ نفسه، بعد ما يبدي رغبته في الالتحاق بالمدرسة الدينية الداخلية ويظهر نيته في طلب العلم، فيتم قبوله أو رفضه بعدما ينظر الشيخ في أمره ونادراً ما تم رفض تلميذاً ما إلا إن كان راجع لعامل السن الذي يقدر بمدى الاعتماد على النفس، أو وجود من يتكفل بذلك بالمدرسة من أخ أو قريب أو أحد المعارف، وفي هذا الشأن أكد لنا العديد من خريجي المدارس الدينية أن مجرد مجيء التلميذ للمدرسة يعتبر رغبة ضمنية من التلميذ وأهله في التحاقه بصفوف المدرسة³.

هذه المهام والصلاحيات التي يضطلع بها شيخ المدرسة تعتمد في توليها على عوامل يجب أن تتوفر في شخصية الشيخ، وبالنظر لجسامة وثقل المهمة فإن العديد من خريجي المدارس الدينية بتواتر والمهتمين والمتابعين ورواد هذه المدارس، يجمعون على أن تسيير هذه المدارس لا يكون إلا من خلال سر رباني يؤيد به من يشاء من عباده، ولا علاقة له بمال أو علاقات أو نفوذ، ولهذا

1- عبد الرحمن الضب: نفس المقابلة.

2- نفسه.

3- محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

نجد شيوخ المدارس يحتكرون هذه الصلاحيات وغيرها من المهام المنوطة بالسير الحسن للمدرسة¹.
2- هيئة التدريس: ويقصد بهذه الهيئة سلك المدرسين الذين يعينون من طرف الشيخ المدرسة أو الزاوية في مجال التدريس، وتتكون هذه الهيئة عادة من الطلبة الأوائل للمدرسة²، الذين بلغوا أعلى درجات المعارف العلمية التي تقدمها المدرسة وتتم إجازتهم من قبل شيخ المدرسة، ويكلفون بمساعدة الشيخ في تدريس التلاميذ المنتسبين حديثا للمدرسة، وقد يتعدى دورهم جانب التدريس على غرار تقديم دروس متخصصة في جنس من العلوم التي تلقن في المدرسة، وقد بلغ عدد المدرسين المشكلين لهيئة التدريس بالمدرسة الدينية الداخلية للشيخ سيدي محمد بلكبير على سبيل المثال 30 مدرسا³، وهذا العدد ينقص أو يزيد حسب الحالة ونجده يختلف من مدرسة إلى أخرى، وفي الوقت الذي نجد أن أغلب المدارس تعتمد على خريجها في هذا المجال نجد بعضها يلجاء إلى التوظيف الخارجي ولا يحدث هذا إلا نادرا بمدارس منطقة توات العريقة منها.
3- هيئة المتعلمين: ويقصد منها الفئات المستهدفة من العملية التعليمية بالمدرسة وتتألف في العادة من فئتين:

أ- التلاميذ المنتسبين: وتشمل مجموع التلاميذ المنتسبين للمدرسة والذين يحملون الطابع أو صفة الداخلي، ويمارسون حياتهم اليومية إلى جانب حياتهم العلمية بداخل المدرسة⁴، وهم يشكلون ضرورة وجود المدرسة ومكانتها بين المدارس، وقد يكون للمدرسة كتاتيب تابعة لها بشكل أو بآخر تدار من طرف شيخ المدرسة ويكلف بها طالب من المتمدرسين المتقدمين في مراحل التعليم في المدرسة، وهذه الكتاتيب لا تعتبر من يدرسون فيها من تعداد المنتسبين للمدرسة الأم، بل مرحلة إعدادية تحضيرية للانتساب إليها، هذه الخاصية لا تلتزم بها كل المدارس الدينية الداخلية؛ بسبب

1 - محمد السالم نواري: المدارس القرآنية و آثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ محمد بلكبير نموذجاً، مذكرة ليسانس، إشراف: أحمد الأمين، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، (2003 / 2004)م، ص 67.

2 - أمحيدة بن زيطة: الهيكلة التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية ادرار، أيام: 1، 2، 3، ماي 2000م، ص 05.

3 - لحسن رضوان: نفس المرجع، ص 170.

4 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

تكفل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالإشراف على الكنائس والمدارس الخارجية التابعة عادة للمساجد بالأحياء المختلفة¹.

ب- فئة الحضور: غير محددة العدد بسبب التركيبة المكونة لها من السكان المجاورين لمسجد المدرسة والوافدين عليها في المناسبات والمواسم والأعياد والزيارات اليومية، الذين يحضرون مجالس الدروس الموجهة للجميع والتي تحمل الطابع العام البعيد عن التخصص، ويكون عادة من طرف شيخ المدرسة² إلا في حالات نادرة قد يستعين الشيخ بشخصية علمية زائرة وهذا يرجع لعلاقة المدرسة بالمحيط، من مدارس مماثلة أو المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، ويلاحظ هذا بشكل جلي في المناسبات التي تتطلب معلومات علمية دقيقة لا يحسن تقديمها والتعامل معها إلا من ذوي الاختصاص، على غرار التاريخ والقانون والبيولوجيا والفلك وغيرها من العلوم المساعدة في تفسير الظواهر الكونية التي أوردها القرآن³.

4- هيئة الخدمات: تعتمد بعض المدارس الدينية الداخلية في مجال الخدمات المقدمة داخلها على منتسبيها، الذين يؤدون مهام يومية أو أسبوعية بالتناوب على شكل مجموعات كما هو الحال في الثكنات العسكرية، وقد تتكون هذه الهيئة من أشخاص يتطوعون لخدمة المدرسة أو الزاوية وضيوفها وتلاميذها، أو يعملون مقابل ما اتفقوا عليه مع الشيخ، بحيث يكثرون عددهم أو يقل حسب حجم المدرسة أو الزاوية⁴، هذا في سائر الأيام العادية بينما في المناسبات يختلف الأمر بسبب التعبئة الجماعية لسكان المنطقة والتطوع الشامل في خدمة ضيوف المدرسة في ما يعرف في تواتر بتوزيع⁵.

وقد نجد بعض المدارس تشتمل على لجنة للمسجد حسب التنظيمات المعمول بها قانونا من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف⁶، والتي لا تلتزم بها المدارس الدينية الداخلية عندنا لكونها تعتبر

1 - الحاج أحمد حفاري: نفس المقابلة.

2 - لحسن رضوان: نفس المرجع، ص171.

3 - نفسه.

4 - أحميدة بن زيطة: المرجع السابق، ص06.

5 - الحاج أحمد حفاري: نفس المقابلة.

6 - لحسن رضوان: المرجع السابق، ص171.

المسجد جزء من هيكلها وبالتالي لا تسري عليه القوانين التنظيمية للمساجد التي تشرف عليها الوصاية، وكثيرا ما نجد إن غالبية المدارس الدينية الداخلية تتوارث الإشراف عليها أفراد بيت مؤسسها وتظل في هذا البيت كابرا عن كابر، فتستمر قرون من الزمن كما يمكن أن تعرف مراحل انتقالية يخف فيها وهجها العلمي والتربوي وقيادتها الاجتماعية حسب شخصية الخليفة ومستواه العلمي¹.

كما لا تخلوا بعض المدارس والزوايا من جماعة كبار لبلاد²، وهي في العادة مجموعة الممولين والساهرين على الدعم اللوجيستي للمدرسة، ويكونون ممن ساهموا في تأسيس المدرسة من قريب أو بعيد ويشكلون ما يمكن أن نطلق عليه المجلس العلمي والاجتماعي والاقتصادي للمدرسة، بحيث يرجع إليهم شيخ المدرسة في المسائل الكبيرة التي تهم المدرسة على غرار ترميمها أو توسعتها أو شراء عقارات لها أو البحث عن مصادر تمويل غير تقليدية للمدرسة، ونجد ذلك واضحا من خلال شخصية مولاي المهدي بن السبحموا بالنسبة للمدرسة الطاهرية بسالي، وشخصية كابويا بالنسبة لمدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير بادرار عاصمة الولاية، يساعدهم بعض الميسورين من أهل البلاد المعروفين بحبهم للعلم والعلماء³.

ثانيا: الهياكل المادية.

1- مسكن الشيخ: السكن الوظيفي ضرورة ملزمة في كل مدرسة تعتمد النظام الداخلي، على غرار المدرسة الدينية الداخلية الطاهرية ببلدية سالي دائرة رقان ولاية أدرار، ومدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير بعاصمة الولاية أدرار⁴، وهو يسبق كل هيكل يميز المدرسة أو الزاوية، ذلك أنه يتوجب عليه الاستقرار للتفرغ للدور الذي ألزم نفسه به، ولا يتأتى له ذلك إلا بإنشاء منزل خاص يعد النواة الأولى للمرافق الأخرى التي ستعرف الوجود بتطور الإمكانيات البشرية للمدرسة⁵.

1 - محمد عبد الحق بكرروي: نفس المقابلة.

2 - لحسن رضوان: نفس المرجع، ص172.

3 - محمد عبد الحق بكرروي: نفس المقابلة.

4 - معاينة شخصية للباحث.

5 - محمد سالم نوارى: المرجع السابق، ص71.

2- المسجد: يصطاح عليه في بعض المدارس الدينية المصلى تميزا بينه وبين المساجد المعتمدة من طرف الإدارة الوصية، في مدارس عديدة يؤدي دور المجلس العلمي الموسع للمنتسبين والمستمعين على حدا سوى، وفي مدارس أخرى يقتصر دوره على أداء الصلوات المفروضة وإقامة الشعائر الدينية التي تتطلب حضور جمع غفير من الناس كما جرت به العادة في المدارس الدينية وزوايا منطقة توات¹.

3- حجرات الدراسة: يعتبر القسم أو الحجرة التعليمية جزء مهم في العملية التعليمية في أي مدرسة كانت، وتضم مدارس مناطق توات عددا من الحجرات الخاصة بالدراسة والتي يزيد عددها بإزدياد عدد المتعلمين بها، ووظيفة هذه الحجرات هي احتضان أفواج التلاميذ الذين يتوزعون عليها حسب مستوياهم، وفي هذا الإطار تضم المدرسة الدينية الداخلية للشيخ سيدي محمد بلكبير خمسة حجرات تعليمية، مخصصة كما ذكرنا آنفا لكل فوج من أفواج المنتسبين للمدرسة حسب مستوياتهم الدراسية، يتدارسون فيها القرآن ويستظهرون ما حفظوه من كتاب الله ومن المتون المقررة عليهم، ويتولى الإشراف على كل فوج أكثر من مدرس من كبار التلاميذ أو الطلبة الموظفين، وقد يخصص شيخ المدرسة أحد الأقسام لتقديم الدروس الخاصة بالمتدرسين المنتسبين، وقد وقفنا على غياب التجهيزات العصرية بهذه الحجرات كما هو الحال في المدارس النظامية².

4- المرافق الداخلية: تتمثل في المراقد أو غرف النوم المخصصة لتلاميذ الداخلين، وتسعى كل مدرسة إلى تخصيص مرافق للداخلية التي يأوي إليها التلاميذ الداخلين في الساعات القليلة من الراحة، وتضم هذه المرافق على وجه الخصوص بيوتا للنوم، يختلف عددها وحجمها وطريقة هندستها من مدرسة إلى أخرى³، فقد تكون على شكل غرف كبيرة أو متوسطة وفي أحيانا كثيرة

1 - محمد سالم نوري: المرجع السابق، ص71.

2 - معاينة شخصية للباحث.

3 - أمحمد بن زبطة: المرجع السابق، ص07.

على شكل شاليهات، وتضم مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري ثمانية غرف لنوم تتسع كل منها إلى إثنا عشرة تلميذا¹، مكيفة ومؤثثة تسمح بتوفير نوع من الراحة للمقيمين.

5- المكتبات : تعد المكتبة عامل مهم في الفعل التعليمي لما توفره من أوعية معرفية لطلاب والباحثين، ومع ذلك فإن بعض الشهادات من بعض خريجي المدارس الدينية الداخلية الذين قابلناهم أكدوا لنا على أن نظام المدارس لا يسمح لهم بجيازة الكتب الغير مقررة في فترة تكوينهم²، ولكن يبدو إن ذلك قد تغير اليوم من خلال رأي من هم مازالوا يزاولون الدراسة في نفس تلك المدارس³، هذا لا ينفي كون بعض المدارس تمتلك مكتبات غنية بأمهات الكتب، تتضمن المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، ويتجلى ذلك أكثر في المدارس التي ورثت هذه الخزانات من شيوخها الأقدمين، أو التي لها موارد متعددة تسمح لها باقتناء الكتب عن طريق الشراء، وهذا ما نجده في المدرسة الدينية الداخلية الطاهرية ومدرسة الشيخ بلكبير فكليهما يملك مكتبة غنية وراثها عن مؤسس الزاوية، غير أن الملاحظ على منهجية بعض المدارس في هذا المجال إنها لا تفتح المكتبات، وخاصة خزانة المخطوطات إلا لأشخاص معينين من هيئة التدريس أو الطلبة الكبار الذين تتوسم منهم الاستفادة الفعلية من هذه المؤلفات⁴.

6- بيوت الضيافة: لا يخلو بيت من بيوت منطقة توات من مكان مخصص لضيوف هذا السلوك ينعكس على المدارس التي تعتبر وليدة محيطها، ولكون المدارس الدينية في توات مقصد للفقراء والمساكين وعابري السبيل، فإن دورها الاجتماعي لم تتخلى عليه بل كانت ومازالت محطة راحة للعابرين ومصدر عطاء وتكافل مع المحتاجين، وهذا ما دأبت عليه مدرسة بلكبير والمدرسة الطاهرية منذ تأسيسهما، ويتم إنشاء بيت مخصص لضيوف المدرسة بعد تطورها وانتقالها من مرحلة

1 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: المدرسة الطاهرية العتيقة(1944-2016)م، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ، غير منشورة، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف : أ/ أحمد بوسعيد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار الجزائر، السنة الجامعية (2016-2017)م، ص44-46.

2 - بوجمعة بختي: أحد خريجي المدارس الدينية إمام مدرس، مقابلة بمنزله في سالي، بتاريخ 2018/07/12م، على الساعة 10:00 سا.

3 - مقابلة مع بعض المتدربين بالمدرسة الطاهرية: بتاريخ 2018/07/12م، بعد صلاة العصر.

4 - أمحيدة بن زبطة: المرجع السابق، ص08.

استقبال الضيوف في بيت الشيخ إلى بيت خاص للضيوف بمرافقه الضرورية، التي توفر لهم كل أسباب الراحة ووسائلها المطلوبة¹.

7- أملاك المدرسة: جرت العادة على ألا ترهن المدارس الدينية الداخلية على غرار الزوايا تمويلها ومصدر مواردها الاقتصادية بعطايا المحسنين وهبات رجال المال والمساعدات المختلفة لمحيطها العام، بل عملت جاهدة منذ تأسيسها على إيجاد مصادر قارة تمتلك ناصيتها المدرسة، وفي منطقة توات عند تأسيس المدرستان الطاهرية 1944م أو مدرسة بل كبير 1950م كان الاستثمار الاقتصادي المتاح لسكان يتمثل في التجارة والفلاحة، ونظرا لعدم إمكانية ممارسة التجارة لجأت العديد من المدارس إلى الاستثمار الفلاحي الذي يعد العمود الفقري للاقتصاد المعاشي بالمنطقة، فامتلكت العديد من المدارس الدينية البساتين ونصيبها من ماء الفقاقير، أوقفت جلها على خدمة المدرسة وتوفير أجور المعلمين وإطعام التلاميذ والضيوف والصيانة الدورية لمرافقها²، وتتوفر لجل مدارس بلدان توات أملاك خاصة بها، تتمثل في الأراضي والبساتين والحيوانات ومختلف أنواع العقار، كما تمتلك بعضها مقادير محددة من مياه الفقارة التابعة للقصر، وتعتبر هذه الأملاك بمختلف أنواعها المصدر الرئيس الذي تعتمد عليه في تمويل حاجياتها للإنفاق على الطلبة والمساكين وعابري السبيل، ويضاف إليه ما يقدمه المحسنون من ذوي الجاه واليسر، وبعض المساهمات التي تتلقاها من مصالح الدولة المختلفة³.

المطلب الثالث: مهامها.

لقد عرفت توات مع مطلع القرن العشرين ظهور بوادر محاولة إعادة بعث الإشعاع العلمي والحضاري الذي عرفت به بلدان منطقة توات قبل دخولها تحت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سنة 1902م⁴، ومن التظاهرات الدالة عن إعادة الانبعاث العلمي والثقافي ظهور المجالس العلمية على

1 - الشيخ مولاي عبد الكريم حساني: نفس المقابلة.

2- مُجَّد باي بلعالم: أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، محاضرة في الملتقى الوطني الأول للزوايا، تنظيم ولاية أدرار، ماي 2000م، ص ص 04-05.

3 - مُجَّد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

4 - براهيم مياسي: مأوية إحتلال تيدكلت، مقال، جريدة اليوم، 2000م.

غرار مجلس العالم سيدي أحمد ديدي البكري التمنيطي، التي ما لبثت أن تحولت إلى مدارس علمية داخلية في المجال الديني، فكانت مدرسة الشيخ العالم سيدي أحمد ديدي التي تعود في تأسيسها لسنة 1347هـ الموافق لسنة 1928م وكما سبق وإن ذكرنا كانت المدرسة التي تخرج منها الشيخ سيدي محمد بل كبير بكورة هذا الانبعاث الفكري بالمنطقة، لتتوالى بقية المدارس في الظهور على غرار مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري سنة 1944م ومدرسة الشيخ بل كبير سنة 1950م، هذه المدارس أدت أدوارا هامة في منطقة توات منذ ظهورها إلى غاية انتشارها وتفرعها في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية، ومن خلال الوظيفة التي نذرت من أجلها والأهداف التي رسمتها يمكننا الوقوف على مستوى الأدوار التي أدتها ومازالت تؤديها اليوم.

أولا: الدور العلمي. الحديث عن المدارس يقودنا بالضرورة للحديث عن دورها العلمي، الذي يعتبر بحق ضرورة وجود المدارس الدينية الداخلية والخارجية وبعض زوايا العلم والمعرفة، وهو الأصل الأول في نشأتها وتضحية الناس من أجلها ويتمثل فيما يلي¹:

1- تعليم القرآن الكريم وحفظه: المنتسب للمدرسة الدينية الداخلية يكون عادة على درجة من الحفظ للقرآن الكريم، بعدما يكون قد تلقى مبادئه الأولية في الكتاتيب وبعض المتون في أحيانا كثيرة، إلا أن هذا لا يكون دائما، فقد نجد من يدخلون المدرسة ولم يسبق وأن درسوا القرآن لأسباب أو أخرى ولو بشكل نادر جدا، وعندها يتم تخصيص فوج خاص بهم يتولاهم أحد كبار التلاميذ²، وعندما يظهرون استعدادهم للحفظ يتم إدماجهم مع بقية التلاميذ حسب مستواهم العلمي، ومرحلة التدريس بالمدرسة التي قد تختلف أحيانا من مدرسة إلى أخرى بشكل نسبي، وتتم في هذه المدارس عملية حفظ القرآن على ظهر قلب، عن طريق البرامج المسطرة والأوقاف اليومية، وكذلك حضور مجالس تلاوة الأحزاب بإشراف الشيخ وهيئة التدريس، وهي وظيفة أساسية لنشر الدين الإسلامي، وفهم مصدره الأول وتواتره بتعليمه للأجيال الصاعدة، والموجه الأساسي للأمة الإسلامية، فتم حفظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في وسط البيئة التواتية بفعل هذه

1 - محمد عبد الحق بكرأوي: المقابلة السابقة.

2 - أحمد بل كبير: نجل الشيخ بل كبير، مقابلة بمدرستهم بأردار، 2019/12/11م، الساعة 20:45 سا.

المدارس¹.

2- تدريس السنة: بعد أن يثبت التلميذ حفظه لكتاب الله عن ظهر قلب يؤهل للانضمام إلى المجالس العلمية المخصصة في تدريس السنة النبوية؛ من أحاديث وأثر عن طريق الدروس والحلقات في السيرة النبوية والأخلاق والآداب العامة التي ثبتت عن السلف الصالح عليهم السلام وأرضاهم. وتعتمد بعض المدارس تخصيص جزء من برنامج دراسة التلاميذ لسرد وشرح صحيح الإمام البخاري وموطأ الإمام مالك من طرف المدرسين، بالإضافة إلى شرح ما يستلزم شرحه من طرف الشيخ خلال مسيرة طويلة قد تدوم السنة أو الستين، تحتمة عادة بحفل كبير تقام فيه الولائم ويحضره جمع غفير من الناس حتى من خارج محيط المدرسة، ويحدد تاريخ الاختتام مسبقاً ليعلمه الناس الذين يرغبون في الحضور إلى الفاتحة التي يتوج بها، وتتم إجازة من تحصلوا على ذلك في هذا الجنس العلمي ويقر لهم بمعارفهم التي اكتسبوها خلال مرحلة التعليم، وعندها يمكن لهم تقديم الدروس للمتمدرسين بالمدرسة إن بقوا بها أو يتم السماح لهم بالمشاركة في المسابقات التأهيلية لدخول المعاهد المتخصصة في تكوين الأئمة والمدرسين².

3- الدراسات الفقهية: في الوقت الذي يحفظ فيه التلميذ كتاب الله يحفظ بالموازاة بعض المتون المعتمدة في مجال الفقه، ويأخذ كل تلميذ واحدة حسب مستواه، ويقوم بحفظها، ونذكر منها على سبيل المثال: (متن ابن عاشر- متن الأخصري- الرسالة لأبي زيد القيرواني-، أسهل المسالك- مختصر خليل- تحفة الحكام لابن عاصم)، فيتم استظهارها من قبل بعض التلاميذ ويقوم الشيخ بشرحها بالوقف، كما يقوم الشيخ في جلساته العامة وهيئة التدريس في الحصص الخاصة بشرح ذلك وإجراء التطبيقات العملية عليه³.

4- دراسة علم التوحيد: كل ما تم العمل به في دراسة المتون الفقهية يسري على متون التوحيد، ويتم بحفظ المتون المتضمنة لذلك "كمتن السنوسية- الجوهرة- الأوجلي... " وشرحها في دروس خاصة وعامة، إضافة إلى ما يتعرض له الشيخ أثناء شرحه للمتون الفقهية السابقة الذكر في

1 - مُجَدَّ باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، صص318-319.

2 - أمحيدة بن زبطة: المرجع السابق، ص13.

3 - رضی لخدم: إمام بمسجد قصر النجار سالي، خريج المدرسة الطاهرية، مقابلة بمقر إقامته، بتاريخ 2018/07/12م، على الساعة 10:00 سا.

الأبواب المتعلقة بالتوحيد، وتستمر الدراسة خلال كامل المراحل التعليمية لتلاميذ وبشكل دوري ومستمر على شاكلة الحزب الراتب كل ما فرغوا من دراسة هذه المتون يتم إعادتها من الأول¹.
5- تدريس قواعد اللغة العربية: من طبيعة القرآن الكريم إعجازه اللغوي، ولذلك جاء تعليم النحو والصرف وفقه اللغة لفهم القرآن الكريم الذي يحفظه التلاميذ، ومن أهم المتون المعتمدة في هذا المجال (متن الأجرومية- ملححة الإعراب- ألفية ابن مالك... الخ). والدراسة تكون بنفس الطريقة السابقة التي تدرس بها المتون الفقهية، ويأخذ نماذج من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد من كلام العرب².

لا تحدد مدة الدراسة في هذه المدارس بسنوات معينة، ولكنها تخضع لمدى إمام التلميذ بالمعارف المقدمة فإذا آنس من نفسه استعداد وقدرة على الإفادة استأذن شيخه في البحث عن عمل إن لم يجد ذلك في المدرسة أو الزاوية نفسها.

أما خارجيا فقد كان للمدارس التواتية في إفريقيا الغربية الفضل الأكبر في تحقيق التعريب الشامل، فقد نشرت الفصحى وغرست حبها في النفوس، وبثت معارفها بين الناس، ولم يسقط من أوراق التاريخ الدور العلمي الذي قامت به القبائل التواتية في هذا المجال، نذكر منها على سبيل المثال قبيلة كنتة التي كانت لها مكانة مرموقة في بلاد السودان الغربي، وذلك بما قامت به من مهام تعليمية أسهمت في نشر اللغة والحرف العربي، وفي تأليف العديد من المصنفات اللغوية والفقهية والأدبية وفيما أنجبته من علماء أفذاذ كان لهم الفضل في المحافظة على الثقافة الإسلامية³، وعلى نفس المنوال نسجت المدارس الدينية الداخلية في القرن العشرين، من خلال جحافل المتخرجين الذين غطوا كامل التراب الوطني وبلاد الساحل الإفريقي.

ثانيا: الدور الاجتماعي. الانعكاس الإيجابي للمدرسة على محيطها من المظاهر الأساسية التي تدل على قيمتها الحضارية، فالقيمة المضافة لهذه المدارس تدليل جلي وواضح على تأثيرها على المجتمع

1 - رضى لخدم: المقابلة السابقة.

2 - أمحمد بن زبطة: المرجع السابق، ص13.

3- عبد الله عباس: التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف : د. موسى لقبال بمساعدة بشار قويدر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1997-1998)م، ص12.

الذي تعتبر وليدته، بل نجد بعض المدارس أو الزوايا كانت حاجة ملحة فرضها الوضع الاجتماعي الذي عرف تراجع كبير في مجال العلم والمعرفة، لنفس الأسباب التي استعرضناها آنفاً والمتمثلة أساساً في مشاريع التجهيل والطمس للهوية الوطنية، والحملات التبشيرية الشرسة التي عرفتها المنطقة من طرف ما يسمى بالآباء البيض الذين أمتد نشاطهم إلى ما بعد الاستقلال¹، فكان لزاماً على شيوخ المدارس أن يقضوا عن الدواعي الموضوعية للوقوع في شرك الاستعمار، بإحياء سنة التكافل الاجتماعي والتعاون في الأفراح والأقراح وتولي مهام التآخي والصلح بين عناصر المجتمع وبصفة عامة تولى شؤون المسلمين من سكان البلاد، والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها المدارس التواتية كثيرة ومتعددة يمكن التطرق لجوانب منها في مايلي:

1- مساعدة الفقراء والمساكين : من أهم الأدوار الاجتماعية التي تضطلع بها المدارس إعانة الفقراء والمحتاجين، هذه المهمة التي في الأصل من اختصاص الزوايا إلا أننا وفي مشهد لا يمكن أن نفرق فيه بين المدرسة والزوايا بتوات نجد إن هذه الفضيلة تحرص عليها المدارس، وقد تدخل هذه العملية ضمن الدروس التطبيقية التي تحاول من خلالها المدارس تعويد خريجها على مثل هكذا سلوكيات.

وبالنظر إلى الفترة التي جاءت فيها مدرستي الشيخ بلكبير ومولاي أحمد الطاهر، بحيث كان المجتمع يزرع تحت النير الاستعماري الفرنسي، وإستثنائه بمقدرات البلاد وتضييقه على مصادر أرزاق المجتمع، الشيء الذي انعكس بشكل سلبي على المستوى المعيشي للمجتمع باتساع طبقة الفقر، وهذا أمر كان مقصود من الدوائر الإدارية الفرنسية لإجبار السكان على الانخراط في أعمال السخرة للاستعمار، و الدفع بشباب البلاد إلى التجنيد في صفوف المهاري التي كانت تقوم بدور شرطة الصحراء²، كل هذه الظروف قادت إليها التحولات التي استهدفت التجارة المحلية القائمة على المقايضة، التي قضت عليها فرنسا بتعاملاتها النقدية، التي تسببت في أزمت كثيرة مست الساكنة وأثرت على قدرتهم الشرائية، فما كان على المدارس والزوايا إلا أن تقوم بتخفيف العبء

1 - ينظر: مُجدّ المكي قناطف: تقرير من مدير المعهد الإسلامي بآدرار(عن المنطقة)، مديرية التربية الدينية نيابة المعاهد، وزارة الأوقاف، 1965، الملحق رقم 07.(نسخة لدى الباحث)

2 - الصافي ختير: المرجع السابق، ص54.

على فقراء ومساكين القرى التي توجد بمحيطها، بل قد تساعد حتى الفقراء القادمين إليها من كل الاتجاهات، ويؤدي شيخ المدرسة والزواية بسخائه دورا مهما في إدخال السرور على الفقراء والمساكين¹.

2- مساعدة المنكوبين وأبناء السبيل: سلوك إنساني تحاول المدارس تربية أبنائها عليه، وهو من خلق المسلم السوي الذي يشكل مع أخيه البنين الاجتماعي المرصوص، الذي يشعر فيه الفرد بأنه جزء من المجموعة يساهم فيه في حدود إمكاناته، وتشكل هذه الجماعة عوامل الدعم والحماية لشخصه وقت الحاجة، ولهذا تساهم المدارس التواتية في مساعدة من تصيبه نكبة من نكبات الدهر، وتواسي ابن السبيل الذي يلجأ إليها وقد إنقطع به الحبل، وهو أمر يقوم به الشيخ أو من يتولى عملية الإنفاق نيابة عنه أو تقوم به جماعة البلدة في حالة انتهاج أسلوب النوبة، وتخرج هذه النفقات من إرادات أملاك المدرسة أو الزاوية المحفوظة لمثل هذا الغرض².

3- تنظيم الختان والزواج الجماعي: لم نعرف عن المدارس القيام بمثل هذه العمليات من قبل، إلا إنه في الآونة الأخيرة بدأت بعض المدارس تخوض هذه التجربة التي عرفت قبول كبير في المنطقة وباركها الجميع، وتجد لها المجتمع وراء المدارس والزوايا التي قادت مثل هذه العمليات، فتتولى بعض المدارس القيام بتنظيم ختان أو زواج جماعي لفائدة أبناء المحتاجين، وتتحرى لأجل ذلك المناسبات السعيدة والظروف المناخية المناسبة، وتصنع لذلك وليمة يحضرها الجميع، إلا إن مثل هذه العملية لم يؤكد لها لنا أحد بالنسبة لمدرسة بلكبير أو مولاي أحمد الطاهري، وبحكم تواجدنا في محيط هذه المدارس لم يشهد وأن وقفنا عليها في يوم، رغم انتشار الظاهرة التي تحتل فيها الريادة الجمعيات الخيرية وبعض الزوايا على غرار زاوية تمنطيط وسيدي سليمان بن علي.

4- تنمية روح الإتحاد والمحبة والأخوة: كثيرا ما يلجأ سكان توات إلى حل خلافاتهم عند شيخ المدرسة، نظرا للمكانة التي يحظى بها في وسط المجتمع مما يؤهله للقيام بدور الوسيط بين المتخاصمين، وتجنبنا للوصول إلى المحاكم التي تعد غريبة عن المجتمع، الذي عرفها مع التواجد

1 - الحاج الطاهر بن حمادي: نفس المقابلة.

2 - الشيخ الحاج محمد بكاري: شيخ مدرسة بني مهلال، مقابلة على هامش سلكة الشيخ مولاي أحمد وختم صحيح الإمام البخاري، المدرسة الطاهرية بتاريخ 2017/10/21م.

الاستعماري الذي حاول جاهدا فرض محاكمه المدنية والعسكرية على السكان دون جدوى، بسبب رفض السكان التام لتدخل الفرنسيين في شؤونهم الداخلية، هذا جعل شيوخ المدارس الدينية والزوايا يجلون محل القاضي الشرعي في هذا الأمر، مع الإشارة إنه كان هناك قاضي شرعي معترف به في تمنطيط، واستمر الوضع إلى غاية فترة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية، حيث عمدت الدولة إلى عدم التدخل في خصوصية المجتمعات ما لم يتم اللجوء إليها، وتعمل عديد المدارس على تحقيق ذلك بفضل التوجيهات الدينية التي ما فتئ الشيوخ يكررونها في كل التجمعات العلمية أو الاجتماعية، وتعمل على محو الفوارق الاجتماعية بين الناس ويتم ذلك نتيجة تلاحم الأغنياء بالفقراء وانصهار مختلف الطبقات الاجتماعية في بوتقة واحدة¹.

5- بث روح التعاون: من خصوصيات التجمعات السكانية التواتية التعاون الجاد والمثمر في جميع مناحي الحياة، وكما سلف وأن ذكرنا دائما يشعر أفرادها أنهم يشكلون جزء مهم من المجموعة، ولذلك تعمل كل مدرسة على بث روح التعاون وتزكيته بين سكان القرية، بدعوتهم وباستمرار إلى التزام الجماعة والتعاون على البر والتقوى وتحمس إشرافها على تنظيم هذا التعاون عن طريق العمل الجماعي المتمثل في القيام بالحملات التطوعية، عن طريق "التوزيع" في خدمة الفقارات وإصلاح السواقي وتحديد مصدات الرياح والزوابع الرملية، والمواسم السنوية والمناسبات الدينية والاجتماعية من أفراح وأقراح².

6- تنظيم ركب الحجيج: في مبادرة حسنة من بعض شيوخ المدارس الدينية قامت بعضها بتوات، على تنظيم عملية توديع الحجاج عند ذهابهم للأراضي المقدسة وعملية استقبالهم في أياهم، في الوقت الذي كانت فيه هذه المهمة من تخصص الزوايا التي وجدت من أجل ذلك وكان بعضها يمثل شيخها أمير الركب، ويبدو أن التراجع الذي عرفته هذه العملية بعد وفاة من أسسوا لها ولم يستطع خلفائهم الاستمرار فيها أضطر المدارس الدينية إلى بعثها من جديد، نظرا لقلّة المعرفة بمناسك الحج لدى غالبية السكان، الشيء الذي جعل بعض المدارس لاسيما تلك الواقعة على حافة الطرق الرئيسية بالولاية بتنظيم ركب الحجاج ذهابا وإيابا، مثل ما هو الحال بالنسبة لمدرسة

1 - عبد الله بابا: المرجع السابق، ص41.

2 - محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص32.

مصعب بن عمير لصاحبها الشيخ مُحَمَّدُ باي بالعالم بأولف، وزاوية أبي نعامه بأقبلي وزاوية الشيخ الحاج بلقاسم بمنطقة تنجورارين بتيميمون، بحيث تقوم بالإجراءات العملية للتوديع والاستقبال الجماعي لحجاج منطقتها أو المارين بها وتتكفل بكل ما يترتب عن ذلك من إنفاق في إطعام وإيواء الحجاج ومرافقتهم¹.

7- الصلح بين الناس: دائما في إطار تنمية روح المحبة والتآخي يكون لصلح بين القبائل المتخصصة دور كبير للمدارس الدينية، التي تحمل على عاتقها عملية تذليل معوقات التآخي والتحاب وتقوية عناصر تمتين هذه الجوانب، وكثيرا ما احتفظت الذاكرة الجماعية للمجتمعات التواتية بمبادرات إصلاحية قام بها شيوخ مدارس وزوايا، فتقوم المدارس التواتية بعمليات الصلح في حالة وقوع نزاعات أو خصومات، فيتم الانتقال من المدرسة بالتهليل إلى القصور المجاورة لإقامة الصلح وكان لشيوخ المدارس دور في فك الخصومات والنزاعات بين مختلف القبائل، وكثيرا ما توجت هذه المحاولات لإصلاح ذات البين بنجاح كبير يتفق فيه الأطراف على نبذ الخصومات والتخلي بروح التآخي والمحبة والتعاون، وتعقب العملية بفاحة جماعية يستحضر فيها رجال لبلاد ورجالها ورجلاتها الحين والميتين ورجال التراب واللي فيها يانيمين، كدلالة تعبيرية على أن الاتفاق ميثاق غليظ بين المتخاصمين، شهد عليه الجميع حاضر وغائب حين وميتين².

المبحث الثاني: المدرسة الطاهرية:

المطلب الأول: تأسيسها.

لم يقصد الشيخ مولاي أحمد الطاهري بلدة سالي بغرض الإقامة والتصدي للإمامة وتعليم كتاب الله وسنة رسوله للسكان، بقدر ما كانت محطة من محطات رحلته، ولكن ساقته المقادير إلى ما تحتلجه دواخله من شغف العلم وتعليمه وتعلمه، وهذا لا ينفي إمكانية كونه تم إرشاده إلى هذه البلدة لحاجة أشرافها من آل السيحمو لمن يتولى تعليم أبنائهم³، وفي كل الأحوال فإن الشيخ

1 - أمحيدة بن زبطة: المرجع السابق، ص 17-18.

2 - الشيخ الحاج مُحَمَّدُ بكاري: نفس المقابلة.

3 - عبد الله الطاهري: المرجع السابق، ص 20.

الجعفري سيدي مُجَّد ابن الحاج، قد أبان عن مدى تمكنه العلمي وأشار على كبار آل السيحمو بأنه بغيتهم وذخيرتهم النفيسة كما أوردنا سالفًا، وهذا ما أراد الله ونفس الشيخ مولاي أحمد الطاهري، وفي شهر ربيع الثاني من عام (1363هـ 1944م) عين له مولاي المهدي منزلا من منازلهم لتدريس¹، فباشر تعليم الناس صغارا وكبارا أمور دينهم ودنياهم، لما اشتمل عليه من العلوم، فقصده الجميع بما فيهم أئمة المساجد ومعلمي القرآن من كامل أرجاء سالي لتعليم أبنائهم والاستفسار عن ما أشكل عنهم من مسائل، وبعض الطلبة من خارجها على غرار الذهبي مولاي عمار وإبن عمه مولاي علي من تيلولين، وأحمادوا البوحامدي من زاكلوا²، وهكذا أستمر الحال على امتداد ثلاثة أعوام من العطاء العلمي والتربوي والإصلاحي، انتفع من خلاله التلاميذ والطلبة، وانعكس على البلاد قاطبة بعدما كانت في عالم من الجهل وقلة المعرفة بدين الإسلامي، إلا ما ندر في عائلات معدودة امتهنت تدريس القرآن والإمامة في قصور سالي، أو من كانوا يفدون عليها من الفينة والأخرى من البيت الجعفري لتبصير الناس بأمور دينهم، خلال هذه المدة ذاع صيت الشيخ مولاي أحمد، وتوافد عليه التلاميذ من كل حدبا وصوب بما لم يتسع له المكان المخصص لذلك، وفي هذه الظروف كان من بين التلاميذ رجل فاضل من قصر المحارزة، هو مولاي مبارك ولد سيد الحبيب لعائلة شريفة نبيلة، عرفت بكرمها ووفرت خيراتها وحبها للعلم وتبجيل العلماء، اقترح على شيخه بناء مدرسة بديلة في أرض من أملاكهم تقع غير بعيد عن المدرسة القديمة بين قصر سيد الشريف والعلوشية، وبعد مشاورة صاحب الفضل مولاي المهدي بن السيحمو تمت الموافقة بعون الله وقوته على المقترح، وتكفل آل السيحمو ببناؤها والقيام بمطلباتها وكان ذلك سنة 1366هـ الموافق لـ 1947م³.

زاد المقبلين على المدرسة الجديدة من تلاميذ ومحبين، فعرفت قفزة نوعية في ظرف وجيز، وأبانت عن أسرار الشيخ مولاي أحمد والكنوز التي يشتمل عليها، فاستصلح الأراضي للزراعة وبني ما يحتاجه من مسكن ومأوى لتلامذته واتسعت عليه الأرزاق حتى قام بعول التلاميذ وإنفاقهم بفضل

1- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: كتاب الدر المنظوم، مرجع سابق، ص 08.

2 - مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ص 358.

3- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، مرجع سابق، ص 1-42.

الملك الرزاق، مع قيامه أحسن قيام بالضيوف الوافدين، وإسعافه للغرباء والسائلين الواردين ولم يشتغل بذلك عن ما تصدى له من التعليم والإرشاد وهكذا كان الأمر والشأن¹.

نذكر من بين الطلبة الذين شكلوا نواة هذه المدرسة على سبيل المثال لا الحصر الشيخ العلامة مُحَمَّدُ باي بلعالم الذي وفد على الشيخ في السنة التي بدأ فيها بناء المدرسة الجديدة، وبعدهما درس بالمدرسة القديمة انتقل مع الشيخ إلى المدرسة الجديدة والتحق بهم في بحر نفس السنة ثلاثة تلاميذ من بشار شكلوا أربعتهم بداية المدرسة الجديدة، وصارت التلاميذ تفدوا من زاقلوا وأقبلي ومن بعض قصور توات².

بعد تأسيس المدرسة وبلوغ سمعتها الآفاق وتوافد الطلاب عليها من جميع أنحاء المعمورة، تطلب الأمر ضرورة وضع نظام داخلي وقانون أساسي يضبط السير الحسن للمدرسة، ويحقق أهدافها المرجوة، فكان نظام التدريس يسير على النحو التالي :

قبل طلوع الفجر يستيقظ التلاميذ يقرءون القرآن في انتظار الصلاة، وبعد الانتهاء منها يتلون بعض السور القرآنية، مثل يس والواقعة والملك وبعض الأذكار والأدعية جماعة، وبهذا تكون الشمس قد طلعت، بعدها يتفرق التلاميذ على طلبتهم³، وذلك من أجل إملاء القرآن على التلاميذ لكتابة ألواحهم، ثم يتم تصحيحها عند الطالب بعد كتابتها، ثم تدرس وتراجع حتى الحفظ التام عن ظهر القلب، ويقوم التلاميذ بالحساية⁴ على الطالب، وكل تلميذ له لوحتين واحدة لقراءة القرآن وحفظه والأخرى للدرس الذي يجريه الشيخ وتحمل الفقه والنحو والبلاغة وغيرها من الفنون وبعد كتابتها يعرضها التلميذ على الطالب ليصحح له بعض الأخطاء، وبعد ذلك تعرض على الشيخ في الدرس وهو ما يعرف بالوقفة، وفي هذه الإثناء يكون الشيخ في بيته منشغلا بالأذكار

1- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: الدر المنظوم، مرجع سابق، ص8.

2- الشيخ مُحَمَّدُ باي بلعالم: المرجع السابق، ص358.

3- الطالب : هو معلم القرآن وهؤلاء الطلبة هم من أكابر التلاميذ القدماء و الحافظين لكتاب الله.

4- الحساية : أستظهار القرآن المكتوب في الوح على الطالب.

والأوراد والمطالعة ثم يخرج بعد ذلك لأداء الدرس اليومي الصباحي في حدود الضحى وينتهي حتى الزوال¹.

وكان يشمل درسه على فنون شتى، ويشرح للطلبة ألواحهم شرحاً مفصلاً الواحد منهم تلو الآخر ويبين لهم ما أشكل، كان في وقت درسه لا يجارى ولا يخجل لطارئ يطرأ عليه وعلى أي منزلة من العلم كان، فكان يشرح بعض المؤلفات والمتون على عدة شروح وفي شتى الفنون من فقه ونحو وغيره وكان يعقب شرحه للقرآن الكريم بأربعة تفاسير، وشرحه لمختصر خليل في الفقه بأربعة شروح يسردها بعض الطلبة وهو يوضح غموضها وما أشكل فيها، وكذلك النحو في شرح ألفية بن مالك، والعاصمية لابن العاصم في القضاء بشرحين والدرة البيضاء للأخضري في الفرائض، والرسوموكي بشرح مؤلفهما وهذا من كمال براعته في العلم²، طريقة الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني الشنقيطي في التدريس هي طريقة العلماء الكبار، يحيط بالمسألة من كل جانب ويسطها ويراعي مستوى الطلبة³.

بعد الدرس، يتجه الطلبة لتناول الغداء، ومن تم القيلولة إلى غاية أذان الظهر يجتمعون في المسجد لانتظار الصلاة وهم يدرسون في ألواحهم أو كتبهم، وبعد ذلك تحفظ الألواح حفظاً دقيقاً وتحسى لتمحى بعد صلاة العصر، وبعدها يجمعهم الشيخ ليلقي عليهم دروساً في اللغة العربية من بلاغة وبيان وبديع، وكان يشرح ألواح بعض التلاميذ الذين يتعذر عليهم الحضور للدرس الصباحي وذلك لانشغالهم بمناوبتهم في العمل بالامتلاكات الملحقة بالمدرسة بالنسبة لنزلاء المدرسة، أو الالتزامات العائلية بالنسبة لسكان سالي، لذلك كان الشيخ يخصص لهم وقتاً في المساء لعرض ألواحهم وشرحها، وهذا الحال ما زال معمول به في المدرسة الطاهرية الأم بسالي العلوشية رقان ولاية أدرار، والمدارس المتفرعة عنها عبر التراب الوطني مع بعض التغيير حسب الحالة.

1- عبد العزيز محجوبي ومُحَمَّد بن عزاوي: المرجع السابق، ص 29-30.

2- الشيخ مولاي أحمد الطاهري: الدر المنظوم، مرجع سابق، ص 9.

3- أحمد متفكر: أستاذ باحث من تلامذة الشيخ مولاي أحمد الطاهري، مقابلة بمنزله بمراكش المملكة المغربية، بتاريخ 2018/10/11م على الساعة 18:00.

استراحة قليلة يتوجه بعدها لصلاة المغرب تعقب بقراءة الحزب الراتب، يراجع الطلبة بعض الشواهد الشعرية المتعارف عليها بالمتون؛ المتضمنة لبعض المسائل الفقهية والنحوية والتي يثري بها الشيخ درسه لتوضيحها وتسهيل بها فهم ما أشكل على التلاميذ من مسائل إلى حين صلاة العشاء، وبعدها تقرأ سورة يس والواقعة والملك وينصرف الطلبة لتناول العشاء، وبعده يقومون بمراجعة وتكرار ما درسوه في الصباح¹.

المطلب الثاني: آلية التدريس.

أولاً: النظام التعليمي المعتمد في المدرسة.

أبواب المدرسة مفتوحة لكل من بلغ سن 13 بعد طلب من وليه الشرعي، ليتم بعدها إخضاعه لعملية تحديد المستوى حسب المقاييس المعمول بها في المدرسة، لتتم إحالته على المستوى المناسب لمؤهلاته المعرفية.

فكان نظام التدريس يسير على النحو الذي سلف وأن ذكرنا أنفاً، مع احترام المراحل السنوية والقدرات الإستيعابية للتلاميذ.

ثانياً: الهيكل التنظيمي للمدرسة:

بعد تأسيس المدرسة وبلوغ سمعتها الآفاق وتوافد الطلاب عليها من جميع أنحاء المعمورة، تطلب الأمر ضرورة وضع نظام داخلي وقانون أساسي يضبط السير الحسن للمدرسة، ويحقق أهدافها المرجوة.

المقر الجديد للمدرسة يتربع على مساحة 7000م²، الحيز المخصص لتدريس طاقته الاستيعابية تفوق 300 تلميذ، منها 100 تلميذ في إطار النظام الإقليمي.

تعتمد المدرسة في تمويلها على إعانة المحسنين، ومايردها من عطايا وهدايا أولي الفضل، وما يدره عليها الموكب العلمي المتنقل عبر المناطق التواتية وما جاورها لشيخها سنويا، إلا أن هذا الوضع

1- عبد العزيز محجوبي ومُجد عزاوي: المرجع السابق، ص30.

قد تغير بعد إصدار قانون الجمعيات الدينية وتنظيمها من قبل الوزارة الوصية¹، فتعزز التمويل بالمخصصات المالية سنويا من قبل الدولة والإسهامات من طرف المديرية الولائية لشؤون الدينية.

وقد تم تنظيم المدرسة وفق الهيكل المعمول به في غالبية مدارس التعليم الديني المعروفة في منطقة توات، مع بعض التغيرات التي مستها حسب متطلبات الفعل التعليمي مع مرور الزمن، ويمكن تحديد ها بين هياكل مادية وأخرى بشرية نوردها تباعا في مايلي² :

الهياكل المادية : وتشمل المرافق التالية.

- المصلى.
- قاعات التدريس : 02.
- المكتبة.
- غرف الطلبة : 08 بسعة 12 شخصا في الغرفة الواحدة.
- بيوت الضيافة : 02.
- المطبخ.
- الساحات : 04.

الإطار البشري : وتتمثل في المرافق التالية :

- شيخ المدرسة : - الشيخ مولاي أحمد الطاهري (1944-1979).
- الشيخ مولاي عبد الله الطاهري من 1979 إلى يومنا هذا³.
- هيئة التدريس.
- هيئة الخدمات.

1 - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: ع2، القانون الأساسي للجمعيات رقم 06/12، الجزائر، يناير 2012م، ص39.

2 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: المرجع السابق، ص44-46.

3 - ينظر: وصية الشيخ مولاي أحمد لخليفته الشيخ مولاي عبد الله، الملحق رقم : 08.

المطلب الثالث: الإنتاج العلمي للمدرسة:

التحق الشيخ مولاي أحمد بالرفيق الأعلى بتاريخ 10 أكتوبر 1979م الموافق 18 ذي الحجة 1399هـ عن عمر ناهز 72 سنة بعد حادث مرور بمراكش المغربية، قضى منها رحمه الله ما يفوق 60 عام في ميدان العلم والإصلاح، مخلفاً موروث علمي وفكري يعتبر إضافة جديّة للحضارة الإنسانية، سواء تمثل في جحافل العلماء الذين تخرجوا على يديه وأجازهم علمياً، أو في كتبه التي ملئت المكتبات الإسلامية، وأثرت الأوعية المعرفية للموروث الحضاري البشري في الجانب الإسلامي والاجتماعي، جعلت منه أحد رموز الحركة الفكرية والإصلاحية في توات خلال القرن العشرين الميلادي.

أولاً: مؤلفاته.

ما عرف عن الشيخ إنه إنبرى للتأليف في أصناف شتى من العلوم، رغبة منه في تعميم الفائدة لتلامذته وعموم الناس، فترك العديد من المؤلفات وصلنا منها إحدى عشر مؤلفاً هي¹:

- فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك بأربعة أجزاء².
- العقد الجوهري شرح العبقري في سجود السهو.
- النحلة في حلق اللحية.
- عقد الجواهر واللثالي على نصيحة أبو العباس الهلالي.
- نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات.
- الدر المنظور على نظم مقدمة بن آجروم في النحو.
- رسالة في الرد على ابن الهادي.
- نبذة في تحقيق الطلاق الثلاث في كلمة واحدة.
- رفع الحرج والملام عن المال المشكوك بالحرام.
- رسالة في طرق حديث عبد الرزاق.

1 - عبد الله الطاهري: المرجع السابق، ص39.

2 - ينظر : صورة لمخطوط فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، الملحق رقم : 09.

- فتاوى عديدة في نوازل سديدة.

هذا وتجدر الإشارة إن الشيخ كما سلف الذكر لم يقتصر في التأليف على صنف أولون معين من الأدب والعلوم، فكما ألف في المسائل التي تهم المسلم في دينه لم يغفل الجانب المساعد على الحياة¹، كما لم ييخل على أبنائه وتلامذته بنصحهم وتوجيهاته حتى وهو بعيدا عنهم، على غرار قصيدته التي فاقت العشرون بيتا لأبنائه وتلامذته².

ونجد للشيخ قريض من الشعر على شكل ألغاز فقهية في مسائل عديدة، كالقصيدة التي بلغ عدد أبياتها أربعون بيتا³.

ومن قصائد الشوق والحنين إلى موطن الأجداد نجد للشيخ مجال، فعندما حنا لموطنه وهو نزبل بلدة سالي نظم قصيدة شعرية في ذلك⁴.

ثانيا: التلاميذ.

تخرج على يد الشيخ جمع كثير ونبغ به في الفنون المتداولة بين العلماء الجمع الغفير من أقطار شتى وبلدان عديدة شاسعة وبعيدة⁵، فكانوا بعد ارتحاله وإقباله على الآخرة وانتقاله إليها كنجوم أضاءت في الليل الاستعماري وماخلفه حتى شهد لهم بذلك الناس فبه عظموهم وأنزلوهم المنازل الرفيعة فمنهم من ينتمون إلى منطقة توات وبعضهم خارجها وبعضهم من خارج الوطن من البلدان المجاورة كمالي وغيرها⁶.

وقد تكوّن جل الطلبة في المدة الأولى التي مكثها الشيخ في توات والمقدرة بجوالي عشرين سنة والتي كان لها بالغ الأثر في ربوع البلاد ويظهر هذا جليا في طلبته الذين لا يحصرهم التعداد فمنهم من أسسوا المدارس داخل وخارج التراب التواتية ولا تزال قائمة حتى الآن في نشاط وحركة دائمين،

1 - عبد الله الطاهري: المرجع السابق، ص 41.

2 - ينظر: الملحق رقم 10.

3 - نفسه.

4 - نفسه.

5 - أحمد متفكر: نفس المقابلة.

6 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: المرجع السابق، ص 60.

وبعض الطلبة اكتفى بإلقاء الدروس في حلقات المسجد في كل الأوقات فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وقد كان في طلبته من ورد عليه للتعليم مبكراً وفي أيامه الأولى في المنطقة وسماههم الشيخ في كتابه "نسيم النفحات" بالرعييل الأول اقتباساً من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتيمناً بها حيث نجد في سيرة النبي أن الرعييل الأول هم الأوائل في الإسلام ومنهم خديجة وأبو بكر وعلي عليهم السلام، أما غيرهم فسماهم بالمتأخرين وأول المدارس التي أنشأها وأسسها مدرسته الطاهرية العتيقة بسالي وهي أم المدارس ومبعث نشاطه بالمنطقة.

ومن أشهر الطلبة الذين تحروا على يد الشيخ من سالي ونالوا شهرة واسعة في كامل أنحاء الديار التواتية وغيرها نذكر¹:

- تلميذه الشيخ سيد الحبيب بلحبيب خليفته الثاني في قصر سالي وكان من أوائل الطلبة الذين التحقوا للتعليم عنده، حقق وطبع له عدة كتب ومؤلفات وبدأها بترجمة للشيخ نذكر منها كتاب : فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، وكتاب الدر المنظوم وغيره، وتوفي -رحمه الله - في صيف 2004م.

- تلميذه مولاي عمر الذهبي التيلوليني نسبة إلى قصر تيلولين المحاذي لقصور سالي وهو خليفته الأول على المدرسة حيث كان الشيخ إذا أراد السفر خلفه عليها، وتوفي أثناء تواجد الشيخ بالمغرب.

- كذلك تلميذه السي محمد الرقاني شيخ زاوية الرقاني في منطقة رقان وكان يلقب بالفقيه توفي - رحمه الله - بداية 2006م .

ومن تلامذته المشهورين والبارزين في منطقة توات ومن فطاحلة العلماء وهو الشيخ محمد باي بلعالم صاحب التأليف الكثيرة، التحق بالمدرسة في وقت مبكر وتخرج كذلك في وقت مبكر بعد إجازة الشيخ له وطلب من أهل أولف حيث تولى التدريس فيها وأسس مدرسة دينية هناك وهي تستقطب الآن أعداداً كبيرة من الطلبة من كافة أنحاء القطر الجزائري ومن منطقة أولف كذلك السيد الحاج عبد الرحمان حفصي التحق بالمدرسة الطاهرية متأخراً عن الشيخ محمد باي بلعالم

1 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: المرجع السابق، ص 61.

صاحب بلده وقد عاد إلى بلدة أولف متولياً التدريس وله نشاط علمي بارز وله تأليف في شتى الفنون.

- كذلك من تلامذة الشيخ الأوائل الفقيه السيد الحاج المختار بن أحمد البرماكي¹ والذي وصفه الشيخ بالفقيه الأجل والعالم الأكبر وآية من آيات الله في التحصيل والفهم والاجتهاد وأولاده كلهم تلامذة له والحاج المختار كان إمام مسجد قصر مولاي عبد الواحد توفي -رحمه الله- أثناء عودة الشيخ الأولى إلى المغرب سنة 1967م وخلفه ابنه على المسجد وهو الحاج أحمد بوسعيد .

- كذلك من تلامذة الشيخ الحاج الحسن بن الحاج الطيب التليلاني شيخ زاوية بولاية البيض، وقد درس عند الشيخ كذلك الشيخ أمجد بن أمجد المختار بن حمزة، له مدرسة كبيرة بعين صالح.

- ودرس عند الشيخ كذلك الفقيه النحوي الحاج أمجد بن الحاج أحمد البوحامدي وأخوه الحاج أمجادو وهذا الأخير من الرعيل الأول ومن أوائل الطلبة الذين وفدوا على الشيخ.

- كذلك نذكر من التلامذة السيد الصالح بن الطالب الساكن بقصر المطارفة والذي كان يدرس في قصر العلوشية ونذكر كذلك الفقيه الإمام المرحوم العبادي إمام ومفتي ولاية تمنراست، كذلك الحاج عبد القادر بن السيد بن سالم أحد أحفاد الشيخ أمجد بن عبد الكريم المغيلي إمام ومدرس وشيخ زاوية وهؤلاء هم أشهر الذين درسوا عند الشيخ في أول أيامه في المنطقة.

أما بعض الطلبة الذين درسوا عنده في الخمسينيات نذكر منهم²:

- السيد حساني مولاي عبد الكريم صهر الشيخ والقائم على المدرسة الآن، ونذكر كذلك ابن الشيخ وخليفته على المدرسة الشيخ مولاي عبد الله حيث درس عند أبيه فترة وجيزة جداً حيث أخذه أبوه بعد ذلك إلى أدرار ليدرّس عند الشيخ سيدي أمجد بل كبير.

معظم الطلبة الأوائل الذين درسوا عند الشيخ من الرعيل الأول قد وافتهم المنية إلا القليل منهم وهؤلاء الذين ذكرنا أشتهر ذكرهم وذاع صيتهم وكان لهم تأثير كبير على المنطقة بعد مغادرة

1 - ينظر: إجازة الشيخ مولاي أحمد لتلميذه الشيخ أحمد بن سيد المختار بوسعيد البرمكي، الملحق رقم: 11.

2 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: نفس المرجع، ص63.

الشيخ لها وحتى بعد وفاته وهناك عدد كثير من الطلبة بقي لم نذكره، والذين نشطوا في جهات متعددة لا داعي لذكرهم لأن القائمة ستطول، درس عند الشيخ طلبة متأخرين نذكر منهم¹:

- الشيخ مولاي الحاج خليفة الشيخ سيد الحبيب على مدرسة تسفاوت وهو آية من آيات الله في العلم والمطالعة والفهم، وكذلك الشيخ الحاج مُجَّد بكاري شيخ مدرسة بني مهلال تميمون.

- الشيخ الحاج عبد الكريم بلحبيب الجعفري له مدرسة بقصر باحو التابع الآن لبلدية سالي.

- السيد مُجَّد الحسن بن الحاج عبد السلام الجعفري له مدرسة بغرداية.

- الشيخ الحاج مُجَّد حرمة نجل المرحوم السيد سالم التزولي له مدرسة ببلاده تازولت.

وحاصل القول أن الشيخ تخرج على يديه عدد كبير من العلماء، نبغوا في شتى العلوم تشهد على ذلك مدارسهم القائمة والمنتشرة في توات وبعض ولايات الوطن، ومن كانوا ركائز بناء الدولة الوطنية المستقلة في عديد المجالات، وفي نفس الوقت لا بد من الإشارة إلى من تخرجوا على يديه في الجامع أو المعهد اليوسفي بمراكش خلال (1962 - 1963)م².

ثالثا : المدارس المتفرعة.

أما الزوايا والمدارس التي أسسها الشيخ والتابعة للمدرسة الطاهرية نذكر منها:

- المدرسة الأم بسالي التي لا زالت تواصل رسالتها ويتخرج منها طلبة العلم وشيخ المدرسة إبنه الشيخ مولاي عبد الله³ وأما المدارس التي تفرعت منها عبر الجنوب الجزائري⁴:

1 - عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: نفس المرجع، ص 63.

2 - أحمد متفكر: نفس المقابلة.

3 - الشيخ مولاي عبد الله الطاهري: الابن الأكبر للشيخ مولاي أحمد وخليفته ووارث أسراره، من مواليد عام 1948م بسالي العلوشية، تولى زمام المدرسة بعد أبيه، يتميز بشخصية جذابة لاتفارق محياه البسمة، نير الوجه عذب الصوت يأسر السامعين، محبوب عند أهل سالي وكل من يعرفه، بتواضعه ودمائة أخلاقه جعل المدرسة محج للناس من كل فج عميق. ينظر: مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ص 360.

4 - مُجَّد باي بلعالم: نفس المرجع، ص 372.

- مدرسة تسفاوت وقد أسسها الشيخ بنفسه والقائم عليها الشيخ سيد الحبيب¹ قبل أن يؤسس مدرسته الجديدة بنفس المنطقة وبعد وفاة الشيخ سيد الحبيب أصبح المسير لها الآن خليفته الشيخ مولاي الحاج علالي² وهو صهره.

من المدارس كذلك نذكر مدرسة بني مهلال بتيميمون وهي كبيرة وداخلية والمتولي تسييرها الشيخ الحاج مُجَّد بكارى يساعده السيد الحاج مامو تلميذ الشيخ مولاي أحمد وهي قائمة بالتدريس والتعليم.

- مدرسة تازول لشيخها الحاج مُجَّد الحرمة.

مدرسة باحو فرع من المدرسة الطاهرية ويتولى شؤونها الشيخ بلحبيب الحاج عبد الكريم وهي كغيرها في التعليم.

ومدرسة سيدي أحمد الرقادي(الرقادية) بزواوية كنتة على قدم نشأتها تولى مشيختها الحاج أُمَّجَّد الكنتي³ تلميذ الشيخ درس عنده بالمغرب الأقصى.

ومن المدارس كذلك مدرسة بني ونيف بشار القائم عليها الشيخ إبراهيم بن جراد، ومدرستان بغرداية إحداهما مدرسة للشيخ أحمد بومعزة ومدرسة الشيخ بابا حسن.

ومن أشهر المدارس التي انبثقت من المدرسة الطاهرية مدرسة مصعب بن عمير بأولف هي مدرسة داخلية والقائم عليها الشيخ مُجَّد باي بلعالم وهي من أكبر المدارس في المنطقة إنتاجاً من حيث التأليف أو الطلبة ويرجع الفضل فيما سبق ذكره من المدارس والأعلام للمدرسة الطاهرية

1 - الشيخ سيد الحبيب: من الرعيل الأول الذين درسوا على يد الشيخ مولاي أحمد، ولد عام 1928 وتوفي سنة 2004، إستخلفه الشيخ مولاي أحمد على مدرسته بسالي وكتب له ذلك بالبقيع بالمدينة المنورة، وانتقل إلى مدرسته الأخرى بتسفاوت، وقد حقق وطبع له عدة كتب ومؤلفات ضمنها ترجمة عن الشيخ، ينظر : عبد الله الطاهري وعبد المالك الطاهري: المرجع السابق، ص61.

2 - الشيخ مولاي الحاج: من تلامذة الشيخ مولاي احمد المتأخرين، وصهر الشيخ سيد الحبيب، من مواليد سالي سيد الشريف، بعد وفاة الشيخ سيد الحبيب تولى شؤون مدرسته بتسفاوت ومازال بها إلى غاية كتابة هذه الأسطر.

3 - ينظر : إجازة الشيخ مولاي أحمد الطاهري لتلميذه الشيخ مُجَّد بن مصطفى الكنتي، الملحق رقم 12.

ولشيخنا العلامة الشيخ مولاي أحمد الطاهري الذي كان نوراً يستضاء به في توات والمغرب الأقصى .

المبحث الثالث: مدرسة الشيخ بلكبير:

المطلب الأول: تأسيسها.

بعد الموقف الذي اتخذته الشيخ مُجَّد بلكبير بعدم المكوث ببلاد يسجن فيها رجال العلم، على خلفية الأحداث التي عرفتتها مدرسة سيدي بوغرارة التي كان يشرف عليها بعاصمة قورارة تميمون خلال سنة 1948م كما سلف وإن ذكرنا، بعدها عاد الشيخ إلى مسقط الرأس ومدفن الأجداد بودة ليواصل من خلالها مسيرة الجهاد والتصدي والصمود، في وجه المخططات الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى تجهيل المجتمع واستغلال ذلك في عملية تمسيح وطمس للمعالم العربية الإسلامية، مستعينا بالله وثلة من رواد العلم والمعرفة من تلاميذ ومحبين إلى غاية عام 1950م، لما اجتمع رأي بعض المحسنين من أعيان عاصمة الولاية أدرار على ضرورة إنشاء مدرسة قرآنية ومسجد، واستقر رأيهم على الشيخ مُجَّد بلكبير مشرفاً على ما يريدون، فقصدوا شيخه سيدي أحمد ديدي بالمدرسة البكرية بتمنطيط، ملتجئين منه للتوسط لهم عند تلميذه مُجَّد بلكبير لقبول تولي مهام الصلوات والتدريس بأدرار، وقد توافقت المقاصد وكان لهم ما أرادوا بعدما أشار الشيخ على تلميذه بما فيه الخير له ولأمة المسلمين، وبدأت معالم صرحا علمي وحضاري تتبلور بداية من عام 1950م.

تميزت هذه الفترة من التواجد الاستعماري الفرنسي بحساسية كبيرة اتجاه كل ما يربط المجتمع بهويته ومبادئه، وكان المسجد بدوره المحوري في كل هذا مصدر إزعاج كبير للإدارة الاستعمارية، ولذلك خضع إنشاء المساجد لرقابة كبيرة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية، نظرا لأهميتها في بعث روح الثورة والجهاد ضد الفرنسيين.

وقد ارتبط المسجد منذ إنشائه بالمدرسة بكونه مركزاً حيويًا بالبلاد كما هو الشأن بالمدينة الإسلامية، حيث يعتبر مدرسة تدرس بها العلوم الدينية والدنيوية، ويعتبر أيضاً جزءاً من الزاوية التي تهتم بالشؤون التنظيمية والاجتماعية بالنسبة لسكان البلاد¹.

ولموقع المدرسة بالقرب من قصبة القايد كان يعد ذلك جد إستراتيجي في محور الصراع مع الاستعمار الفرنسي، فالمدرسة والمسجد الذي يحوي جموع المصلين على مسافة قريبة من الإدارة الاستعمارية المحلية والعسكرية، يعطي انطباع عام عن كونها تحت أعين الاستعمار ولا يمكنها المساهمة في أي عمل معادي² من شأنه زعزعت الاستقرار بالبلاد.

عرفت مدرسة الشيخ مُجَّد بلكبير تطور كبير في فترة وجيزة؛ بسبب تكاثف جهود المحسنين من أعيان توات والتفاف الشعب حولها، وما هي إلا فترة زمنية قصيرة حتى أصبحت المدرسة ذات تأثير قوي تعدى الحدود الجغرافية لتوات وأصبحت مصدر إشعاع علمي وفكري وثقافي بل أكثر من ذلك محور المجتمع التواتي، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ تولى الخطابة والإمامة وتعليم القرآن الكريم، وكان السيد الحاج عبد القادر أخوه والطالب سالم بن براهيم من أوائل الطلبة الذين افتتحت بهم مدرسة أدرار الجديدة وهم من الطلبة القدماء.

وشق الشيخ بلكبير طريقه في بحرا متلاطم من أهوال التضيق وافتعال المشاكل من إدارة الاستعمار، التي كانت تنظر لمايقوم به الشيخ بعين الريبة والحذر، فطلقت عيونها في كل مكان وأعوانها لرصد كل حركة في محيط المدرسة، ولكن عناية الله وتأييده كانتا السمة الغالبة على إبقاء المدرسة بعيدة عن مكائد الاستعمار، ومن الأعيان الذين كان لهم الفضل في إنشاء المسجد الكبير ومدرسة الشيخ مُجَّد بلكبير بأدرار نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر : مُجَّد أفاسم والحاج كبويا ومولاي المهدي.

بلغت مدرسة الشيخ مُجَّد بلكبير شأنًا عظيم يليق بما وجدت من أجله، ففي عهده رحمه الله بلغ عدد منتسبيها 1200 تلميذ يتلقون تعليمهم ومبادئ حياتهم في المدرسة، التي ساهمت بشكل

1 - الشيخ مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ص 308-312.

2 - الصافي ختير: أستاذ باحث من تلامذة الشيخ بلكبير، مقابلة في المتحف الولائي للمجاهد بأدرار، بتاريخ 2017/09/07م على الساعة 17:00.

كبير في إرساء المذهب المالكي في البلاد، من خلال تخرج العديد من الدفعات التي شكلت امتداداً طبيعياً للمدرسة في ربوع البلاد، بل تعدتها إلى عديد البلدان الإفريقية والغربية، فلا تخلو بلاد من حامل لكتاب الله وسنة رسوله ممن إرتووا من نبع مدرسة الشيخ بل كبير وساروا على هديه¹.

المطلب الثاني: منهج الشيخ سيدي محمد بل كبير التعليمي:

المستوى العلمي الذي حازه الشيخ محمد بل كبير ساعده بشكل كبير في إيجاد طرق ومناهج علمية مساعدة لتبليغ الرسالة، فلم يجد صعوبة في توظيف مخزونه المعرفي باستحضار الدلائل والشواهد العلمية في دروسه وما يقدمه من معلومات، في دروسه لا يشعر الطالب بالملل والشروء الذهني² لما يتخلل تلك الدروس والمجالس العلمية من نكت وحكم وتلائد المعارف وطرائفها، دون صعوبة ولا تكلف يتناول دروسه بأسلوب السهل الممتنع الذي يسمح للجميع بتحصيل الفائدة بغض النظر عن مستوياتهم، وفي تلك المجالس العلمية الخاصة والعامة تجلّى منهجه التعليمي الذي كان يسير عليه، وقد كان ذلك المنهج التعليمي استمداداً لطرق التعليم المنتهجة بالمدرسة التواتية³، وسيأتي بيان ذلك المنهج في طريقة التدريس.

عرفت منطقة توات في كامل ربوعها بالحرص والجد في تعليم القرآن والتفقه في الدين الإسلامي، والشيخ محمد بل كبير سار على هذا المنوال وعمل على إرساء هذا التقليد في المجتمع بكل ما جاد الله عليه من علم ومعرفة، وكرس حياته العلمية في خدمة الدين الإسلامي وإحياء العمل بتعاليمه السمحاء؛ من خلال دعم استمرار المذهب المالكي باعتباره خلاصة علم أهل المدينة المنورة وما ترتب عن ما ورثوه من سلوكات الرسول ﷺ وأصحابه المكرمين، وقد كان أهل توات حريصون على تعلم هذا المذهب والعمل على ما جاء به من أحكام وتعاليم، وتجلّى ذلك في حرص علماء توات على جعل هذا المذهب المرجعية الفقهية لأهل توات بل كل التراب الوطني الجزائري، على

1 - الصافي ختير: نفس المقابلة.

2 - الشيخ الحاج أحمد المغيلي: أحد تلامذة الشيخ بل كبير، مقابلة بمدرسته بأبجزمير، 2019/12/19م، 16:30 سا.

3 - الشيخ الحاج أحمد المغيلي: نفس المقابلة.

الطريقة التواتية التي بدئت تبلور أسس مدرسة فقهية مستقلة تحاكي المدرسة المغربية¹ بحكم التقارب والتفاعل الثقافي والعلمي بين بلدان المغرب الإسلامي الكبير، والشيخ الحاج محمد بلكبير يعتبر أحد رواد المدرسة التواتية وشيوخها المعاصرين، ويمكن تقسيم المنهج التعليم عند الشيخ محمد بلكبير إلى قسمين.

أولاً: منهج التعليم القرآني:

في تعليم القرآن أعتمد الشيخ بلكبير على نفس المناهج المتبعة في العادة بالمدارس الدينية بتوات، مع بعض الاختلافات الجزئية التي تخضع لطبيعة المحيط، ويمكن إبراز هذا المنهج في الطرق المستعملة في تلقين القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي للصغار والكبار، ومن خلال ذلك نقسم المنهج التعليمي القرآني عند الشيخ بلكبير إلى قسمين كذلك هما.

1- منهج التعليم القرآني للصغار:

شكل تعليم القرآن سنم اهتمامات علماء المسلمين عبر العصور، والمجتمع التواتي لم يدخر جهداً في هذا المجال، فأولوه أهمية كبيرة وبذلوا كل غالي ونفيس في سبيله، ولكون الاستثمار في الناشئة أنجع حظيت عند الشيخ بلكبير بعناية خاصة، انعكست على المجتمع في توات الذي عرف بهذه الخاصية، فلاتكد تجد قصراً يخلو من كتاب أو إثنين، والحكمة تقتضي إن تعليم الصغار كالنقش على الحجر، لما يتميزون به من صفاء الذهن وراحة البال، وتلك استعدادات فطرية للتحصيل الجيد، وفي تعلم الصغير للقرآن تقوية لملكاته الاستيعابية والإدراكية، ويمثل تعلم القرآن في الأسرة الإسلامية عموماً والتواتية على وجه الخصوص شعيرة من الشعائر الإسلامية، وركيزة أساسية لما يمكن أن يكتسب بعده من المعارف².

إن الطريقة المنتهجة عند الشيخ بلكبير رحمه الله في تعليم الصغار القرآن هي نفس الطريقة المعمول بها في المدارس بتوات على العموم منذ قرون، يفتح الشيخ للتلميذ المبتدئ للدراسة في

1 - مبروك المصري: المدرسة الفقهية التواتية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى 2004م، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر. ملحقه جامعة الجزائر، بوزريعة، الجزائر، ص 89.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 594.

لوحه يوم الأربعاء أو يوم الأحد¹، فيفتح له بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ثم الدعاء بالعون والتيسير (ربي يسر ولا تعسر نرجوا عونك يا معين)، ثم كتابة الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، ...) إلى آخر الحروف، ثم بعد معرفة حروف التهجي يكتب سورة الفاتحة ثم سورة الناس ويصعد مع سور القرآن، هذا إن كان التلميذ صغير السن ولم يسبق له التعلم، فإن كان سبق له بعض التعليم، يبدأ له من حيث يحفظ من سور القرآن، ويصعد مع سور القرآن إلى ختام سورة البقرة.

الطريقة الفردية في التعليم هي الأسلوب المناسب الذي يعمل عليه الشيخ محمد بل كبير، وهو كما ذكرنا آنفا معمول به عند مشايخ المنطقة، بحيث يُعلم كل صبي عن طريق الكتابة له في لوحه الخاص به ما يستطيع استيعابه وحفظه من آيات القرآن الكريم، من غير أن يكون له ارتباط بزملائه التلاميذ في الكتاب، وذلك حتى يسمح لمن يملكون ذكاء فطري من التلاميذ بأن يضبطون ويحفظون القرآن في أقصر وقت ممكن، وبالمقابل يعطى للعاديين والمتأخرين الفرصة في تحصيل ما يستطيعون من القرآن على حسب قدراتهم فيتعلم كل شخص في حدود قدراته الإدراكية واجتهاداته الذاتية، وبذلك ينشئ جو من التنافس والاجتهاد بين التلاميذ، فإذا ختم وحد أو مجموعة من التلاميذ القرآن الكريم، يقام لهم احتفالا تكريميا يعبر عن قيمة ومكانة حفاظ القرآن في المجتمع وفرحة مدرستهم وأهليهم بنجاحهم جزاء ما بذلوه من جد واجتهاد في تعلم القرآن والسعي في حفظ ما تيسر لهم منه، وتشجيعا لهم على استكمال حفظه وضبطه.

وتمثل هذه العادة تقليد قديم دأب أهل توات على القيام به عقب كل اختتام لكتاب الله في توات على الخصوص ويعرف باسم (لحفاظه) تفاقلا بأن يكون صاحبه من حفظة كتاب الله. ومن مظاهر هذا الاحتفال، تناول وجبة الغذاء أو العشاء على حسب الوقت المعد للاحتفال من المدعوين لذلك، ثم تزين ألواح التلاميذ التي كانوا يدرسون فيها القرآن بالزخارف والنقوش الجميلة ذات الصلة بالأخلاق الإسلامية وذلك بجوانب اللوح، ويكتب في وسط اللوح الثمن الأخير من سورة البقرة، وبعد ذلك يُلبس التلاميذ كل واحد منهم كسوة بيضاء ويكونون في هيئة جميلة كأنهم

1 - وهي عادة قديمة توارثها المشايخ في المدرسة التواتية جيلا بعد جيل مستندين في ذلك لما ورد في الحديث: " ما من شيء بدء به يوم الأربعاء إلا وقد تم ". ينظر: محمد عبد الحق بكرأوي: مرجع سابق، ص 110.

عرسان في ليلة زفاف، ويقدم للتلاميذ هدايا وجوائز من الأهل والأصدقاء والحاضرين لذلك الاحتفال تكريماً لأولئك التلاميذ وتشجيعاً لهم على مواصلة الجد والاجتهاد في حفظ القرآن، ويجتمع الاحتفال بتلاوة جماعية للثمن الأخير من سورة البقرة وقراءة بعض القصائد المتضمنة لفضائل القرآن ومكانة أهله¹.

2- منهج التعليم القرآني للكبار:

كبار المتدربين في المدرسة الدينية لشيخ مُجَّد بلكبير تتم عملياتهم التعليمية بشكل جماعي عكس ما عرفناه عند الصغار، بحيث يدون الطلبة الدارسون للقرآن الحكيم في ألواحهم نفس المقرر حفظه من القرآن، وفي الغالب يكون ربع الحزب في اليوم، باستثناء العطلة الأسبوعية المتمثلة في الخميس والجمعة، وبعد تدوين الألواح يأتي الشيخ ويجلس في مجلس الإقراء، فيفتتح المجلس كما جرت به العادة بالتعوذ من الشيطان الرجيم، والبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ويبدأ المجلس بقراءة المقرر حفظه من القرآن آية آية، والطلبة يعيدون ما قرأ جماعة، و يتوقف عند كل كلمة أو جملة تحتاج إلى بيان من حيث الضبط أو إزالة غموض في المعنى، والطلبة كل واحد ممسكاً بقلمه ليصحح ما في لوحه من أخطاء، ويقوم الشيخ أيضاً ببيان أحكام التلاوة الصحيحة وفق رواية ورش² عن نافع³ ليتمرن الطلبة على القراءة الصحيحة، في نفس الوقت يعمل الشيخ بلكبير على توضيح المتشابه اللفظي في القرآن من خلال بعض العبارات والشواهد.

1 - على غرار القصيدة المشهورة في الإقليم التواتي : أفضل ما يتلى وما يقال *** وخير ما ينفق فيه المال قراءة القرآن عند الناس *** كذا روى أئمة القياس. ينظر : رودوسي قدور بن مراد: **مجموع القصائد والأدعية**، المطبعة النعاليبة والمكتبة الأدبية نهج مصطفى إسماعيل، الجزائر، دون سنة طبع، ص 11-12.

2 - ورش: هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطي المصري، ولد سنة (110هـ-728م) ، ولقب بورش لشدة بياضه، انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر مع التجويد وحسن الصوت، توفي سنة (197هـ-812م) . ينظر: أبو بكر شهاب الدين ابن الجزري، **شرح طيبة النشر**، ضبط وتعليق: أنس مهرة، ط1، بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية، 1997م، ص 08.

3 - نافع: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، ولد سنة (70هـ-689م)، أصله من أصفهان، وكان أسود حالكا، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وأجمع عليه الناس بعد التابعين، كان إذا تكلم تشم من فيه رائحة المسك لأنه رأى النبي ﷺ في المنام وهو يقرأ في فيه توفي سنة (169هـ-785م). ينظر : مُجَّد الصادق قمحاوي: **البحث والاستقراء في تراجم القراء**، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - مصر، دون سنة طبع، ص 13.

وبعد ضبط الألواح وتصحيحها، يبدأ الشيخ والطلبة بتلاوة جماعية لربع الحزب المكتوب في الألواح، مدة من الزمن حتى يتمكن الطلبة من حفظ ذلك واستظهاره، بعد التمكن من الحفظ والاستظهار يعرض الطلبة ما حفظوا على الشيخ، وتارة يستظهر كل طالب ما حفظه على أحد زملائه، وفي المساء يقوم الشيخ والطلبة بمراجعة وتكرار ما حفظوا من القرآن بتلاوة جماعية، وأقل ما يراجع في اليوم خمسة أحزاب، مع حفظ اللوح وإستظهاره¹.

ثانياً: منهج تدريس العلوم الشرعية:

لقد كان الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير يعطي أهمية قصوى لتدريس العلوم الشرعية ونشرها بين أفراد المجتمع التواتي، من عقائد وفقه وغير ذلك من فنون العلوم وما يلحق بذلك من العلوم المكتملة من لغة ونحو وصرف، فكان للمجالس العلمية في مدرسة الشيخ طابع خاص يجعل المتمدرسين لا يضرجون.

ولم يكن الشيخ يتكلف في طريقة تكلمه ويحرص على اختيار العبارات الصعبة في الدروس والمحاضرات، بل كان يدرس على سجيته من غير تكلف، بأسلوب السهل الممتنع كان يوصل المعلومة للجميع بغض النظر عن فروقاتهم الفطرية، كان بين السانحة والأخرى يردد بعض الحكم والمواعظ لطلبته على غرار قول شيخه ومربيه سيدي أحمد ديدي رحمه الله "... في الظهور قص، الظهور...² رغبة منه في توجيه طلبته لجعل شغلهم الشاغل التحصيل العلمي، بعيد عن المراءاة والتباهي والشوفونية المؤدية للغرور والسقوط في الهاوية.

1- أسلوب المجالس العلمية:

الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير رحمه الله عرف بنشاطاته العلمية المكثفة، ودروسه المستمرة على مر الأسبوع، وحلقاته المتنوعة الألوان والأجناس العلمية، فكان يعقد مجلس يحضره الجميع من عامة الناس من الساكنة المحيطين بالمدرسة الدينية لشيخ سيدي مُجَّد بلكبير والوافدين عليها من الزوار، ومجلس يخصصه لطلبة العلم المنتسبين للمدرسة فقط.

1 - مُجَّد عبد الحق بكرأوي: المقابلة السابقة.

2 - نفسه.

أ- المجلس الأول:

كان مجلس يحضره عامة الناس من الساكنة المحيطين بالمدرسة والضيوف من كافة أطراف المجتمع، يعقد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، يتناول فيه الشيخ ما يحتاجه أفراد المجتمع في حياتهم من علوم دينهم في العقائد وفقه العبادات و المعاملات المالية والأحوال الشخصية وعلم السلوك.

هذا يشمل كامل البرنامج السنوي مع حرصه على الوقوف عند المناسبات الدينية فشهد ربيع الأول يخصصه الشيخ لدراسة السيرة النبوية، فيقوم بدراسة قصيدتي البردة والهمزية للإمام البصري¹، مع قراءة بعض قصائد مديح الرسول ﷺ كالقصائد الوترية في مدح خير البرية² وغيرها، احتفاء وابتهاجا بمولد الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن خلال هذا الدور الذي حرص الشيخ على تحميلة للمساجد والمدارس رغبة منه في جعل المسجد المحور الفاعل في المعادلة الاجتماعية، ولهذا كله ظل كل ما وتته الفرصة في لقاء طلبته المتخرجين، إلا حثهم على إحياء المساجد بالدروس الدينية³.

ب- المجلس الثاني:

هذا المجلس يخصصه الشيخ لطلبة والتلاميذ المتمدرسين المنتسبين للمدرسة، يبدأ الشيخ الدرس في غالب الأحوال من الضحى إلى ما بعد منتصف النهار يوميا ما عدا أيام العطلة الأسبوعية⁴.

1 - الإمام الفقيه الشاعر، أبو عبد الله شرف الدين، مُحَمَّد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري، ولد يوم الثلاثاء مستهل شوال(608هـ-1211م)، ينحدر أصله من (قلعة بني حماد) بالجزائر، من قبيل يعرفون ببني حنون، أشتهر بمدحه للنبي، ﷺ، اختلف في سنة وفاته، قيل: توفي سنة(696هـ-1296م)وقيل : سنة(697هـ-1297م). ينظر : صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شيتايز، قيسبادن، 1981م، ص105.

2 - المعروفة في الجنوب الجزائري بالبغدادي، للشيخ مُحَمَّد بن عبد العزيز بن الوراق ابن الفقيه مجد الدين بن مُحَمَّد عبد الملك الأسكندري.

3 - مُحَمَّد عبد الحق بكرراوي: المرجع السابق، ص121.

4 - نفسه.

2- التدرج في التدريس:

كان الشيخ سيدي مُجد بل كبير ينتهج في تلقين التعاليم الشرعية لطلبته طريقة المرحلية والتدرج، الذي يراعى فيه إمكانيات وقدرات الطالب واستعداداته الفطرية والعقلية وملكات الحفظ والتحصيل عنده، وتحصل العملية التعليمية وفق المنهج القديم الذي ساد في المدارس الإسلامية سابقاً، الذي يعتمد على حفظ المتون وشرحها وتلكم قاعدة لترسيخ العلوم واستحضارها، وفي هذه القاعدة لم يختلف عن نظرائه في باقي المدارس المعروفة.

عملية تحصيل العلوم تستلزم دراسة وحفظ المتون خصوصاً علم الفقه، فالطالب الدارس للفقه من خلال أمهات المتون والمنظومات الشعرية المتخصصة، يستطيع أن يعرف أكثر ما يلزمه في شؤون عباداته ومعاملاته وبدون ذلك قد يبقى السنين الطوال تفوته البديهيات¹، وتجري عملية حفظ المتون الفقهية واللغوية وتدريسها للمنتسبين إلى مدرسة الشيخ سيد الحاج مُجد بل كبير على ثلاثة مراحل:

أ- المرحلة لابتدائية:

الطالب في هذه المرحلة يدرس متونا من مصنفات العلوم في الضروري من علوم الدين ويسمى فرض العين، مثل نظم ابن عاشر وشروحه، ومختصر الشيخ الأخضرى وشرحه، وأساسيات في علم النحو، متن الأجرومية و شرحها.

ب- المرحلة المتوسطة:

في هذه المرحلة الطالب يدرس مجموعة معتبرة من المتون التي تصنف على إنها من أمهات العلوم تتناسب مع استعداداته الفطرية ومستواه العلمي، مثل أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك وشرحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرحها، وفي اللغة العربية قطر الندى وبل الصدى، وملحة الإعراب مع شرحهما.

1 - سعيد حوى: جولات في الفقهاء الكبير والأكبر وأصولهما، ط1، دار الشهاب عمار قرني، باتنة - الجزائر، دون سنة طبع، ص ص20-21.

ت-المرحلة النهائية:

كان لطلبة المرحلة النهائية مع الشيخ درس في تفسير القرآن الكريم بين صلاتي الظهر والعصر بعد قراءة الحزب الراتب، وكان لهم دروس في السيرة النبوية خصوصا في شهر المولد النبوي الشريف بين المغرب والعشاء¹.

وهذه المرحلة يدرس فيها طلبة العلم مختصر الشيخ خليل وشروحاته المختلفة بالتفصيل، وفي اللغة العربية يدرسون ألفية ابن مالك ولامية الأفعال مع شروحهما المتعددة، ويدرس طلبة المرحلة النهائية علم الحديث رواية؛ وذلك بدراسة صحيح الإمام البخاري في شهر رمضان مع بعض شروحاته على كثرتها.

3-المواد العلمية:

كانت المواد العلمية المقررة في التدريس بالمدرسة الدينية الخاصة للشيخ سيدي محمد بلكبير وفق البرنامج المعمول به والسائد في المدارس التواتية منذ قرون²، وقد عرفت المجالس العلمية عند الشيخ محمد بلكبير بترائها المعرفي وغناها العلمي، لما تعرفه من حيوية وسجال في المناقشة بالنظر لتشعب موضوعاتها وهي كالتالي:

أ. علم العقيدة:

إن أول ما يجب على المكلف المسلم معرفة الله ورسوله كقاعدة معرفية ثابتة هذا ما خلص إليه العلماء والباحثين المسلمين في علم العقيدة، وهي جملة المعارف العقائدية التي يدرسها الطالب في بداية العملية التعليمية.

واعتمد الشيخ بلكبير في تدريسه لعلم العقائد على جملة من الكتب التي اشتملت على معارف علمية دقيقة، وكانت محل إجماع العلماء ويشهد على صحة معلوماتها وعدم مخالفتها للجمهور على غرار:

1 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المرجع، ص 137.

2 - الشيخ الحاج أحمد المغيلي: نفس المقابلة.

1 - المرشد المعين على الضروري من علوم الدين:

المعروف بابن عاشر، للشيخ عبد الواحد بن عاشر¹، وهو متن يحتوي على ما يجب على المكلف المسلم معرفته من أحكام الدين الإسلامي، جمع فيه المؤلف ثلاثة أصناف من العلوم. الصنف الأول: علم العقائد وبدأه بمقدمة مقتضية في العلوم العقلية بين فيها مصطلحات علماء الكلام.

الصنف الثاني: علم الفقه وعالج فيه أحكام العبادات، وبدأه بمقدمة مختصرة من علم الأصول بين فيها مفهوم الحكم الشرعي وأقسامه.

الصنف الثالث: علم التصوف.

2 - رسالة ابن أبي زيد القيرواني:

للإمام العلامة الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ-696م)، أحاطت بالعقائد و الأحكام الفقهية والآداب، بأسلوب ولغة السهل الممتنع.

3 - متن الأوجلي:

للشيخ سيدي محمد الصالح الأوجلي¹ وهو متن مختصر في ثلاث وستين بيتاً، اشتمل على أسس قواعد الإيمان، ونصائح تبين لطالب العلم مكانة علم التوحيد وفضله.

1 - الشيخ العلامة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري الأندلسي الفقيه المالكي، الشهير بابن عاشر، ولد بفاس سنة (990هـ-1582م) ونشأ بها منصرفاً للعلم ومجالسة أهله، أخذ عن الشيخ أبي العباس اللمطي، والشيخ الخطيب أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني، والعلامة أبي عبد الله القصار، والشيخ أبي العباس بن القاضي وغيره، اشتهر الشيخ ابن عاشر بغزارة علمه في علوم القرآن والفقه، وغيرهما من العلوم، قضى عمره في تدريس العلوم والتأليف، له تصانيف مفيدة كثيرة، منها: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين؛ منظومة في فقه المالكية معروفة (بابن عاشر)، وأرجوزة في عمل الربع المجيب، وتنبيه الخلان، في علم رسم القرآن، وفتح المنان في شرح مورد الظمان في رسم القرآن، والإعلان بتكميل مورد الظمان في كيفية رسم القرآن، وشفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، الجمع بين أصول الدين وفروعه ، شرح مختصر الشيخ خليل في الفروع، وغير ذلك، توفي وعمره خمسون عاماً بفاس في ذي الحجة سنة (1040هـ-1631م). ينظر: عبد الله المرابط الترغي: **فهارس علماء المغرب**، ط1، تطوان المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي، 1999م، ص462.

4 - جوهرة التوحيد:

للشيخ إبراهيم اللقاني (ت104هـ-1631م) و هي منظومة تتكون من مائة وأربعا وأربعين بيتا تتحدث عن علم العقائد، من إلهيات ونبويات وسمعيات، لاقت استحسان العلماء، وأعرب العديد منهم عن إعجابهم به " ...قد نظم هذا الفن في عقد نضيد، وحوى من نفائس الدرر و محاسن الغرر ما يدهش الألباب، ويقضي بالعجب العجاب، وقد ولع الناس بالدخول في رياض فوائده، و الأخذ من ثمار موائده..."².

5 - الخريدة البهية:

للشيخ أحمد الدردير³، وهي متن مختصر اشتمل على واحد وسبعين بيتا، في بيان علم العقائد وأقسام الحكم العقلي، وقد تم شرحه من ناظمها وبعض تلامذته.

ب - علم الفقه:

بمجرد الحصول على زاد علمي من المعارف العقائدية الإسلامية الصحيحة، والتأكد من تمكن الطالب من معرفة الله ورسوله وأصبح يمتلك معطيات علمية تؤهله للتفقه في الدين، يبدأ الطالب بدراسة علم الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، إمام أهل المدينة المنورة في زمنه.

1 - الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي من علماء ليبيا لم أقف له على ترجمة.
2 - إبراهيم الباجوري: تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2004م، ص07.
3 - الشيخ العلامة أبو البركات أحمد بن الشيخ الصالح محمد العدوي الأزهري الحلوتي، الشهير بالدردير: العالم الفقيه العارف بالله ولد سنة(1127هـ-1715م)، أخذ عن الشيخ علي الصعيدي، لازمه و أنتفع به، والشيخ أحمد الصباغ، و الشيخ الملوي وغيره، أفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة و الزهد و ارتقى حتى صار شيخا على أهل مصر بأسرها في وقته حسا ومعنى، ترك مؤلفات في غاية الدقة و التحرير رزق في غالبها القبول منها، الشرح الكبير على مختصر خليل، أقرب المسالك لمذهب مالك، و شرحه المسمى: الشرح الصغير، رسالة في متشابهات القرآن، نظم الخريدة البهية في التوحيد، و غيرها كثير، توفي في السادس ربيع الأول سنة(1201هـ-1786م). ينظر: أبا الزبير عبد السلام أحمد فيغوا: أمهات الكتب الفقهية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، دون سنة طبع، ص79.

ولقد أعتاد الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير رحمه الله في مساره التعليمي على انتقاء الكتب وأمّهات المتون الفقهية المعتمدة في بلاد المغرب الإسلامي؛ وذلك لشهرة مؤلفيها العلمية ودقة تحريهم في نقل ما اعتمدت به الفتوى وترجح به العمل في المذهب المالكي¹ وهي على التوالي:

1 - المرشد المعين على الضروري من علوم الدين: وهو نفس المرجع المعتمد في علوم العقيدة، مع الالتزام بشروحه المختلفة، على غرار: الحبل المتين على نظم المرشد المعين²، المباشر على ابن عاشر³، مختصر الدر الثمين والمورد المعين⁴، والدر الثمين والمورد المعين⁵، حاشية أبي عبد الله مُجَّد الطالب بن حمدون بن الحاج¹.

1 - مُجَّد النابغة الغلاوي الشنقيطي: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي، تحقيق: لخضر بن مُجَّد بن قومار، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2009م، ص113.

2 - وهو شرح مختصر صغير، سهل العبارة واضح المعنى، وضع للمبتدئين من طلبة العلم، للشيخ العلامة مُجَّد بن المبارك المسفيوي المراكشي، المعروف بابن المؤقت، لأن عائلته كان لها التوقيت بالجامع اليوسفي بمدينة مراكش، وقد تولى مهمة التوقيت بعد والده بالجامع المذكور، ولد سنة (1312هـ-1894م)، نشأ في بيت علم ودين تحت رعاية والده الذي كان حينئذ من كبار علماء التوقيت، حيث حفظ على يديه القرآن ثم تعلم عنه علم التوقيت، وتلمذ على يد ثلة من الشيوخ الكبار، كما له تأليف عديدة في فنون مختلفة، توفي في السابع عشر من صفر سنة (1369هـ-1949م) بمسقط رأسه مراكش. ينظر: عبد القادر بن سوادة: سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، تحقيق: مُجَّد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1897م، ص139.

3 - وهو شرح مفيد مختصر اختصارا شديدا مزج فيه النظم بالشرح حتى غدا كأنه كتاب واحد، للعلامة الفقيه الأديب الشيخ الورع سيدي مُجَّد بن أمير النابغة الغلاوي نسبا، الشنقيطي وطنا، من قبيلة الأغلال إحدى القبائل العريقة التي أسست مدينة شنقيط، لم يذكر المترجمون له تاريخ الولادة، ترك تأليف حجة منها: شرح إضاءة الدجنة في العقائد، منظومة العدة في أحكام الردة، وشرح منظومة ابن عاشر المذكور وغيره، وافته المنية سنة (1245هـ-1829م). ينظر: مُجَّد النابغة الغلاوي الشنقيطي: مصدر سابق، ص52-71.

4 - للعلامة مُجَّد بن أحمد ميارة (ت1072هـ-1661م)، وهو شرح جليل، اعتمد فيه المؤلف على حل ألفاظ منظومة ابن عاشر وبيان معانيها مع ذكر الاستدلال بأقوال الأئمة الأعلام وقد لقي هذا الشرح إقبالا وعناية من لدن العلماء؛ فقد اهتم به الفقيه العلامة مُجَّد الطالب بن حمدون (1273هـ-1856م) وجعل عليه حاشية. ينظر: مُجَّد عبد الحق بكرأوي: مرجع سابق، ص156.

5 - يعرف بالشرح الكبير للعلامة الشيخ مُجَّد ميارة، وهو شرح مفيد يعد من مصادر الفقه المالكي المعتمدة، كثير الفوائد أبان ما أجمله الناظم من الأحكام الفقهية و أوضح معانيها، مع إقامة دلائلها وأقوال العلماء وأرائهم. نفسه.

2 - مختصر العبادات: للإمام الأخصري²، اشتمل على مقدمة جمعت جملة من علم الأخلاق و التصوف، وعلى أبواب الطهارة والصلاة وأحكام السهو.

3 - العبقري في نظم سهو الأخصري : للشيخ مُجَّد بن أب بن احمد بن عثمان التواتي³، و هو متن نظم فيها المؤلف باب السهو من مختصر الإمام الأخصري.

4 - أسهل المسالك لنظم ترغيب المرید السالك : للشيخ مُجَّد البشار، وهو متن جمع مسائل جمّة من الفقهاء الكبير والأكبر، شمل قواعد الإيمان وأبواب الفقه من عبادات ومعاملات وغيرها، وختم المتن بجملة من قواعد التربية وآداب السلوك.

1 - للشيخ أبي عبد الله مُجَّد الطالب بن حمدون بن الحاج (1273هـ-1856م)، وهي حاشية لطيفة على مختصر الدر الثمين على المرشد المعين للشيخ ميارة، استدرك فيها ما تركه الشيخ ميارة ولم يذكره في الشرح المذكور، وتفسير ما يحتاج إلى بيان وإيضاح في الشرح. نفس المرجع السابق، ص 157.

2 - هو الشيخ الجليل العلامة الجزائري أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَّد الصغير - بالتصغير - بن عامر الشهير بالأخصري، العالم الفقيه ولد في بنطوس من قرى الزاب بالقرب من بسكرة، واختلف في تحديد تاريخ ميلاده والراجح أنه حوالي سنة (821هـ/1503م)، أخذ عن والده وعن شقيقه أحمد وعن الشيخ عمر بن مُجَّد الكماد المعروف بالوازان وغيره، ونبغ فأصبح عبقرى في شتى العلوم الإسلامية، فحاز معقولها ومنقولها درسا وتدريسا وتأليفًا، وهو فتى صغير السن، وترك تآلف جمّة في شتى العلوم منها: الجواهر المكنون في ثلاثة فنون، والسراج في علم الهيئة، والسلم في المنطق، ومختصر العبادات في الفقه وغير ذلك، توفي رحمه الله سنة (862هـ/1563م)، ودفن بقرية بنطوس فقبره مشهور بما إلى الآن. انظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط3، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1980م، ص ص 79-81.

3 - هو الشيخ سيدي أبو عبد الله مُجَّد بن أب بن أحمد بن عثمان التواتي المالكي، التواتي مولدا ودارا، ولد بقرية أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، و هي في التقسيم الإداري المعاصر تابعة لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار، لم يعرف له الرواة تاريخ ميلاده، ولا شيئا عن أسرته، و أقرب الأحوال عنده، أنه ولد في نهاية القرن الحادي عشر الهجري أو أول القرن الثاني عشر، نشأ في قرية أولاد الحاج مسقط رأسه، و بما تلقى مبادئ تعليمه الأولى، ثم تعلم على مشائخ عدة منهم: الشيخ سيدي مُجَّد الصالح بن المقداد، والشيخ العلامة سيدي عمر بن مصطفى بن سيدي عمر الرقادي، و عنه أخذ ابنه الشيخ سيدي ضيف الله، والشيخ العلامة سيدي عبد الرحمن بن باعومر التتالاني، و ترك عدّة مؤلفات : (العبقري في نظم سهو الأخصري)، (روضة النسرين في مسائل التميرين)، (وشرح نظم مقدمة ابن آجروم)، أرجوزة في علم العروض سماها: (روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل)، و غير ذلك، ومات ظهر الاثني عشر من جمادى الأخيرة سنة (1160هـ-1747م)، ينظر : مُجَّد بن عبد الكريم بكرروي: جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، مخطوط، بالخزانة البكرية، بتمنيط، ص 14.

5 - الرسالة: لإبن أبي زيد القيرواني (ت386هـ-996م)، هي من أبرز الكتب في المذهب المالكية، وأكثر كتب ابن أبي زيد القيرواني شهرة، عنصر مهم في العملية التعليمية في مجال الفقه¹، ويعتمد في شرحها على كفاية الطالب الرباني لشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني²، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني³.

6 - المختصر: للإمام العلامة خليل بن إسحاق الجندي (ت776هـ-1374م)، كتاب جمع فيه أكثر فروع الفقه ومسائله، معتمدا على الشرح الكبير للشيخ أحمد الدردير (ت1201هـ-1814م) مع حاشية الدسوقي (ت1230هـ-1814م)، ومواهب الجليل⁴، والتاج والإكليل لمختصر خليل⁵، وأوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي المعروف (بحاشية الرهوني على الزرقاني لمختصر خليل)⁶، وحاشية المدني علي كنون¹.

1 - مُجَدَّ إبراهيم علي: اصطلاح المذهب عند المالكية، ط2، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة- دبي، 2002م، ص243.

2 - للشيخ أبي الحسن (ت939هـ-1532م) مع حاشية الشيخ علي الصعدي العدوي (ت1189هـ-1775م)، وهو شرح لطيف مزج فيه المؤلف بين اللفظ و المتن على طريقة الأقدمين. انظر: أبا الحسن علي المالكي: كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، مكتبة و مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة- مصر، دون سنة طبع، ص ص04-05.

3 - أبا العباس أحمد بن غنيم بن سالم النفزاوي: الفواكه الدواني علي رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، دون سنة طبع، ص ص01-02.

4 - للشيخ مُجَدَّ بن مُجَدَّ الخطاب المولود عام(902هـ-1496م) بمكة المكرمة، وتوفي بطرابلس سنة(953هـ-1546م) وهو من أشهر كتبه، تركه مسودة فبيضه ولده يحيي وهو من خير مؤلفاته وأكبرها حجما، وتداوله الناس شرقا وغربا، ومنه استمد الذين شرحوا المختصر بعده لأنه أكثر الشروح تحريرا واثقانا. ينظر : أبا عبد الله مُجَدَّ بن مُجَدَّ الخطاب: تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة، تحقيق: أحمد سحنون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1988م، ص ص87-118.

5 - لأبي عبد الله مُجَدَّ المواق (ت897هـ-1491م)، وهو كتاب جليل مطبوع على هامش مواهب الجليل، سلك فيه المؤلف منهج المقابلة بين نصوص المختصر ونصوص غيره من أعلام المذهب، ليستعان بها على فهمه. ينظر : مُجَدَّ عبد الحق بكرأوي، مرجع سابق، ص166.

6 - للشيخ سيدي مُجَدَّ بن أحمد الرهوني ولد في ذي القعدة عام(1159هـ-1749م)، له تأليف مفيدة، وخطب ورسائل بارعة منها: حاشيته المذكورة على شرح الزرقاني على المختصر، وحاشية على شرح ميارة الكبير على المرشد المعين لم يكمل، وأرجوزة في أحكام الحيض والنفاس ذيل بها المرشد المعين، شرحها تلميذه الشيخ عبد الله بن أبي بكر المكناسي،=

7 - تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام: للإمام أبي بكر بن عاصم²، وهي أرجوزة في الفقه مشهورة، بشرح البهجة في شرح التحفة³، وحلى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، للشيخ أبي عبد الله محمد التاودي⁴.

ت . علم اللغة العربية:

المتفق عليه أن اللغة هي إحدى مفاتيح دراسة العلم والبحث العلمي، وتمثل جانب مهم من هوية الشعوب، وقد عمل الاستعمار الفرنسي بالجزائر جاهدا على محاولة طمس هوية المجتمع من

= وغير ذلك، توفي بعد فجر يوم السبت ثالث عشر رمضان سنة (1230هـ - 1814م). ينظر: محمد عبد الحق بكرأوي: مرجع سابق، ص 167.

1 - للشيخ أبي عبد الله محمد المدني (ت 1298هـ - 1880م)، وهي اختصار لحاشية الشيخ الرهوني على الزرقاني لمختصر خليل. ينظر: محمد عبد الحق بكرأوي: مرجع سابق، ص 168.

2 - الشيخ أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القاضي الأندلسي الغرناطي، الفقيه الأصولي المحدث كان مرجعا في المشكلات والفتوى، ولد يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة (760هـ - 1358م)، أخذ عن شيوخ عديدة منهم: الإمام العلامة أبو إسحاق الشاطبي والشيخ أبو عبد الله القيحاوي والشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني والشيخ أبو إسحاق بن الحاج و الشيخ ابن علاق وغيرهم، و عنه أخذ ولده العلامة القاضي أبو يحيى وغيره، ترك تأليف مفيدة منها: تحفة الحكام السابقة الذكر و أرجوزة في الأصول تسمى (مهيع الوصول في علم الأصول)، و اختصار الموافقات و أرجوزة في النحو و أخرى في الفرائض و غير ذلك، توفي في حادي عشر شوال سنة (829هـ - 1425م). ينظر: أبا الحسن علي بن عبد السلام التسولي: البهجة في شرح التحفة، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1998م، ج 02/01.

3 - للشيخ أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي (ت 1258هـ - 1842م)، شرح جليل مرجع لأهل القضاء والتدريس، تناول التحفة بالشرح والبيان كما يشتمل على تنبيهات وفروع. أنظر: أبا الحسن علي بن عبد السلام التسولي: مصدر سابق، ج 02/01.

4 - الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن سودة المزري الفاسي القرشي، ولد بفاس سنة (1111هـ - 1699م)، أخذ عن شيوخ عدة منهم: الشيخ يعيش الشاوي والشيخ محمد بن عبد السلام البناي والشيخ محمد بن قاس وغيرهم، وأخذ عنه ثلة من العلماء منهم: ولده أبو العباس أحمد والشيخ محمد بن ناصر الدرعي والشيخ أبو زيد الحائك والشيخ محمد الجنوي وغيرهم كثير، و حج سنة (1191هـ - 1777م) مع ولده محمد وهو الأكبر وأبوبكر، وأقرأ الموطأ بالأزهر وحضره غالب العلماء الموجودون وأجاد في تقريره وأفاد، وسمع منه أوائل الكتب الستة والحكم وغيرها، ولقي أعلاما بمصر وغيرها واستجاز وأجاز، له تأليف محررة مفيدة منها: حاشية على شرح الزرقاني على المختصر سماها (طالع الأماني)، و شرح تحفة ابن عاصم المذكور و شرح لامية الزقاق (زاد الساري في مطالع البخاري) طبع على الحجر بفاس، شرح مشارق الأنوار للصاغاني، و شرح الجامع للشيخ خليل، و شرح الأربعين نووية، و شرح على قصيدة كعب بن زهير، و فتاوى كثيرة جمعها ولده أحمد، و فهرسته، توفي في ذي الحجة سنة (1209هـ - 1794م). ينظر: عبد الله المرابط الترغي: مرجع سابق، ص 294-305.

خلال استهداف لغته، الشيء الذي جعل من علماء المسلمين بالجزائر إبان الحقبة الاستعمارية التفكير في إيجاد السبل المناسبة لحفظ كيان الأمة، فكان تأسيس عدد من المدارس المتخصصة في ما يعرف بالتعليم الأصلي، وقد أجمع الباحثين على كون هذه المبادرة التي تبنتها جمعية العلماء المسلمين أتت أكلها، بإنتاج جيل من الشباب الجزائري المشبع بالروح الوطنية والغيور على هويته الأمازيغية العربية الإسلامية، حمل لواء الجهاد في ملحمة ثورية شكلت منعرج في تاريخ النصف الثاني للقرن العشرين¹.

على نفس المنوال نسج شيوخ وعلماء توات ومنهم الشيخ سيدي محمد بلكبير بمدرسته الدينية وكانت عنايته بتدريس متون النحو الذي جرى بها العمل في المدرسة التواتية لا تقل أهمية عن العناية بمصادر الفقه والتصوف، ومتون اللغة العربية التي كانت تدرس عند الشيخ رحمه الله هي:

1 - متن الآجرومية: هي أول ما يبدأ به الطلبة في المرحلة الابتدائية، في شكل مقدمة للشيخ محمد بن آجروم الصنهاجي²، اشتملت على أساسيات قواعد النحو، وتناولها العلماء بالشرح و الإيضاح في دروسهم ومؤلفاتهم.

الشروح المعتمدة فيها، شرح الكفراوي، للشيخ حسن الكفراوي(ت1202هـ-1788م)³، والتحففة السنبة بشرح المقدمة الآجرومية، للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد⁴.

1 - الشيخ عبد الرحمن شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص70.
2 - أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المشهور بابن آجروم، (بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة) ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفي، ولد بفاس بعدوة الأندلس سنة(672هـ-1273م)، أخذ عن أعلام منهم : العلامة أبوحيان إلتقى به في رحلته إلى الحج فروى عنه واستجازه فأجازه، وتلمذ عليه ثلة من الشيوخ منهم : ولداه العالمان الجليلان محمد و عبد الله، و الشيخ عبد الله الونقلي و غيرهم، ألف عدة مؤلفات منها: (مقدمته المذكورة)، (شرح حرز الأماني في القراءات) و غير ذلك، توفي بفاس يوم الأحد بعد الزوال لعشر بقيت من شهر صفر سنة (723هـ-1323م). ينظر: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق : يوسف النبهاني، ط1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2003م، ص ص207-208.

3 - خير الدين الزركلي: الأعلام، ط15، ج2، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1980م، ص205.
4 - محمد محي الدين عبد الحميد: التحففة السنبة بشرح المقدمة الآجرومية، ط2، دار الفيحاء، دمشق- سوريا، 1997م، ص03.

2 - ملحة الإعراب: للإمام الحريري (ت516هـ-1122م)، وهي متن في النحو وبعض أبواب الصرف بلغت خمس وسبعين وثلاثمائة بيت، وقام بوضع شرحا ايضا حيا لها لتسهيل العمل بها من الطالبة المبتدئين¹.

3 - ألفية ابن مالك : للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت672هـ-1273م)، وهي متن عن قواعد النحو في ألف بيت، لها عدة شروح وحواشي، اعتمدا منها الشيخ محمد بل كبير في تدريسه على، شرح ابن عقيل² وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل للشيخ محمد الخضري (ت807هـ-1404م)³، شرح المكودي للشيخ عبد الرحمن المكودي (ت801هـ-1398م)⁴،

وحاشية ابن حمدون على المكودي المسماة (الفتح الودودي على المكودي)، للشيخ أبي العباس ابن حمدون (ت1316هـ-1889م)⁵.

4 - لامية الأفعال : للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت672هـ-1273م)، وهي متن من البحر البسيط، ويعتمد في شرحها على حاشية الشيخ أحمد الرفاعي (ت1325هـ-1907م)⁶.

1 - الإمام أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري: شرح ملحة الإعراب، تحقيق: فائز فارس، ط1، دار لأملب للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م، ص36.

2 - الإمام بهاء الدين عبد الله بن عقيل المولود بالقاهرة عام(698هـ-1298م)، ولي القضاء وتوفي سنة (769هـ-1367م) وهو من أحسن شروح الألفية اختصارا وإيرادا لأقوال علماء النحو وكذا الشواهد القرآنية و الشعرية وغيرها من أقوال العرب ، خصوصا النسخة التي حققها وعلق عليها الأستاذ الكبير والعلامة الجليل الشيخ محمد محي الدين بن عبد الحميد رحمه الله فهو شرح واضح المعنى عذب العبارة سهل الفهم وميسر الإدراك، مملوء بالشواهد والأمثال ومطرزة تعاليقه بالقرآن والحديث والأشعار. ينظر: الإمام السيوطي: مصدر سابق، ص225-226.

3 - محمد الخضري: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ط6، المطبعة الأزهرية، مصر، 1926م.

4 - العلامة الملوي: حاشية الملوي على شرح المكودي، القاهرة-مصر : 1936م، ص02.

5 - عبد السلام بن عبد القادر بن سودة: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق: محمد حجي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1997م، ص341.

6 - محمد البشير ظافر الأزهرى: طبقات المالكية، ط1، دار الأفق العربية، القاهرة-مصر، 2000م، ص62.

ث . علم الحديث: الحديث النبوي الشريف يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهو المفسر والمبين والموضح لكتاب الله وآياته.

وكل هذا كان الشيخ سيدي محمد بلكبير يخصصه بالتحليل والدراسة في كامل شهر رمضان، ويعتمد في تدريسه لعلم الحديث على " صحيح البخاري" للإمام أبي عبد الله البخاري (ت256هـ-869م)¹، وكان يعتمد في شرح صحيح البخاري على، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام أبي العباس أحمد بن حجر العسقلاني (ت923هـ-1517م)²، وعمدة القاري في شرح البخاري للإمام بدر الدين العيني (ت855هـ-1451م) وهو شرح كبير من أحد عشر مجلدا، إهتم فيه المؤلف بالبيان اللغوي والنحوي إلى جانب الشرح الفقهي³.

ج - علم التفسير: اعتمد الشيخ محمد بلكبير في تدريسه لعلوم تفسير القرآن الكريم منهج علماء التفسير بالأثر المروي عن السلف الصالح عليه السلام، من اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بالمروى عن الصحابة الكرام، و كان يكره التفسير بالرأي إلا ما ساندته دليل صحيح.

وفي ذلك يعتمد على كتب التفسير المشهود لها بدقة المعلومة وصحة المصدر، والكتب التي كان يتخذها الشيخ مرجعا لتفسير القرآن الكريم هناك، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ت671هـ-1272م)⁴، سماه كتاب "الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن"⁵، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (ت774هـ-1372م)¹، روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي الإصطنبولي (ت1127هـ-1715م)².

1 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: هدي الساري في مقدمة فتح الباري، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت - لبنان، دون سنة طبع، ص07.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: مرجع سابق، ص189.

3 - نفسه: ص190.

4 - الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، مصر، 1976م، ص58.

5 - الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج3،2،1، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، 2003م.

ح - السيرة النبوية: تعتبر السيرة النبوية المرآة العاكسة للتاريخ الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانتها بين العلوم الإسلامية، كان الشيخ سيدي محمد بلالكبير يحرص على تدريسها لطلابه، ويخصص لها شهر المولد النبوي الشريف، وجملة المصادر والمراجع التي يعتمدها في تدريسه لهذا الفن العلمي هي:

سيرة ابن هشام لأبي محمد بن هشام³، وتضمنت "...صفحة من صفحات الخلود التي عادت على العالم كله بالخير والبركة، وفيها المثل الصحيح من أمثلة الكفاح الدائب والجلاد..."⁴، قصيدتا الهمزية في مدح خير البرية، والبردة، للإمام البوصيري، اشتملت على معظم شمائل الرسول المصطفى ﷺ وسيرته⁵، وفي شروحهما كان يعتمد على، المنح المكية في شرح الهمزية للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي⁶، وحاشية الباجوري على البردة للإمام إبراهيم الباجوري⁷، والزبدة في شرح البردة لبدر الدين محمد الغزي⁸.

- 1 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: طبقات الحفاظ، مراجعة وضبط: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1983م، ص ص533-534.
- 2 - خير الدين الزركلي، مصدر سابق، ج1، ص313.
- 3 - الإمام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1988م، ص308.
- 4 - أبا محمد عبد الملك بن هشام: سيرة ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، دار الفكر بيروت - لبنان، 1981م، ص03.
- 5 - بكرأوي محمد عبد الحق: مرجع سابق، ص ص193-194.
- 6 - أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي: المنح المكية في شرح الهمزية، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء - المملكة المغربية، دون سنة نشر، ص6.
- 7 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج1، مكتبة المثنى دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، دون سنة نشر، ص57.
- 8 - بدر الدين محمد الغزي: الزبدة شرح البردة، تحقيق: عمر موسى باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص39.

المطلب الثالث: الإنتاج العلمي للمدرسة.

أولاً: التلاميذ.

سنعمل في هذا المجال على الوقوف عند إنتاج مدرسة الشيخ مُحَمَّد بلكبير في جانبه البشري، فالاستثمار في الثروة البشرية علامة حضارية مميزة، وقد نقيس قيمة المدرسة كيفما كانت دينية أو تربوية من خلال حجم استثمارها البشري، مما جعل الشيخ مُحَمَّد بلكبير يولي عناية خاصة بالتلاميذ والطلبة في مدرسته، وبهذا قد كان من أحب الخلق إلى الشيخ طلبة العلم فكان يعتبر طلبة العلم مثل أبنائه أو أعز من ذلك¹، فلم يدخر جهداً في محاولة توفير الشروط الضرورية التي تسمح للمتمدرسين بالتحصيل العلمي حتى في أصعب الظروف، كما هو الحال في الحقبة الاستعمارية، كما لم يبخل عليهم بنصحه واهتمامه ومتابعته الشخصية لشؤونهم والوقوف عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان يحثهم على التمسك بالدين والتضحية في سبيله ونشره، ويحذر من كل ما من شأنه أن يجعل المسلم أو الشاب بعيداً عن دينه.

وفي هذا المقام سنقتصر على عينة من طالبته المبرزين ممن أخذوا بناصية العلم وساروا على درب شيخهم في تعلم العلم وتعليمه، وصاروا منارات علمية يهتدى بها :

1- الشيخ سيدي مُحَمَّد عبد الكبير بكري: هو العلامة الشيخ سيدي مُحَمَّد عبد الكبير بن الفقيه الحاج مُحَمَّد² بن عبد الكبير بكري، ولد بالمشرية عام 1340هـ الموافق 1921م، ولما بلغ الثامنة من

1 - مُحَمَّد عبد الحق بكراوي: المقابلة السابقة.

2 - العلامة الفقيه الحاج مُحَمَّد بن عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم الحاج بن سيدي مُحَمَّد الصالح بن الشيخ سيدي البكري بن الشيخ سيدي عبد الكريم عالم توات، كان فقيهاً مرشداً توارث العلم أبا عن جد، ولد بتمنطيط عام (1298هـ-1880م)، حفظ القرآن وهو صبي، ودرس العلم بأولاد علي بن موسى بتمنطيط على الشيخ سيدي مُحَمَّد (فتحا) المعروف بديدي، وخرج من تمنطيط مبكراً فاستوطن التراب المغربي متنقلاً من مراكش، إلى بني ملال، والقنيطرة، وعين بني مطهر، حيث عمل كاتباً عند بعض القواد برهة من الزمن، ثم انتقل إلى المشرية بعد أن دخلت القوات الفرنسية تلك الجهات سنة (1337هـ-1918م) و امتهن التجارة، وكان أحد المؤذنين بجامعها، وعمدة البلد في التوجيه الديني والتثقيف الشعبي إلى أن توفي عام (1366هـ-1946م). ينظر: ش/ مُحَمَّد عبد الكبير البكري: **حياتي باختصار**، مخطوط كتبه بيده، عند الأستاذ سيدي عبد القادر بن عبد الحميد بكري المشرية.

من عمره بعثه أبوه إلى مدينة لمدينة ليتعلم القرآن الكريم وباقي العلوم¹، واستفاد في هذه الفترة من دروس الشيخ عبد الحليم بن سماية² عالم الجزائر في زيارته للمدينة حيث كان يحضر حلقات دروسه بها، وبالموازات لذلك كان يزاول دراسته الابتدائية، وبعد أربع سنوات عاد إلى المشربة عام 1352هـ الموافق 1934م، وبعد سنة حصل على الشهادة الابتدائية بالفرنسية، ثم ذهب إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن بن المهدي فعرض عليه القرآن فأجازه فيه وأشار عليه بطلب العلم، وكان من محاسن الصدق أن الشيخ سيدي محمد بلكبير قد جاء إلى المشربة ونزل بباديتها عند قبيلة البكاكرة لتعليمهم القرآن وعلوم الشريعة، فبعثه أبوه إلى البادية ليقراً عليه وذلك عام 1355هـ الموافق 1937م فمكث عنده قرابة ثلاث سنين أخذ عنه فيها العلوم الشرعية واللغوية، وفي عام 1358هـ الموافق 1940م ذهب به أبوه إلى مدينة مازونة؛ وقد اشتهرت بتدريس مختصر خليل للتخصص في الفقه، فمكث بها ثمانية عشر شهراً درس بها المختصر وشروحه على الشيخ العلامة سيدي أحمد هني، ثم درس على والده صحيح البخاري وأجازه فيه، ثم رحل به إلى الزيتونة بتونس،

1 - محمد الهبطي المواهي: مصابيح ولاية القنيطرة، المغرب: 2002م، ص 285.

2 - العلامة عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسين خوجة من آل سماية الجزائري من أكابر أعلام الجزائر العاصمة ولد سنة (1283هـ-1866م) من أبوين كريمين من أسرة تركية يرجع أصلها إلى أتراك بلدة أزميز، نشأ في بيئة حضرية حفظ القرآن على يد الشيخ حسين أبي شاشية، والعلم عن جماعة من فقهاء قطر، في مقدمتهم والده الشيخ علي بن سماية، والشيخ الطاهر تيطوس، والشيخ علي بن حمودة بن عيسى وغيرهم، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الجزائري مفتي وهران، وكان له إلمام باللغة الفرنسية، كما كان له معرفة باللغة العبرية، وكثيراً ما كان يجادل أصحابها في دينهم، ويناظر أبحارهم ورهبانهم، ويسوق لهم الأدلة والنصوص من كتبهم وبلسانهم، يعتبر عبد الحليم بن سماية في مقدمة العلماء الذين أسسوا النهضة الجزائرية الحديثة، ومن أوائل المصلحين الجزائريين، ومما اشتهر به وقوفه ضد تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وإصداره الفتوى المعروفة في ذلك مما أغضب سلطات الاحتلال، وأدت إلى فصله من عمله، استقبال الإمام محمد عبده عند زيارته للجزائر، وكان من مناضلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما يعد من أوسع علماء عصره علماً وثقافة، فقد تخرج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة، له مؤلفات قيمة من أبرز كتبه: اهتزاز الأطوار والربى في مسائل تحليل الربا، ورسالة في التوحيد، والرد على شبه المبطلين والملحدن، وكتاب فلسفة الإسلام الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام 1905م وقرأ الفصل الأول منه على الحضور، غير أن حكومة الاحتلال رفضت طبعه ضمن أعمال المؤتمر توفي رحمه الله بالجزائر العاصمة ليلة الخميس 01 رمضان عام 1351هـ الموافق لـ 04 يناير 1933م. ينظر: أ/عادل النويهيض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط8، مؤسسة نويهيض الثقافية للتأليف و الترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980م، ص 187.

وبعد ما أتم دراسته عاد إلى المشربة وفتح بها مدرسة حرة و في عام 1370هـ الموافق 1951م سافر إلى البقاع المقدسة وبعض البلدان العربية، وفي عام 1372هـ الموافق 1953م تنازل عن المدرسة لأسباب قاهرة وسلمها للسيد العربي بن عبد الرحمن التواتي الذي رآه أن يكون خير خلف له، وفي مارس 1376هـ الموافق 1957م ألقى عليه القبض من طرف الاستعمار الفرنسي بحجة التحريض على التمرد والعصيان وأفرج عنه في ديسمبر من نفس السنة، وبقي تحت الإقامة الجبرية إلى آخر 1377هـ الموافق 1958م وبعد رفع الإقامة الجبرية عليه، قرر مغادرة البلاد وبداء رحلته بزيارة بعض الدول الأوروبية، ومكث في فرنسا أربع سنين إلتقى خلالها بالأستاذ المغربي علال الفاسي¹ وقد كانت له به معرفة من قبل، فاقترح عليه أن يلتحق بالمملكة المغربية فأجابه لطلبه ورحل إليها عام 1962م، عمل في قطاع وزارة الشؤون الإسلامية، وبالتزامن مع العمل الإداري كان رئيس تحرير المجلة الشهرية "الإرشاد" التي تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف حتى عام 1972م، وقام خلالها بتحقيق كتاب "التمهيد لابن عبد البر"² مع بعض الأساتذة بالمغرب،

1 - هو الأستاذ مُجَّد علال بن الشيخ عبد الواحد بن عبد السلام بن علال، الفاسي مولدا ودارا ومنشأ، ينحدر من عائلة عربية عريقة نزحت من موطنها بديار الأندلس إلى المغرب الأقصى فرارا بدينها وعقيدتها من محاكم التفتيش الإسبانية واستوطنت بمدينة فاس تحت اسم بني الجد واشتهرت بآل الفاسي الفهري وساهمت في جميع المجالات العرفانية حيث أنجبت علماء جهابذة وفقهاء نحارير وقضاة بارزين ومؤلفين بارعين، ولد بمدينة فاس عام 1908م ولما وصل إلى سن التمييز أدخله والده إلى الكتاب لتلقي مبادئ الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم على الفقيه مُجَّد الخمسي، وعلى الفقيه مُجَّد العلمي، إلى أن حفظه في سن مبكرة، وبعد ذلك نقله والده إلى المدرسة العربية الحرة بفاس القديم ليتعلم مبادئ الدين وقواعد اللغة العربية، وفي عام 1919م التحق بجامعة القرويين، وتحصل على الشهادة العالمية، وبعد التخرج صار يقوم بدروس تطوعية في مختلف العلوم بجامعة القرويين، وفي عام 1960م عين وزيرا للدولة مكلفا بالشؤون الإسلامية ثم انسحب من الحكومة صحة رفاقه في حزب الاستقلال وذلك في عام 1962م وعين أستاذا بكلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين وكلية الحقوق والآداب لجامعة مُجَّد الخامس بالرباط، ودار الحديث الحسنية بنفس المدينة، وكان عضوا مقررا عاما في لجنة مدونة الفقه الإسلامي التي شكلت في فجر الاستقلال، خلف وراءه كثيرا من المؤلفات منها: المغرب العربي من الحرب العالمية الأولى إلى اليوم، حديث المغرب في المشرق، عقيدة جهاد، منهج الاستقلالية، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دفاع عن الشريعة، الجواب الصحيح والنصح الخالص في نازلة فاس وما يتعلق بمبدأ الشهور الإسلامية العربية، معركة اليوم والغد، كيلا ننسى، وغير ذلك، توفي يوم الإثنين 40 ربيع الثاني عام 1394هـ الموافق 13 ماي 1974م ينظر: أبو عمران الشيخ: معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، ص 417.

2 - العلامة أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُجَّد بن عبد البر من أعلام المالكية المشهورين ولد سنة 978م وتوفي سنة 1070م. ينظر: مُجَّد عبد الحق بكرراوي: نفس المرجع، ص 69.

وكان يخرج إلى دول أوروبا واعظاً ومرشداً خلال شهر رمضان من عام 1387هـ الموافق 1967م إلى عام 1402هـ الموافق 1981م، اشتغل بالتدريس والخطابة بمسجد القنيطرة المغربية بعد تقاعده عن الوظيفة¹.

2- الشيخ عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بكرأوي: من مواليد قصر نومناس عام 1350هـ الموافق 1931م حفظ القرآن الكريم على يد أبيه وهو صغير، ثم تعلم المبادئ الفقهية والعربية عليه وحفظ عليه مختصر خليل وألفية ابن مالك، ثم أرسله أبوه إلى مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير لإتمام دراسته والتعمق في مجال العلوم الشرعية، بدأ تجربته مع التدريس بزواوية سيدي عمر بن صالح بأوقروت مدة من الزمن، ثم التحق بعد الاستقلال بالمنظومة التربوية معلماً ثم مفتشاً بالطور الأول، وبعد وفاة والده أضر لخلافته بمدرسته الدينية بنومناس، تقلد مسؤولية مديرية الشؤون الدينية لولاية أدرار حتى تقاعده وانقطاعه لتدريس بمدرسته إلى أن أقعده المرض، فخلفه ولده الأكبر عبد الرحمن، قال عنه شيخه سيدي محمد بلكبير: "...لا يوجد بتوات أعلم بالنوازل منه..."² توفي صبيحة الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة 1429هـ الموافق 28 ماي 2008م.

3- الطالب سالم بن براهيم: من مواليد عاصمة قورارة تيميمون عام 1345هـ الموافق 1927م، تعلم القرآن الكريم في الكتاب ثم التحق بمدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير بتيميمون عام 1947 فاستكمل عنده حفظ القرآن، ودرس عليه العلوم الشرعية واللغوية³، وبعد رحيل الشيخ سيدي محمد بلكبير إلى مدينة أدرار رحل إليه فاستكمل دراسته عنده بداية من عام 1950م، ثم بدأ حياته العملية بالإمامة والتدريس بمسجد الجيلالي ومدرسته بأدرار، ثم عين مديراً للشؤون الدينية بولاية أدرار إلى أن تقاعد من الوظيفة، وهو عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى، خلف الشيخ سيدي محمد بلكبير في خطابة الجمعة والتدريس في ليالي رمضان بالمسجد الكبير بأدرار مدة من الزمن، تخرج على يديه مجموعة من الأئمة والمعلمين، وفضل رغم المرض يشرف على مدرسته مع ابنه وواصل

1 - محمد الهبطي المواهي: مرجع سابق، ص ص 284-287.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: المرجع السابق، ص 70.

3 - محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص 353.

رسالته من بيته المفتوح لطلبة العلم والمحبين إلى أن وافته المنية بتاريخ 08 يناير سنة 2019م رحمة الله عليه.

4- الشيخ مولاي عبد الله الطاهري:

مولاي عبد الله هو الإبن الأكبر للشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني وخليفته ووارث أسراره، من مواليد عام 1948م بسالي العلوشية، تعلم على يد والده بمدرستهم الدينية بسالي العلوشية، ثم بعثه أبوه لإتمام دراسته بمدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير فكان نعم المدرس والموجه، لا تمر مناسبة يذكر فيها الشيخ بلكبير إلا ذكر الشيخ مولاي عبد الله الحاضرين بفضل هذا القطب الرباني في ما هو عليه، بقوله عن السر الذي بلغه "...هي دعوة الوالد وفراسة الشيخ سيدي محمد بلكبير..."¹ تولى زمام المدرسة الطاهرية بعد أبيه، يتميز بشخصية جذابة لاتفارق محياه البسمة، نير الوجه عذب الصوت يأسر السامعين، محبوب عند أهل سالي وكل من يعرفه، بتواضعه ودماثة أخلاقه جعل المدرسة محج للناس من كل فج عميق².

5- الشيخ مولاي التهامي غيتاوي:

من مواليد قرية أوقديم ببلدية أدرار عام 1954م، بدأ دراسته في الكتاتيب كعادة أبناء توات عن شيوخ عدة، ثم أنتقل إلى مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير وبقي فيها سبع سنوات، ليعين أمام بمسجد الجمعة بأوقديم عام 1979م، ثم تولى مسؤولية مراقبة سير الأعمال بالمساجد والكتاتيب، في الوقت نفسه كان لا يفوته حضور دروس الشيخ في النهار إلى غاية سنة 1987م، وبإذن من شيخه محمد بلكبير شرع في بناء مدرسته الدينية بأوقديم التي فتحت أبوابها عام 1990م، وفي عام 1998 عين عضو في المجلس الإسلامي الأعلى، ثم عضو الأمانة العامة للجمعية الوطنية للزوايا

1 - عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: الشيخ مولاي أحمد "فحص الدفاتر فيما خلف الشيخ من تلاميذ ومآثر" الشيخ مولانا أحمد الطاهر الإدريسي الحسني السباعي التواتي الجزائري (جهاد وجهاد، تركية وعطاء)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2018م، ص 277.

2 - محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص 360.

عام 2001م¹، التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ 26 من شهر مارس 2015م في إحدى مستشفيات العاصمة الفرنسية باريس.

ثانيا: المدارس المتفرعة.

بعدهما التحق الشيخ سيدي محمد بلكبير بالرفيق الأعلى رحمه الله بتاريخ 15 سبتمبر 2000م الموافق 16 جمادى الثانية 1421هـ، عن عمر ناهز 89 سنة قضى منها 70 عام في عالم العلم والإصلاح، كان للعدد الهائل من المدارس الدينية التي تم فتحها في حياته وبأمر منه أو بعد مماته نتيجة طبيعية لجهوده في هذا المجال، ورغبنا منه في تعميم رسالته العلمية والإصلاحية في ربوع الوطن، والمتمثلة أساسا في² :

1- مدرسة الضاوية بادرار شيخها الطالب سالم بن براهيم.

2- مدرسة الشيخ الحاج لكبير ببودة.

3- مدرسة زاوية الدباغ وشيخها محمد الدباغي رحمه الله.

4- مدرسة نومناس وشيخها العلامة الحاج عبد القادر بكرابي.

5- مدرسة أنجزمير وشيخها سيد الحسان الأنصاري.

6- مدرسة رقان وشيخها الحاج عبد الكريم الدباغي.

7- مدرسة زاكلوا وشيخها الشيخ العلمي.

8- مدرسة أدغا وشيخها حماوي.

9- مدرسة سيدي بوغرة بتيميمون وشيخها أحمد خليلي.

10- مدرسة البركاوي.

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، المرجع السابق، ص122.

2 - محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص352-353.

- 11- مدرسة تمنراست وشيخها مُجَّد المقدم.
- 12- مدرسة الشيخ الباعموري بتمنراست.
- 13- مدرسة الأبيض سيد الشيخ.
- 14- مدرسة الشيخ سالم بشار.
- 15- مدرسة الطيبات وشيخها الشيخ مسعود.
- 16- مدرسة عسلة.
- 17- مدرسة أوقروت وشيخها الحاج الصالح اكادو.
- 18- مدرسة أوقديم وشيخها مولاي التهامي رحمه الله.
- 19- مدرسة زاوية كرزاز وشيخها الحاج أحمد بن عيسى.
- 20- مدرسة تساييت وشيخها مُجَّد بوقندي.
- 21- مدرسة عين الصفراء وشيخها الشيخ عبد الرزاق.

يبدو من خلال الدراسة إن المدرستان الطاهرية ومدرسة الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير الحرتان الداخليتان لتعليم الديني¹، كانتا قبسا من نور في منطقة توات، شكلتا إضافة نوعية للقناديل التي أضاءت دجى ليل الاستعمار في توات وساهمت بشكل جدي في الإقلاع الحضاري للمنطقة، فبالرغم من الظروف الصعبة التي صاحبت مرحلة تواجدها؛ والمتمثلة أساسا في هيمنت سياسة التجهيل والطمس الممنهج لمعالم الهوية الوطنية والحضارية، إلا إنها استطاعت بدل من لعن الظلام أن تشعل شمعة بل مشعل ظل متقددا إلى يوم الناس هذا، متمثلا في المدرستان الدينيتان التي تعدان معلم حضاري ومركز إشعاع علمي وثقافي للبلاد، بالإضافة إلى إثراء مشايخهما الخزانة الجزائرية

¹ - ينظر الخريطة التوضيحية لموقع المدرستين الملحق رقم : 2.

بعديد المؤلفات على اختلاف جنسها العلمي وهدفها ومقصدتها؛ التي تبقى شاهد عن عطاءات توات وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية.

هذا ولم نعرف عن الشيخين رحمهما الله أن أبدعا طرق ومناهج لتعليم، في شكل قانون أساسي أو نظام داخلي، لكن المتبع لتدريس بالمدرستين ومن يقف على الورشات التعليمية ومجالس العلم بهما، قد يتضح له بعض ملامح تلك الطريقة أو المنهج المتبع في العملية التعليمية، ويتمثل في النقاط الآتية¹:

الجمع بين طريقتي الحفظ والفهم، الانتقال بالطالب في دروب العلم من الأسهل إلى السهل، التأصيل للمسائل الفقهية، توضيح المسائل النظرية بالأمثلة التطبيقية، التوسط والاعتدال، الإتيان والتمسك بالنصوص الشرعية، مزج دروس الفقه بمسحة تربوية، تجنب الحيل والشبهات، الإعادة والتكرار، النكت والملح.

¹ - الشيخ الحاج أحمد المغيلي: المقابلة السابقة.

الفصل الرابع

الدور الإصلاحي

والجهادي للشيخين

المبحث الأول : سياسة الاستعمار الفرنسي في توات.

المبحث الثاني : موقف الشيخ مولاي أحمد من الاحتلال ورأي النخبة في شخصه.

المبحث الثالث : إسهامات الشيخ محمد بلكبير الإصلاحية.

الفصل الرابع: الدور الإصلاحي والجهادي للشيخين.

إن المدارس الدينية الخاصة في الجزائر تعد إسهام حضاري كبير في تاريخ الإنسانية، هذه المدارس التي عرفت انتشار كبير في ما بين القرن 15 و20م، واحتكرت المشهد العلمي في ملحمة بطولية فريدة، تصدت من خلالها لقلّة اهتمام حكام الجزائر في العهد العثماني بالتعليم، والمشاريع الممنهجة من سلطات الاحتلال الفرنسي في محاولته طمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري في الفترة الاستعمارية.

في أقصى الجنوب الغربي للوطن نجد هذه المدارس شكلت الملمح الحضاري والتميز الهوياتي لهاته الجهة، وسبغت بوجودها الوجه المشرق لمنطقة توات التي حققت ذاتها وتموقعت في التاريخ من خلالها، وفي هذا الصدد نحاول إبراز بعض الجوانب الإصلاحية للشيخ مولاي أحمد الطاهري من خلال مدرسته بسالي، والشيخ الحاج مُجّد بلكبير انطلاقاً من مدرسته بأدرار، كأ نموذج حضاري عكس بجلاء الإسهام الإصلاحي لشخصيتين علميتين يشهد السواد الأعظم على وزنهما في المعادلة الحضارية للوطن، وما قدماه للحد من السياسة الاستعمارية الفرنسية بتوات وما خلفته من آثار سلبية على مستوى الفرد والمجتمع بعد الاستقلال.

المبحث الأول: سياسة الاستعمار الفرنسي في توات.

قام الاحتلال الفرنسي بإصدار ترسنة قوانين وإجراءات إدارية، من شأنها تحديد الإطار القانوني لإدارة الصحراء الجزائرية التي تقع في إطارها الجغرافي منطقة توات، باعتبارها جزء لا يتجزأ عن باقي التراب الجزائرية، تتبع رأسا الولاية العامة في جميع شؤونها وتملك تمثيل في المجلس الجزائري، وصاحب ذلك نهاية كل ثورة من ثورات المقاومة، بطبيعة الحال هذا قبل لجوء المستعمر الفرنسي في مطلع القرن العشرين إلى نظام أقاليم الجنوب الجزائري ابتداء من سنة 1902م¹، الذي تم

1 - إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص 117.

بموجبه إسناد مهمة إدارة مناطق الجنوب الجزائري إلى ضباط الشؤون الأهلية تحت سلطة القائد الأعلى للقوات الصحراوية لابرين¹ henri la perrine المتصل مباشرة بالوالي العام للجزائر.

وزادت حمى الاهتمام بالصحراء الجزائرية مع بداية اكتشاف أهميتها الاقتصادية وفي عملية المسح لأراضيها بحثا عن الثروات الباطنية سنة 1941م، سخرت الإدارة الاستعمارية عديد الشركات المختصة في البحث والتنقيب مما ساعدها على اكتشاف الغاز الطبيعي لأول مرة بناحية عين صالح وذلك سنة 1954م تلتها عملية اكتشاف حقل للبترول في 12 جوان 1956م، لتتوج عملية الأبحاث باكتشاف حقل هام للبترول في نقطة حاسي مسعود بواحات ورقلة، وتعتبر الصحراء من أغنى مناطق العالم بالمواد الطبيعية والمعدنية²، وهو ما جعل فرنسا تفكر في فصل الصحراء عن الجزائر بعد اشتداد لهيب الثورة التحريرية، حيث كانت فكرة فصلها عن الشمال تشغل مخططات الإدارة الاستعمارية الفرنسية قبل المفاوضات، فكانت حساباتها ترجح إن مسألة فصلها لا تطرح عليها أي إشكال يعيق المفاوضات³.

وقد ظهرت النوايا الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية عندما ألحقتها رأسا بباريس من خلال المرسوم رقم 57-713 الصادر بتاريخ 21 جوان 1957م والقاضي بإنشاء وزارة خاصة بالصحراء وأتبعته بمرسوم تكميلي 57-913 الصادر بتاريخ 07 أوت 1957م المتعلق بالتنظيم الإداري للجنوب الجزائري التابعة للهيئة العليا للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية⁴.

بعدها كانت الصحراء خاضعة منذ بداية الخمسينيات إلى أنظمة إدارية مختلفة ومدرجة ضمن صلاحيات إفريقيا الغربية والاستوائية الفرنسية، جاء المرسوم بإنشاء عمالتين هما :

1- عمالة الواحات: تنقسم بدورها إلى ثلاث مناطق إدارية مقرها المركزي الأغواط.

1 - أمحمد عميروحي وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844 - 1916)م، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص119.

2 - ينظر : ANDRE LABAR THE: Dcumcnt sur lepèlrolo du SAhAra, p98.

3 - وزارة المجاهدين: فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، سلسلة الملتقيات، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص37.

4 - محمد ديدوي وعبد العزيز بكرراوي: المرجع السابق، ص11.

أ- المنطقة الإدارية للأغواط: التي تضم إقليم غرداية وجزء من البلدية المختلطة لجرفيل (البيض) الواقعة شرق "وادي زرقوم" إلى غاية ضيعة الكهلة.

ب- المنطقة الإدارية لوارقلة: التي تضم إقليم الواحات وجزء من البلدية المختلطة للوادي الواقعة جنوب خط عرض 32°.

ج- المنطقة الإدارية لتوقرت: التي تضم جزء من إقليم توقرت المجتمع بالمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية إلى الشمال من خط عرض 32°.

2- عمالة الساورة: وهي الأخرى قسمت إلى منطقتين إداريتين شملتا¹.

أ- المنطقة الإدارية كولومب بشار: التي تشمل البلديات المختلطة لكولومب بشار وبريزينة والأبيض سيد الشيخ الواقعة جنوب البلدية المختلطة القديمة لجرفيل والبلديات الأهلية للساورة وتندوف والقسم الصحراوي لدوائر قوندام.

ب- المنطقة الإدارية لأدرار: التي تشمل البلديات الأهلية لقورارة وتوات.

ورغم كل هذا بقيت الصحراء تُدار من طرف القادة العسكريين فالحكم كان عسكري محض على عكس المنطقة الشمالية التي كانت تُدار من طرف قادة وأشخاص مدنيين ابتداء من عام 1871م هذا في الجانب الإداري، أما في الجانب الاجتماعي ومنذ بداية عملية توسيع الاحتلال باتجاه الجنوب الجزائري وبسط سيطرته بعد مقاومة بطولية من سكانه على كامل النواحي التواتية بحلول سنة 1902م كما سبق وأن ذكرنا في الفصل الأول التمهيدي، بذلت الإدارة الاستعمارية كل ما في وسعها لطمس معالم هوية المجتمع الجزائري بهذه الجهات، وقبل ذلك بيدوا إن حلول الكاردنال لافيغري² بالجزائر أعطى دفع كبير لعملية التبشير والتنصير وتوسيع دائرة

1 - نور الدين عسال: التنظيم السياسي والإداري الاستعماري في الصحراء الجزائرية (1954-1962)م، مجلة الموقف، مج10، ع1، صص 125-147.

2 - الكاردنال لافيغري: هو شارل مارسيل ألمان ولدى بمدينة بايون جنوب فرنسا سنة 1825م، وصل إلى الجزائر في 15 ماي 1867م، أسس جماعة الآباء والأخوات البيض بالحراش الجزائر العاصمة، في هذا المركز كانوا يتلقون تكويننا دينيا يسمح لهم بتعلم اللغة العربية واللاهجات المحلية لمدة عام كامل، ويأخذ أيضا دروس في الطب التطبيقي، وكانوا يرتدون لباس =

الاحتلال في المناطق الصحراوية بالجنوب الجزائري، بعدما عين في 02 أوت 1868م مندوبا للبعثات التبشيرية المسيحية في الصحراء الجزائرية برفقة جيوش الغزو الفرنسي، على منوال ما عمدت له في باقي تراب البلاد من خلال توفير الظروف والبيئة المناسبة لرواد التبشير ومن على شاكلتهم ممن يعملون على هدم مقومات البنى الاجتماعية من الداخل، كما يندرج وصول الراهب شارل دي فوكو¹ (charles de foucauld) إلى منطقة بني عباس بالجنوب الغربي الجزائري في 28 أكتوبر سنة 1901م²، وحصوله على موافقة الحاكم العام وإرساليات لافيغري للقيام بدور مبعوث مجموعة الآباء البيض بالمنطقة نظرا لعدم وجود من يقوم بالطقوس الدينية المسيحية للجنود المعسكرين هناك، وجاءت رحلته سنة 1904م التي قام بها بصحبة خادمه paul طوال ثمانية أشهر جاب فيها واحات تيميمون أدرار عين صالح وغيرها من مناطق الواحات الصحراوية، برفقة القائد الأعلى للقوات الصحراوية صديقه لابرين³، في نفس الإطار الرامي إلى تنفيذ خطة توسيع الاحتلال وتهيئة ساكنة المنطقة لذلك، مم سمح بتغلغل الآباء البيض واختراقهم للمجتمع، هذه الفئة النشطة في الأوساط الاجتماعية والتي لاقت نجاح كبير جعلها محور النشاطات الخيرية

=يختلف عن رجال الدين المسيحيين وقريب من ألباس المحلي في سابقة خطيرة تسمح باندهامهم السريع في المجتمع، لعب شارل لا فيغري دورا محوريا في الدفع بعملية التبشير والتنصير في المناطق الصحراوية بالجنوب الجزائري، بعدما عين في 02 أوت 1868م مندوبا للبعثات التبشيرية المسيحية في الصحراء الجزائرية برفقة جيوش الغزو الفرنسي، مات سنة 1892م. ينظر : أحميدة عميراي وآخرون: المرجع السابق، ص109.

1 - الأب شارل دي فوكو من مواليد مدينة ستراسبورغ الفرنسية بتاريخ 15 سبتمبر 1858م، تلقى تعليمه الابتدائي في أسقفية (سانت أربوقاست - saint arbogast)، ثم بثانوية أمربال (impèrial) بمدينة نانسي إلى غاية سنة 1870م، غادرها بسبب الحرب البروسية إلى ثانوية ناسيونال (Nationai) التي حصل فيها على شهادة البكلورية، التحق شارل بمدرسة سانت سير (saint cyr) العسكرية سنة 1876م، ثم مدرسة سومير (saumur) للخيلة التي من خلالها أرسل ضمن فرقة عسكرية إلى الجزائر سنة 1880م، كان لتواجده بالجزائر أثر كبير على حياته فقد عاد إلى فرنسا وانسحب من الجندية وسخر نفسه في خدمة المسيحية بداية من سنة 1882م، بعد عودته للجزائر قرر الاستقرار ببني عباس جنوب غرب الجزائر (1901-1905م) ثم بلاد الأهقار (1905-1916م)، لعب الأب فوكو دورا محوريا في خدمة الاحتلال نحو الجنوب، قتل سنة 1916م بتمنراست. ينظر : Marie Andrè: Lèrmitè du grand Dèsert, le père de foucauld imprimerie founir Toulouse 1973, p : 07-13.

2 - أحميدة عميراي وآخرون: المرجع السابق، ص119.

3 - نفسه: ص123.

والتعليمية بالبلاد، فالفترة الاستعمارية والسنوات الأولى للاستقلال¹، رغم تصدي بعض الزوايا والمدارس القرآنية لكل هذه المخططات على غرار الموقف البطولي لشخص الشيخ مولاي أحمد في إجهاض مشروع فصل الصحراء كما سلف وان ذكرنا، والدور المحوري للمدرسة القرآنية لشيخ سيدي محمد بلكبير التي كانت الصخرة التي تحطمت عندها كل محاولات فرنسا لاستعمارية في تجهيل الشعب وإرغامه على الانخراط في مشاريعها المغرضة².

الإدارة الاستعمارية الفرنسية كانت على يقين من أنها لا تستطيع فرض هيمنتها على البلاد والشعب الجزائري يدين بالإسلام ويحتكم إليه في أمور حياته، الشيء الذي دفع بمنظري الاستعمار إلى استهداف هذا المكون الروحي بضرب وحدة رجال الدين من خلال التشكيك في كفاءتهم باللجوء إلى جهات إسلامية محسوبة على الإدارة الفرنسية لإصدار فتاوى على المقاس تشجع على الاستكانة وتحرم الجهاد كما هو الحال في فتوى أهل قورارة 1893م³، ومحاولة القاضي محمد محمود بن الشيخ اليائسة في التسويق لمشروع فصل الصحراء، ناهيك عن لجوئها إلى مصادرة خزائن المخطوطات والتضييق على رجال الدين لفصل المجتمع عن جذوره وانتماءاته التاريخية⁴.

المبحث الثاني: مواقف الشيخ مولاي أحمد من الاحتلال ورأي النخبة في شخصه.

المطلب الأول: مساهمته في إجهاض مخططات الاستعمار الفرنسي.

يتضح موقف الشيخ مولاي أحمد الطاهري من الاستعمار الفرنسي بالمنطقة بجلاء من خلال التوجيهات والشواهد التي كان يسوقها للتلاميذ والطلاب وهذا كما يقول: "... نسديها لهم في كل المناسبات وفي الدروس التي نلقياها على العام والخاص ولا سيما في مدرستنا الخاصة بنا والمسماة بالمدرسة الطاهرية العتيقة الحرة والكائنة وسط قصور سالي، وهي تغذي الطلبة بمناهل العلوم والمعارف المختلفة وإطعام الطعام للمساكين وأبناء السبيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاومة للبدع وأهلها والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم وإيقاظهم من الغفلة، وتنبههم

1 - مكي قناطف: المصدر السابق.

2 - الشيخ محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص342.

3 - أحميدة عميراي وآخرون: نفس المرجع، ص ص92-96.

4 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص ص52-53.

على دسائس الاستعمار ومكائده، والناس منقادون مستمعون لقولنا عاملين به رغم ما نشاهده من غيظ الاستعمار وحقدهم علينا وفي كل وقت يزداد غيظهم علينا ولاسيما عندما شاهدوا في المدرسة أعدادا كبيرة من الطلبة في مدة يسيرة، فكلما زاد إقبال الطلبة والناس علينا يزداد حقدهم ويتربصون بنا الدوائر، فلم نزل على ذلك وهم ما هم عليه من العداوة حتى قامت حرب التحرير الجزائرية والتي لم يبق أحد من الشعب إلا ذاق الأمرين ولا سيما أعيان الشعب...¹.

بعد اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، أشد الخناق على الشيخ مولاي أحمد وعلى المدرسة من خلال المضايقات المتتالية التي أصبحت تعرفها المدرسة ومن فيها من قبل عساكر الاحتلال الفرنسي، وذلك راجع لمواقفه الواضحة من الثورة التحريرية والفعل المسلح ضد الوجود الفرنسي، وما كان يقوم به الشيخ في أوساط تلامذته بوصفه الثوار بالمجاهدين وأصحاب الحق، وحثهم على ضرورة الوقوف معهم حسب الاستطاعة وزرع روح التمرد على الإدارة الفرنسية وأعاونها، ويبدو إن الشيخ كان يستغل تردد الناس على المدرسة من ضيوف وزوار ليستطلع الأمر وتوضيح الملابس بخصوص الثورة التحريرية، وما تروج له الدوائر الحكومية الفرنسية وأتباعها عن الثوار الجزائريين، وبعثهم بأشع الصفات على شاكلة الفلاقة وقطاع الطرق والمغريهم وأعداء مصالح الشعب، وتأكيده لهم موقف الشرع الواضح من مثل هذه الأعمال ضد الاستعمار المغتصب، وإن ما يقوم به الجزائريون في الشمال هو الجهاد بعينه، وكانت المدرسة مكان مناسب لتضليل أعوان المحتل وعقد اجتماعات مع أعيان منطقة توات مستغلا المناسبات والمواسم².

ذاد الأمر تعقيدا بعد ما وصل لهيب الثورة منطقة توات وما عرفه العرق الغربي الكبير من ملاحم عسكرية قضت على أسطورة المنطقة الهادئة بداية من 15 أكتوبر 1957م³ كما ذكرنا من قبل في حديثنا عن مساهمة المنطقة في الثورة التحريرية، خصوصا بعدما أتضح لرجال الاستخبارات الاستعمارية الفرنسية الدور المحوري للزوايا والمدارس الدينية في التوعية والتجنيد في

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص ص 91-93.

2 - الشيخ سيد الحبيب: كتاب شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ترجمة: الشيخ مولاي الحاج علالي، مطبعة الواحات، دون سنة طبع، ص ص 06-07.

3 - ينظر: المنشور الدعائي الفرنسي عقب تمرد حاسي صاكة، الملحق رقم 13.

جبهة القتال، فكان الكثير من المجاهدين خريجي المدارس الدينية، هذا انعكس سلبا على المدارس الدينية التي تعرض شيوخها وتلامذتها للاضطهاد والاستفزازات من إدارة المحتل¹، فكانت محلات إقامة التلاميذ تتعرض يوميا لمدهامات تنتهي في أغلبها بتوقفات لشيخ المدرسة وكبار تلامذته، على شاكلة ما حدث لشيخ مولاي أحمد سنة 1958م رفقة مجموعة من تلامذته وتم حشدهم وعزلهم بسياج لولا تدخل أعيان البلاد²، والإفراج عنهم بشرط الابتعاد عن الخطابات التحريضية ضد فرنسا وتشجيع التمرد والعصيان، شاء الله ألا يلتزم به الشيخ مولاي أحمد بسبب سفره للبقاع المقدسة لأداء مناسك الحج وكانت بذلك فرصة لتخلص من ضغوطات الاستعمار الفرنسي، وتفويت الفرصة عليه في زعزعة استقرار المدرسة بسد ذريعة تعامل الشيخ مع المجاهدين برحيله بعد ما أصبح الشعب على دراية تامة بما ينتظره من تحديات وما يجب عليه اتجاه الاستعمار الفرنسي³.

بعد ما تأكد للاستعمار الفرنسي صعوبة القضاء على الثورة والحد من اتساع رقعتها باتجاه أقاليم الجنوب الجزائري الصحراوي، لجأت إدارته إلى جملة من المناورات بدأتها بسن ترسانة من المراسيم والقرارات لتنظيم السياسي والإداري لهذه المناطق، تطورت حسب الواقع الميداني للثورة من جهة ومدى تزايد الأهمية الاقتصادية لها، فقامت من خلال مرسوم 57-417 المؤرخ في 21 جوان 1957م بنقل سلطات الحاكم العام للجزائر إلى وزير الصحراء والمندوب العام للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، وبدأت في البحث عن السبل التي تسمح لها بالحفاظ على مصالحها في هذا الفضاء المفتوح بين عدة دول، لهذا دخلت مع بعضها في معاهدات واتفاقيات تعاون مشتركة⁴ على غرار ما حدث مع النيجر وتشاد، في حين لم تتمكن من إقناع مالي وموريتانيا بالانضمام لهذا التوجه بسبب التداخل والغموض في مهام وصلاحيات المندوب العام للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية وصلاحيات وزير الصحراء، مما دفع بالحكومة الفرنسية التي كان يرأسها ميشال دوبري Michel Debrèt إلى تعيين وزارة منتدبة لدى الوزير الأول لتحل محل

1 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص98.

2 - عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق، ص104.

3 - الشيخ مولاي عبد الكريم حساني: نفس المقابلة.

4 - صالح بوسالم: جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1956-1962)م، مجلة عصور، مج57، ع34، ص306-356.

وزير الصحراء أسندت للسيد جاك سوستال Jacques Soustelle ، وفي 05 فبراير 1960 منحت إدارة الصحراء وأقاليم ما وراء البحار لوزير الدولة الذي جمع بين المهام الاقتصادية والإدارية¹.

في نفس الوقت الذي عملت فيه إدارة الاحتلال على محاولة إيجاد الإطار المناسب للحفاظ على مصالحها في الصحراء، كانت تراهن من جهة أخرى على التشكيلات القبلية المكونة لهذا البحر الرملي المترامي الأطراف بمحاولة ترمي من خلالها إلى تشجيع رغبة قبائل الصحراء في تكوين كيان مستقل يجمع تشكيلاته المشتتة بين الجزائر ودول الساحل، واختارت للترويج لمشروعها شخصية لها وزنها وحضورها في المشهد الصحراوي لما تملكه من مكانة اعتبارية وروحية في إقليم أزواد هو القاضي مُجد محمد بن محمود بن الشيخ²، الذي وضعت تحت تصرفه كل الإمكانيات الضرورية التي تساعده في القيام بمهمته في كامل الأقاليم الصحراوية، وهكذا وفي رحلات مكوكية بين باريس وكبريات بلدان أقاليم الصحراء، جاب فيها حواضر وقصور جنوب الصحراء الجزائرية، في حملة تعبئة وتضامن مع مساعي فرنسا الاستعمارية الرامية إلى فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، وربطها بامتداداتها داخل بلدان الساحل الإفريقي كورقة ضغط إستباقية في أي مفاوضات محتملة مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية التي بدأت تفرض نفسها كمثل وحيد للشعب الجزائري، من خلال التفوق الذي صارت تحرزه في الميدان.

كانت تهدف الإدارة الفرنسية الاستعمارية من وراء كل هذه المناورات ضمان قدم لها في الصحراء الجزائرية، التي أصبحت تعد بالكثير في المجال الاقتصادي العالمي يمكن أن يجعل من فرنسا تضع يدها على حوض طاقوي محوري في السوق العالمية، ناهيك عن ثرائها بشتى أنواع المعادن، مما يجعلها مصدر مدر للثروة من الصعب على فرنسا التخلي عنه في الوقت الذي أصبحت في

1 - نور الدين عسال: المرجع السابق، ص 125-147.

2 - مُجد محمد بن الشيخ بن سيدي ببكر بن القاضي، ولد سنة 1910م بمدينة أروان شمال تمبكتو، من عائلة نبيلة لها باع طويل في إمتهان التجارة والعلم والقضاء، تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه قبل أن يلتحق به أبوه بحاضرة تمبكتو التي اشتغل فيها بالتدريس، حتى صارى فيها صاحب الإمامة والفتوى والمشورة والقضاء، أصبح شخصية محورية مؤثرة بإقليم أزواد والسودان الفرنسي بلغت شهرته الأفاق اتصلت به الإدارة الفرنسية ليرزوج لها فكرة فصل الصحراء الكبرى، توفي بتمبكتو في 25 نوفمبر 1973م. ينظر : الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 93.

أمس الحاجة إليه، للتخلص من التبعية الطاقوية لمنطقة الخليج العربي الذي يعتبر امتداد طبيعي لنفوذ غريماتها بريطانيا.

لما حل القاضي محمد محمود بن الشيخ بمنطقة توات في إطار حملته التحسيسية بالمشروع ومحاولة جس نبض الشارع التواتي وأعيانه، وقع اختياره على فضيلة الشيخ مولاي أحمد الطاهري صاحب مدرسة تحفيظ القرآن بسالي، لما عرف عنه من ثقل في المعادلة الاجتماعية بكامل بلدان توات والحظوة والاحترام والمصدقية التي يتمتع بها في أوساط التواتين، ومكانته عند كبرائها وأعيانها وأشرفها فحاولوا إستغلال ذلك لفائدة الترويج للمشروع رفقة قاضي بلاد الأزواد الذي لا يعرف البلاد بشكل جيد ولا يعرفه الكثير من كبراء وقادة القصور التواتية، ولكن اختيارهم كان في غير صالح ما قصدوه وتمنوه¹.

لم يترك القاضي أحمد محمود بن الشيخ قصرا من قصور توات إلا واجتمع مع كبار البلاد وقائدها يعرض عليهم المشروع ويوضح لهم ما أنطوى عليه من الفوائد التي ستنعكس على المجتمع الصحراوي، مذكرا بالوضع الذي كانت عليه هذه المناطق قبل الدخول الفرنسي، في تصوير تراجيدي للأحداث من وجهة نظره مستغلا جهل الكثير من الناس بتاريخ وجغرافيا الأقاليم الصحراوية، وقد ترك مشروع الاستعمار الفرنسي وقع إيجابي في نفوس بعض الشخصيات المعنوية لمناطق أقاليم الصحراء، وقد دفع بالبعض إلى التصديق على وثائق المعاهدة الملحق بالمشروع، وفي توات وجدت استحسان ظاهري متبوع برفض غير معلن لأعيان وكبراء القصور، ونشير هنا للدور الكبير الذي قام به الشيخ مولاي أحمد الذي رافق القاضي أحمد محمود في رحلته الترويجية، وقد أيدته الله بنصره لهذه البلاد ووقفه لمسايرت أهواء القاضي التي تتلاقى مع مرامي الاستعمار الفرنسي في الظاهر ويساهم في رفضها من سكان توات، وقد كان لمواكبته للقاضي بأمر من إدارة الاحتلال فرصة لمعرفة كل التفاصيل والملابسات وتمير الرسالة بسهولة وفي حينها الأمر الذي وفق له أيما توفيق، وبذل الشيخ كل ما في وسعه مستعين بالله ورسوله ودعوات الصالحين من أبناء هذه الأمة، وتمكن من إحباط هذه المناورة بطريقة لم تثر الشك لدى الاستعمار الفرنسي في بادئ الأمر، قبل ما يتم الوشاية به وإبلاغ إدارة العدو بما كان منه في هذه الحملة الدعائية، فبدأت سلسلة

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 93-96.

الاستفزازات والمضايقات التي لحقت الشيخ مولاي أحمد وتلامذته وكثرت الضغوطات على المدرسة إلى غاية تمكنه من الذهاب لأداء مناسك الحج.

فبدأ الشيخ الرحلة في قصور توات فكان يجتمع بالقادة والأعيان، أما القاضي مُحمَّد محمود بن الشيخ يقوم بدوره بشرح الأمر ومغرياته لهم ويوضح لهم مدى الفوائد المترتبة عنه، والشيخ مولاي أحمد يجتمع بهم خفية في الليل يحذرهم ويبين العواقب الخطيرة ويبين لهم ما انطوت عليه نية المستعمر الفرنسي¹.

إجماع القادة والأعيان على رأي واحد تمثل في ضرورة ترجمة نصوص الوثيقة للغة العربية والتوقيع الجماعي للمعنيين بذلك، مما يدل على وصول رسالة الشيخ مولاي أحمد ونجاح مساعيه الرامية إلى التصدي لهذه المشاريع المغرضة، وإنقاذه البلاد والعباد من السقوط في شيراك المستعمر الرامي إلى استعمارهم كمجموعة ضاغطة في وجه من يعترض توجهاته، والظهور للمجتمع الدولي بوجه الحريص على تحقيق مطامح ورغبات سكان الأقاليم الصحراوية، وهي نقاط حاسمة لو تمكن من الحصول عليها في صراعه على الصحراء مع جبهة التحرير الوطني من جهة والدول التي تتشارك في هذا الفضاء المفتوح ولم تقتنع بالتوقيع على معاهدات واتفاقيات تعاون لتطوير هذه الأقاليم كما أشرنا.

وتجدر الإشارة إلى تكاثف جهود الجميع في إفشال هذه المساعي الاستعمارية بما فيهم موظفي الإدارة الاستعمارية من الجزائريين على غرار قائد سالي² وزاوية كنتة³ وتامست الذي كان يسكن بقصر الجديد⁴، وهذا الأخير كان له موقف علني على ما ذهب إليه القاضي بن الشيخ في كلمته لأعيان تامست والتي أعتبر فيها توات قبل مجيء الاستعمار الفرنسي كانت فوضى، فكان رده حازم وفي حينه على إنها كانت تعيش في أفضل حال وكون سكانها عاشوا بما قرون أبا عن

1 - عبد العزيز محجوبي ومُحمَّد بن عزوي: المرجع السابق، ص20.

2 - السي مُحمَّد القائد بلحبيب: قائد منطقة سالي. ينظر: الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، مرجع سابق، ص96.

3 - القائد مولاي الطيب. ينظر: عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق، ص101.

4 - مُحمَّد عبد الله بن عابد: قائد تامست. ينظر: عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق، ص102.

جد وتوارثوها كابرا عن كابر، ردة الفعل هذه أغضبت القاضي والوفد الفرنسي المرافق له لدرجة انسحابهم من التجمع ومغادرة تامست، نفس الشيء يقال عن وكيل توات السيد الحاج أحمد بن الحاج قاسم¹ الذي كان ذكيا بطرحه لمسألة الترجمة ومنح مهلة للتشاور، في طرح ينم عن سرعة بديته ودبلوماسيه في المناورة والتفاوض.

وهكذا قدر الله وما شاء فعل، انتهت المؤمرة التي أحبكها العدو الفرنسي بفشل زريع، يرجع أساسا لفتنة أهل الحل والعقد في منطقة توات، بمواقفهم التي عبروا من خلالها على حسهم الوطني رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم، فاتفقت المقاصد بين شيوخ المدارس الدينية وعلى رأسهم الشيخ مولاي أحمد والشيخ محمد بلكبير ورجال البلاد وكبرائها بما فيهم من هم محسوبين على الإدارة الفرنسية من أبناء الجزائر، في سابقة تؤكد التلاحم الذي عرفته الثورة التحريرية الجزائرية من جميع الفئات كلا حسب موقعه.

المطلب الثاني: الشيخ مولاي أحمد في أعين النخبة بتوات.

في متابعتنا للكتابات التي تناولت الشيخ مولاي أحمد الطاهري في إطار الحديث عن الزوايا أو المدارس القرآنية، ودورها في الفعل الثقافي في توات وما خلفته من موروث حضاري للإنسانية، أو مساهمتها في الثورة التحريرية الجزائرية من خلال التحاق عدد كبير من خريجيها بجبهات القتال، والدور التحسيس في تجنيد الشعب لشيوعها، إضافة لدورها الطبيعي في الحفاظ على ثوابت ومقومات الهوية الوطنية الجزائرية، بتحفيظها لكتاب الله وتعليمها أحكام الشريعة الإسلامية لأبناء الجزائر، وحرصها على اللغة العربية وموروث الحضارة الإسلامية، سواء كانت هذه الكتابات تتعلق بتلامذته أو دراسات أكاديمية تناولت الرجل بالدراسة والتحليل من مولده إلى وفاته، وقد تكون تناولت جوانب من حياته في جزئية ما.

ف نجد تلامذته على غرار الشيخ سيد الحبيب صاحب المدرسة القرآنية بتسفاوت يشيد بخصاله ويثني على مقامه العلمي، في شهادة لمن عاصره في الحل والترحال والعسر واليسر، تلميذ فاز بمحبة

1 - الحاج أحمد بن الحاج قاسم: أحد أعيان منطقة أدرار، ونائبها في المجلس الجزائري بالعاصمة، اغتيل رحمه الله بتاريخ 27 فبراير 1959م بالجزائر العاصمة، من طرف منظمة الجيش السري. ينظر: الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، مرجع سابق، ص 96.

شيخه واحتل مكانة مميزة في قلبه فقلده وسام المشيخة واستخلفه في المال والولد، فكان نعم التلميذ لنعم المعلم، سار على دربه إلى أن لاقى ربه¹.

ومن جهته تلميذه الشيخ باي بلعالم المشرف على المدرسة القرآنية مصعب بن عمير بأولف، قد أسهب في وصف مناقبه وذكر تاريخه وإنجازاته وما أسهم به من تأليف علمية، رغم كون الرجل تلميذ لشيخ لكن ما قاله عنه يؤكد مكانته العلمية عند الجميع وشخصيته المحورية في توات، ولا أدل على ذلك من الشيخ باي نفسه الذي اقتفى أثر شيخه مولاي أحمد وسار على دربه حتى صار مضرب للمثل، قامه علمية شهدا له بها رجال العلم والمعرفة في الجزائر وخارجها، ألف عديد الكتب في شتى فنون العلم وألوانه².

وفي نفس الموضوع أضاف تلميذه وصهره ومكمن ثقته الشيخ المعلم مولاي عبد الكريم بن سيد المهدي حساني، ما يكفي ويشفي عن تاريخه ورحلته العلمية من مسقط رأسه بأولاد عبد المولى بالمغرب الشقيق إلى توات بأقصى الجنوب الغربي الجزائري، مشبهه بسحابة علم أمطرت بتوات، فأخرجت نباته بإذن ربها، وما لاقه من مضايقات من المستعمر الفرنسي بعدما ساهم في إفشال خططه الهدامة، من خلل فحص الدفاتر فيما خلف الشيخ من تلاميذ ومآثر الشيخ مولانا أحمد الطاهر الإدريسي الحسني السباعي التواتي الجزائري "جهد وجهاد، تزكية وعطاء"³.

هذا وقد تناوله الشيخ مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر الإمام والمدرس بالزاوية المهدية، بالقول الجميل والثناء الحسن، رغم أنه لم يدرس عنده ولكن تمكن من الحصول على إجازته العلمية بعدما أستعرض معارفه العلمية وأظهر مقدرته المعرفية، فقال في استعراض أخلاقه وصفاته، "... فانتفع من نفائس علمه الجمع الغفير وتخرجت على يده الفحول درس وأفتى ونصر السنة الغراء وأدحض أهل البدع والأهواء..."⁴.

1 - الشيخ مولاي احمد: فتوحات الإله المالك، مرجع سابق، ص 05-06.

2 - الشيخ مُجَّد باي بلعالم: المرجع السابق، ج2، ص 354.

3 - عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق.

4 - الشيخ مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر: كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط2، مطبعة دار هومة، الجزائر،

2002م، ص 17.

كما أشار إلى ما لحول الشيخ مولاي أحمد الطاهري بتوات من منافع وتأثير على مستوى الانبعاث الثقافي والفكري بالبلاد التواتية خلال القرن 20م، ودوره في نزع غشاوة الجهل والضلال على توات بعدما كانت تن تحتها في الفترة الاستعمارية، ومدى مساهمته في ربط العلاقة الثقافية بين بلدان توات وحواضر المغرب الأقصى¹.

المبحث الثالث: إسهامات الشيخ محمد بلكبير الإصلاحي.

لا يمكن إغفال الظروف الصعبة التي ظهر فيها الشيخ بلكبير وما كان يكتنفها من مشاكل على جميع الأصعدة، فالشعب الجزائري في ذلك الوقت كان يزرح تحت النير الاستعماري الفرنسي وما يمكن أن ينجر عنه من انعكاسات على جميع المجالات، فقد أستهدف الشعب الجزائري ومنه التواتي في مكوناته الهوياتية وثوابته الوطنية، كان الاستعمار الفرنسي يشجع الفرنسية في التعليم والتصوير الديني، وسخر لذلك كل الإمكانيات وهياً كل الظروف المناسبة، بضرب المجتمع في تركيبته القبلية والقصورية، وصولاً إلى تحطيم نمطه الاقتصادي وتخفيف منابع موارده المالية، الشيء الذي أثر على الحياة الاجتماعية بتوات فاضطر أبنائها إلى البحث عن مصادر تأمين العيش مهما كان نوعها، فتجدد الكثيرين من أبناء الشعب الجزائري في الجنوب الصحراوي في صفوف المهاري التابعة للجيش الفرنسي²، وبعضهم إنخرط في عمل السخرة لبناء الثكنات والمنشآت العسكرية، ولم تترك الفاقة لسكان التواتي خيار بسبب التغير المفاجيء لوسائل وطرق التجارة وهميش الفلاحة الواحاتية، هذه الظروف استغلتها الإدارة الفرنسية أحسن استغلال، من خلال بعثاتها التبشيرية ومشاريعها الانفصالية، فكان الاستثمار في التعليم والأعمال الخيرية والمساعدات المختلفة للأهالي سياسة إغراء أتت أكلها، فكان للأباء والأمهات البيض دوراً مهم في هذه الإستراتيجية، بتعليم الصغار في المدن والقصور وتنشيط العمل الكشفي والسهر على الرعاية الصحية وما إلى ذلك من تأمينهم لحاجيات السكان، هذه الأعمال خلفت مجتمع مهزوز الهوية بعيد عن تعاليم دينه، يسيطر عليه الجهل والامية، فكان الأمر صعب على رجال النخبة المثقفة فيه أن تقود زمام المبادرة وتحاول إصلاح ما يمكن والتصدي للثقافة المضادة، وتعقب الآثار السلبية التي ظلت عالقة بالمجتمع حتى

1 - الصديق حاج احمد: المرجع السابق، ص ص 130-164.

2 - عبد الرحمن محرزوي: المرجع السابق، ص 10.

بعد الاستقلال، ونذكر هنا الإسهامات النوعية والإيجابية لشيخ المدارس القرآنية والزوايا وعلى رأسهم الحاج مُحمَّد بلڪبير في هذه المجالات في الفترة الاستعمارية ومرحلة بناء الدولة الوطنية.

المطلب الأول: في الفترة الاستعمارية.

1- مساهمته في الحفاظ على هوية وثوابت الشعب الجزائري.

عاد الشيخ مُحمَّد بلڪبير إلى مسقط رأسه بودة، قافل من مدينة تيميمون بعد حادثة غلق المدرسة التي تناولنها سابقا وذلك سنة 1948م ومن ثمة واصل من قلب بيته مسيرته الجهادية ضد الجهل والتخلف رفقة أتباعه من رواد العلم والمعرفة، وبعد سنتين من ذلك تحديدا سنة 1950م ونظرا لحاجة عاصمة توات أدرار إلى مدرسة دينية يتعلم فيها أبناء الشعب الجزائري هناك لغتهم العربية وأبجديات دينهم الإسلامي، والتصدي في نفس الوقت للمحاولات الحثيثة للتنظيمات التبشيرية والإرساليات التنصيرية التي بدأت تجد طريقها للمجتمع التواتي من خلال التعليم والرعاية الصحية وتشجيع الفعل الكشفي الخيري والترفيهي الذي كانت ترعاه الكنيسة، وفكروا في بعث مدرسته من جديد، وهذه المرة في قلب منطقة توات "أدرار".

بعدها تم الاتفاق على شخص الشيخ بلڪبير في تولي مهمة الانبعاث العلمي من خلال مدرسة يكون مقرها أدرار، مع مسجد جامع للمدينة لتأدية الصلوات اليومية وصلوات الجمعة والأعياد، أوفدت جماعة المجتمع المدني ثلة من الأعيان وكبار البلاد إلى مدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي للتشاور في الأمر، والتماس تدخله لمطالبة تلميذه بلڪبير أن يكون محور هذا المشروع، وتتم الموافقة بينهم أخيرا لينتقل الشيخ إلى تلك المدينة، ويؤسس بها مدرسة قرآنية سيكون لها بعدا حضاريا إنساني ينعكس على توات وغيرها وذلك سنة 1950م¹.

ومن المعروف خلال هذه الفترة أنه قد خضع إنشاء المساجد إلى رقابة كبيرة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية، نظرا لأهميتها في بعث روح الانتماء والاعتزاز بالوطن وبعده الفعل الثوري والجهادي ضد المصالح الفرنسية بالبلاد.

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير، مرجع سابق، ص31.

وقد إرتبط المسجد منذ إنشائه بالمدرسة حيث كان مركزا حيويا بالقصر كما هو الشأن بالمدينة، حيث يعتبر مدرسة تدرس بها العلوم الدينية والدينية، ويعتبر أيضا جزءًا من الهيكل التنظيمي للمجتمعات الإسلامية يهتم بالشؤون التنظيمية والاجتماعية بالنسبة لسكان القصر.

وهو الشيء الذي جعل مدرسة الشيخ مُحَمَّد بلكبير بعاصمة الولاية أدرار من أعظم المعالم التي وجدت بتوات؛ حيث كانت مدرسة بلكبير بأدرار تتوسط قصبة القائد ومقر القيادة العسكرية والإدارية للمستعمر الفرنسي بالبلاد، هذا أكسبها موقع إستراتيجي هام.

وقد عمل الشيخ مُحَمَّد بلكبير مؤسس المدرسة على تطويرها حتى بلغت في فترة زمنية قصيرة قمة مراكز التأثير الاجتماعي وتعدى بعدها حدود الأراضي التواتية، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ تولى الخطابة والإمامة وتعليم القرآن الكريم، وكان السيد الحاج عبد القادر والحاج سالم بن براهيم من أوائل الطلبة الذين افتتحت بهم مدرسة أدرار الجديدة وهم من الطلبة القداماء.

بإرادة المخلصين وعزم الشيخ ورغبته ببارك المولى سبحانه وتعالى في هذا المشروع الحضاري رغم صعوبة المرحلة وما كان يحيط بعملية تعليم اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي من تحفظ من قبل الإدارة الاستعمارية، ورغم قلت الإمكانيات المادية فهو لا يملك ضياعا ولا بساتين ولا أموال ولا شيء، إنما كان يملك الثقة بالله والتوكل عليه والأنس به فأمد الله بالمال والبنين وحفظه من شر وكيد حساده وأعدائه، لاسيما وأن البداية كانت في فترة التواجد الاستعماري الفرنسي لكن عناية الله كانت أقوى وأقدر¹.

2- مساهمته في التوعية والجهاد ضد الاستعمار:

المعروف في تاريخ الجزائر إبان التواجد الاستعماري الفرنسي من المقاومة إلى ثورة التحرير في الفاتح من نوفمبر 1954م، كان تلاميذ وطلبة المدارس الدينية وقود المقاومة والثورات الشعبية التي عرفتها البلاد، من مقاومة الأمير عبد القادر ودور مريدي الطريقة الرحمانية إلى ثورة المقراني والشيخ الحداد مرورا بالشيخ بوعمامة، نفس الشيء بنسبة لدور طلبة المدارس والجامعات في الحركة الوطنية ما بين الحربين وصولا إلى حرب الخلاص ودور طلبة مدارس جمعية العلماء المسلمين والثانويات

1 - مُحَمَّد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

والجامعات في خلاصة مقاومة الشعب الجزائري وثوراته ضد المستعمر الفرنسي من أجل التحرير الوطني¹.

كان لوجود المدرسة الداخلية للتعليم القرآني إلى جانب المسجد عامل مهم في تضليل عيون الاستعمار، خصوصا إذا علمنا بأن مسجد المدرسة كان مركز صلاة الجمعة والأعياد والمدرسة مقر لأنشطة المناسبات الدينية، هذا ساعد في مساهمة الشيخ في الثورة بشكل كبير ومحوري دون إثارة مشاكل للمدرسة، فبالرغم من التوافد المستمر لمبعوثين من قيادة الثورة² للمنطقة على مدرسته أكثر من مرة وانعقاد اجتماعات على جانب من الأهمية مع بعض القادة وأعيان البلاد إلا أن ذلك لم يرقى لقطع الشك باليقين لدى الإدارة الاستعمارية عن مساندة الشيخ للثوار، خاصة وإن الشيخ لم يتبنى خطاب مباشر ومنتشج اتجاه الفعل المسلح الذي كانت تعرفه البلاد، بل واصل دعمه لثورة بتوعية الجماهير للوقوف مع المجاهدين بشكل غير مباشر وتشجيعه لطلبته بالالتحاق بالثورة ودعمها ماديا وبشريا، وقد سخر الله له من يعلمه بكل ما يحاك ضده من مكائد في الدوائر الحكومية الاستعمارية شرطي من أبناء الشعب الجزائري وفيها لانتمائه ووطنه يحميه ويحمي المدرسة من التفتيشات المفاجئة.

وكان الشيخ محمد بلكبير يربي في مدرسته الأجيال الصاعدة التي تؤثر الموت على الحياة وتحمل راية الإسلام والعروبة ضاربة بعرض الحائط ثقافة الفرنسيين ولغتهم، ومن ثمة فهؤلاء كانوا يحملون دين القرآن ولغته وثقافته التي حاول الشيخ وعلى مدى سنوات أن يغذي بها طلبته.

لم يكن الشيخ ييخل بشيء على المجاهدين فكانوا في منزلة طلبته من أعز الناس على قلبه، لا يترك سائحة إلا وأثنى فيها على الجهاد في سبيل الله وما فضل الله به المجاهدين على القاعدين، وما وعد به الشهداء من أعلى درجات الجنان وشفاعتهم في أهلهم، وهذا ما يمكن تأكيده من خلال رده على سؤال للسيد الشيخ بلمبروك الزاوي³ عن رأيه فيما يحدث من عمل مسلح ضد فرنسا في

1 - الشيخ عبد الرحمن شيبان: المرجع السابق، ص ص 69-90.

2 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، مرجع سابق، ص 32.

3 - سيد الشيخ بلمبروك الزاوي: ولد عام 1926م من الرعيل الأول للمجاهدين بالعرق الغربي الكبير، كان منزله في فاتيس بتركوك مقر للاجتماع التحضيري للثورة التحريرية الجزائرية المباركة صائفة 1956م، والذي تقرر فيه الإلتحاق بالثورة في جبل =

الجزائر، على إنه الجهاد بعينه، وفي نفس الوقت لم يعطي الإدارة الاستعمارية الفرصة لغلق المدرسة الدينية بانتهاجه أسلوب ذكي في الدعوة للجهاد دون خطابات تهيجية ولا مواجهة مباشرة مع العدو، وكان على ثقة من أن العمل في السر من مقومات نجاح العمل الجهادي.

وفي الحقيقة لم يكن يداهن ولا يماري معهم بل كان رجلا صادقا مع الله صلبا في دينه يحمل شجاعة الأبطال من الرجال، فهو يرى نفسه في ميدان حرب مع أعداء شتى ولا بد من سلاح نافذ قادر على تحطيم قوى أعدائه، فكان سلاحه تقوى الله عز وجل والتوكل عليه.

ومع ذلك فقد قامت السلطات الاستعمارية باعتقال الشيخ في إحدى المرات، وأُجري له استنطاق إلا إنه أطلق سراحه بعد تجمع الأهالي حول الثكنة العسكرية التي كان يستجوب فيها¹.

المطلب الثاني: بعد الاستقلال.

1- مساهمته في بناء الدولة الوطنية المستقلة:

بعد استقلال الجزائر في 05 من شهر جويلية 1962م أصبح شعار الشيخ بل كبير "لقد أتينا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، في إشارة واضحة إلى بداية مرحلة جديدة جد حاسمة في حياة الشعب الجزائري، تتمثل في بناء الدولة الوطنية المستقلة حديثا وما ينتظر شعبها من تحديات على جميع المستويات؛ بسبب مخلفات الاستعمار الفرنسي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، فبعد اختيار الشعب الجزائري لتقرير مصيره بالاستقلال عن فرنسا، عمدت السلطات الفرنسية إلى الانتقام من الشعب بسحب كل الأيدي الفنية المؤهلة من المؤسسات الجزائرية المختلفة، محاولة من وراء ذلك إدخال البلاد في عجز كبير في التسيير والتعليم والصحة والإعلام، مع محافظتها على

=تمتد عند الشيخ بوشريط، والجهاد الزاوي الشيخ بلمبروك صهر السي أمجد الهاشمي (بونافع) المحافظ السياسي والعسكري للناحية الثالثة المنطقة الثامنة الولاية الخامسة التاريخية، وكان قد ذهب رفقة المجاهد الحاج الدين سليمان للإستفسار في أمر الخروج على السلطة الاستعمارية الفرنسية، حيث أكد له "...إن الذي انتما قدامان عليه هو الجهاد في سبيل الله وبإذن الله أنتما ناجحان..."، والزاوي الشيخ بلمبروك هو مقدم زاوية أولاد سيد الشيخ بتميمون وزاوية الدباغ سابقا. ينظر : عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: نفس المرجع السابق، ص169.

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، مرجع سابق، ص33.

القطاعات الحيوية التي تدر عليها الثروة من خلال اتفاقية إفيان، على غرار الميدان الطاقوي والتجارب العسكرية.

كان على الشيخ مُجَّد بلكبير أن يكون على قدر من الاستعداد لمواجهة التحديات المستجدة، والحمد لله كانت المدرسة في مستوى ذلك لأنها في عز التواجد الاستعماري كانت تكونون من يحملون مشعل التنمية في البلاد فوجدت في خريجها الدولة بعد الاستقلال المعلم والإداري والمساعد الطبي، فكانت مشتله حقيقية لإطارات الدولة المؤهلة المؤمنة برسالة الشهداء¹.

ومع مرور الزمن عرفت المدرسة قفزة نوعية اتسع على إثرها نطاقها وزاد عدد الطلاب وبالمقابل عدد المعلمين والمدرسين، وتم تنظيم المدرسة وفق هيكل تنظيمي يتناسب والتطورات التي عرفتتها وحجم الإقبال عليها حتى علا شأن المدرسة بين الخاص والعام.

أصبحت المدرسة وشيخها سيدي مُجَّد بلكبير محورا حقيقي في المعادلة الاجتماعية بالبلاد، فلا يحل عالم ولا سياسي أو مسؤول من الدولة إلا وخصص لها وقت من زيارته ولكل امرئ ما نوى، أبوابها مفتوحة للفقير قبل الغني الكل يجد ضالته وما قصد².

1- رئاسته للمعهد الإسلامي بأدرار:

من نتائج السياسة الاستعمارية بالجزائر وجنوب الصحراء سيطرت الآباء البيض على المجال التعليمي والصحي والخيري في البلاد، وهذه المجالات لها حساسية كبيرة بسبب علاقتها المباشرة بالمجتمع، وما تقوم به من دور في تكوين شخصية الفرد والمجتمع، فما كان على الدولة المستقلة حديثا إلا أن تجد السبيل المناسب لتغيير الوضع، ولم يكن ذلك سهلا رغم وجود مدارس دينية من الفترة الاستعمارية على غرار مدرسة الشيخ بلكبير عام 1950م، وقبلها مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري 1944م، ولكن فرق الإمكانيات وحجم الإغراءات خلق الفارق بالإضافة إلى الممارسات الإدارية الاستعمارية في تسهيل مهمة البعثات التبشيرية وعرقلة مساعي المدارس القرآنية بالمقابل.

1 - مُجَّد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

2 - الصافي ختير: نفس المقابلة.

فما كان على إدارات وزارة الأوقاف والتعليم الأصلي إلا أن تقترح إنشاء معهد إسلامي بأدرار يسد العجز القائم في مجال تكوين الإدارات، خاصة وإن مدرسة الشيخ بلكبير والمدارس المتفرعة عنها تبذل مجهود كبير في هذا الإطار في حاجة إلى تدعيم ومؤسسة مكتملة للجهد المبذول، فكان ذلك بتأسيس معهد إسلامي عام 1964م أسندت إدارته للشيخ سيدي محمد بلكبير، وفي نفس الوقت اعتمدت مدرسة الشيخ كمقرا له بشكل مؤقت وبدء استقطاب الأساتذة من داخل الوطن ومن خارجه بالتعاون مع أخواننا المصريين والسوريين.

ولقي المشروع نجاح كبير يرجع أساسا لإقبال طلبة المدارس الدينية عليه من كل الجهات لما يملكه الشيخ بلكبير من مصداقية وثقة، وكان دخول المعهد خطوة مهمة وضرورية لولوج عالم الشغل في الوظائف الحكومية بالنسبة لتلاميذ وطلبة المدارس القرآنية.

وقد كان لوجود المعهد الإسلامي بأدرار دورا هام في أقتاع شيوخ المدارس القرآنية وكبار البلاد بضرورة الانتظام تحت قطاع وزارة الأوقاف والتعليم الأصلي آنذاك، خاصة وإن أغلبية المساجد تابعة للمدارس الدينية أو الزوايا وتتداخل أوقافهما، مما طرح مسألة الأملاك الوقفية كقضية مستجدة بعدما رغبت الدولة في تسير مساجد الجمهورية من خلال الوزارة الوصية¹.

وقد نجد إن مسعى الدولة في تنظيم قطاع وزارة الأوقاف والتعليم الأصلي قد أصطدم مع نظرة القائمين على المدارس وكبار البلاد في القصور، فهم ينطلقون من كون المساجد التابعة للمدارس بيوت الله ولا يملك أحدا حق التصرف فيها كيفما كان ولو كان الحاكم كما هو الحال بنسبة للدولة في مثل هذه الحالة، نفس الشيء ينطبق على أملاكهم الوقفية، مما أثار جدلا كبيرا دفع بعملية تحديث إدارة القطاع تعرف تأخرا كبيرا مقارنة بنظيراتها من القطاعات الأخرى، وتسببت في مجازبات هامشية ناتجة عن سوء فهم عقلية ساكنة المنطقة، خاصة بعد استقالة الشيخ بلكبير من إدارة المعهد الإسلامي؛ أول مؤسسة في هذا القطاع تحت وصاية الدولة، ليتفرغ لمدرسته وتولي أمر

1 - محمد المكي قناطف: نفس المصدر.

المعهد الإسلامي، شخصية لا تعرف ما يميز المنطقة من خصوصيات في تركيبها الاجتماعية، وما تتطلبه من خبرة في الحفاظ على التوازنات¹.

ب- جوانب من إسهاماته الإصلاحية:

مما لاشك فيه إن الدولة الجزائرية المستقلة لم ترث عن الحقبة الاستعمارية وضع مساعد على الاستقرار والتنمية على جميع المستويات، فبالعكس كان للميراث المر دور في تردي أوضاع البلاد في دينها ومعاشها، ولم تجني الجزائر من 132 سنة من الاحتلال إلا تأخر بيينا عن الركب الحضاري وتمهيش شامل لكل فيئات الشعب جعلته يعاني من الجهل والأمية والفقر المدقع، انعكس على مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، فقد تفتت مظاهر التنصير والابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي في السلوك والمعاملات واقتصرت على التبعيد فقط، ومن هذا المنطلق نجد إن الشيخ بلكبير ورجال الدين الإسلامي والتربويين كانوا أمام تحدي كبير، ومسؤوليات جسام لإعادة الإنسان المسلم إلى جادة الصواب وتنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به.

- في الجانب الديني:

ارتبطت ظاهرت التدين عند المجتمع الجزائري والتواتي على وجه الخصوص بالمظاهر التعبدية المختلفة، التي تنعكس بدورها على التظاهرات السلوكية للفرد والمجتمع فيما بين أفرادهم وبينهم والأخر، ويشمل في العادة على مستوى المعارف علوم الدين من فقه وعبادات ومعاملات، والمعيار الحقيقي لمعرفة مدى تقدم المجتمع على هذا الصعيد ومقدار المكانة التي بلغها أفرادها تنعكس من درجة حرصهم والتزامهم بأوامر وتعاليم دينهم، فكانت إصلاحات الشيخ بلكبير تركز في مدرسته على تحفيظ تلامذته للقرآن الكريم وتدريبهم حسب طرائق منهجية تستجيب لقدراتهم وإمكانية إستعابهم للمعلومات، وفي الوقت نفسه تلبى احتياجاتهم المعرفية لمراحلهم السنوية².

الوضعية الكارثية التي خلفها الوجود الاستعماري الفرنسي تطلبت العمل فورا على إدخال إصلاحات جذرية تتماشى ومتطلبات المرحلة، وتغير من الأساليب التي فرضتها معطيات الفترة

1 - محمد المكي قناتف: نفس المصدر.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

الاستعمارية وحساسية موضوع اللغة العربية والدين الإسلامي وقتها، وفي ظل الاستقلال أصبح الأمر يختلف تماما عن ذي قبل، فتطلب مواكبة التحولات التي تعرفها البلاد في مختلف المجالات، وكما ذكرنا سابقا إن المدرسة شكلت مشتلة وجدت فيها الدولة جزء من احتياجاتها في مجال التأطير، فكان لتلك الدفعات من الطلبة الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ محمد بلكبير متجهين إلى مختلف مناطق القطر الجزائري وقصور توات خاصة، دورا كبيرا في إزاحة الغشاوة عن المجتمع التواتي الذي كان يعج بكثير من البدع والخرافات نتيجة للجهل المنتشر ومخلفات البعثات التبشيرية.

وقد كان الشيخ بلكبير وخريجي مدرسته يركزون على الإرشاد وتعليم المجتمع من أجل ترك الموروثات الاستعمارية التي كانت تنخر كيانه، بتزويد المنطقة بقدرات وكفاءات تعمل على تثبيت دعائم الدين الإسلامي الحنيف وتبعث فيه روح الاعتزاز بمبادئه وثقافته وموروثه الحضاري، وإحياء وبعث إشعاع ما عرفت به حاضرة توات المالكية من حركة علمية وفكرية كبيرة قبل الاستعمار الفرنسي.

- في الجانب الاجتماعي:

التنوع الإثني والقبلي لتوات من ضمن العوامل التي أستغلها الاستعمار الفرنسي سلبيا، وعمل على تغذية الصراعات القبلية وإثارة النزاعات والقلق في أوساط المجتمع، بتشجيع التميز العنصري بين أفراد الشعب الواحد وزيادة الهوة بين الطبقات الاجتماعية، ومحاوله زعزعة استقرار المجتمع من خلال تحطيم تركيبته وتغيير سلمه الهيكلي خاصة العائلات التي لم تحدم التوجهات الاستعمارية، فكثير من العائلات التي كانت تحظى باحترام كبير في المجتمع التواتي وجدت نفسها تعاني التهميش والمضايقات الاستفزازية بسبب مواقفها الوطنية، والعكس صحيح بالنسبة لبعض العائلات الأخرى التي كانت متواضعة وتمكنت من التموغ وتصدر المشهد الاجتماعي.

فكان من أولويات الشيخ بلكبير المساهمة الفعالة في بناء مجتمع¹ ملتزم في سلوكه ومعاملاته بمبادئه الإسلامية غيور على دينه ولغته ووطنه، مجتمع تربط بين أفرادها علاقات أخوية أساسها الاحترام المتبادل على قيم التكافل وتقليص الهوة بين مكوناته الطبقية، وتجلي الفعل الإصلاحي لشيخ

1- أحمد بلكبير: المقابلة السابقة.

بلكبير في المجتمع التواتي من خلال عمله الجاد على محاولة المساهمة في إعادة صياغة البناء الإجتماعي بطرق شتى ومتعددة¹.

على محور التعدد الإثني والانتماءات القبلية بذل كل ما بوسعه من جهود لرأب الصدع بين القبائل التي خلقت بينها حساسيات، بإصلاح ذات البين وتشجيع هذه القبائل على الانفتاح على محيطها الخارجي، والتعاون فيما بينها على دوائر الزمن ونوائبه باعتبار هذا السلوك قيمة إنسانية يدعوا لها الإسلام، ولا غنا لمجموعة عن الأخرى فالتاريخ والجغرافيا والمصير المشترك يحتم عليهم تشكيل جبهة موحدة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وهذا هو سر التعايش السلمي الذي يميز بلدان توات رغم الفوارق المختلفة بين سكانه، في ظل الاحترام المتبادل والتكافل أصبح مجتمع يشعر فيه الفرد إنه يشكل جزء من المجموعة مهما كان مستواه المادي أو انتمائه العرقي.

نفس الطرق الإصلاحية انتهجت في نبد الفرقة والتميز بين أبناء توات، وقد قلنا عن استغلال فرنسا الاستعمارية لمميزات المنطقة وتنوع أجناسها وانتماءاتهم، لزرع الشقاق بين أفراد المجتمع الواحد عن طريق عدم التسوية بينهم وتفضيل بعضهم على بعض وإثارة النعرات القبلية وتغذية روح الكراهية والبغضاء فيهم، شعارها في ذلك "فرق تسد"²، وهنا كان عمل الشيخ ينصب على التسوية بين الناس من خلال التوعية الدينية وتعليم الأجيال وتثقيفهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تضع الإنسان كيفما كان قيمة تفاضلية من خلال تقواه وعمله الصالح.

ومن ضمن الإشكالات التي كانت محل إصلاح عند الشيخ بلكبير انتشار ظاهرة البدع والخرفات، بسبب جهل المجتمع من جهة وتشجيع الاستعمار الفرنسي على ذلك، لإظهار الإسلام في ثوب أهل الدروشة والتصنع وأكل مال الناس بالباطل، فقد كان للبعثات التبشيرية دورا مهم في الاستثمار في هذا المجال، مستغلة حاجة الشعب الماسة لأعمالهم الخيرية التي كانت غطاء

1 - محمد عبد الحق بكاروي: نفس المقابلة.

2 - فرق تسد: سياسة استعمارية فرنسية أنتهجتها في مستعمراتها عبر العالم، مستغلة في ذلك التنوع العرقي والتعدد الإثني والطائفي والديني والمذهبي بين أفراد المجتمع الواحد. ينظر: تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص98.

لمشاريعهم المغرضة، وهنا عمل الشيخ على إرشاد وتوعية المجتمع من خلال تعليمه لعقائد الدين الحنيف وتوجيه المجتمع إلى نبد تلك الأفكار والمعتقدات الغريبة عن الإسلام والمسلمين، وهذا الجانب كان التحدي الأصب لماله من ارتباط بالعقل الباطن للإنسان، وقد تمكنت هذه الخرافات من المجتمع بتواتر بشكل واضح جدا، فلا يخلو موسم ولا مناسبة إلا صاحبها طقوس رمزية بعيدة عن التعاليم الإسلامية.

نفس الشيء يقال عن الفساد الذي ضرب بأطنابه عمق الشعب الجزائري بتواتر، فقد عرفت المسكرات والمخدرات طريقها لأبناء المجتمع وأصبح يجاهر بها غير آبه بدين ولا تقاليد، وانتشرت أوكار الفساد في كثير من الأحياء وأرتفع معدل الاعتداءات واللصوصية في المجتمع، ولم يعد السكان يأمنون على أعراضهم ولا أموالهم، مع غياب الرادع القانون بعد إنسحاب البوليس الفرنسي وحالة الفراغ التي تركها، وفي غياب الوازع الديني عمل الشيخ على التوعية والموعظة والتنبه بمخاطر هذه الآفات على المجتمع وتبيين عواقبها الدنيوية والأخرية، كما عمل على غلق محلات الفساد وبيع الخمور بشتى الوسائل والطرق، حيث لا تزال منطقة تواتر ومن ورائه ولاية أدرار لا يحوي على محل واحد لبيع الخمور¹.

الأسلوب المنتهج في العمل الإصلاحي من قبل الشيخ بل كبير هو سر نجاح دعوته لتغيير والإقلاع عن مخلفات الاستعمار، وقد وجد تجاوب كبير من ساكنة تواتر برمتها رغم صعوبة ذلك بالنظر لتجذر بعض المعتقدات الخاطئة، ولكن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هي التي دفعت الناس إلى الاستجابة لمشاريعه الإصلاحية.

ويمكن اعتبار الجهل والأمية التي كان يعاني منها المجتمع كنتيجة طبيعية للمرحلة الاستعمارية، عقبة كبيرة في سبيل إيصال رسالة الإصلاح والإقلاع التنموي الذي كان ينشده المجتمع، ولهذا كله عمل الشيخ من خلال صرحه العلمي إلى مضاعفة مجهوداته في تعليم أبناء الشعب شتى المعارف الضرورية، فكانت المدرسة مفتوحة لصغار والكبار ممن يرغبون في التحصيل العلمي ومعرفة تعاليم ديننا الحنيف، هذا ما منح المجتمع جرعة معنوية كبيرة جعلته أكثر استعدادا للمرحلة القادمة وطي صفحة الاستعمار الفرنسي.

1 - الصافي ختير: نفس المقابلة.

لقد تمكنت مدرسة الشيخ بلكبير من الإسهام بشكل لافت في سد العجز الحاصل في مجال التأطير لدى العديد من القطاعات، فلا نكد نجد إطار من إطارات مؤسسات الدولة الأوائل إلا وقد كانت له علاقة بالمدارس القرآنية والكتاتيب التابعة لها¹، هذا الأمر ساهم في زيادة إقبال أبناء المجتمع على المدارس الدينية، وأصبحت مرحلة ضرورية في حياة أبناء توات لازمتهم حتى اليوم، فقد انتشرا خريجي مدرسة الشيخ بلكبير في كامل التراب الوطني وتوات على وجه الخصوص، وكان الشيخ بلكبير يرى بأولوية تأليف العقول على تأليف الكتب، في موقف يخالف فيه العديد من علماء عصره الذين إنبروا للتأليف كجزء من تبليغ الرسالة العلمية².

لم يقف الشيخ بلكبير من ظاهرة الغزو الفكري موقف المتفرج، بل كان له موقفه الخاص وأسلوبه في تجنب البلاد هذه الظواهر الغريبة عن عاداتنا وتقاليدها وأعرافنا، فمن خلال دروسه بالمدرسة وتوجيهاته في خطب الجمعة والمناسبات، كان يركز على مخاطر هذا الاستلاب العقلي والاعتراب الشخصي لأبناء المجتمع، حاثا إياهم على ضرورة الرجوع إلى مورثنا الحضاري وتعاليم ديننا الحنيف، ونفس المنوال نسج عليه خريجي المدارس الدينية في باقي مساجد الجمهورية.

2- مكانته العلمية والاجتماعية:

بعد وفاة شيخه أحمد ديدي رحمه الله، ومغادرة الشيخ مولاي أحمد الطاهري الذي كانت تربطه به كثير من وشائج المحبة والأخوة³ لتوات أصبح الشيخ محمد بلكبير المرجعية الدينية في منطقة توات بدون منازع وانتهت إليه رئاسة علوم الدين ومعارفه، وقد برز الشيخ بلكبير في العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث ... إلى جانب علوم اللغة والأدب العربي من نحو وصرف وبلاغة، وهو بذلك فارس لايشق له غبار في عصره بين أئمة وعلماء توات، وقد ساعده تميزه رحمه الله بقدرات فكرية عجيبة وملكات ذهنية نادرة إضافة لسرعة بديهته، أن تبلغ مجالسه العلمية مستوى عالي في

1- أحمد بلكبير: نفس المقابلة.

2 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

3 - ينظر : رسالة الشيخ مولاي أحمد الطاهري لفضيلة الشيخ محمد بلكبير، الملحق رقم 14.

الطرح وقوة الحججة والاستشهاد، بشكل يشد إليه الحاضرين ويشوق السامعين ويستقطب المهتمين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة إطلاعه وغزارة علمه¹.

ورغم أن الشيخ بل كبير رحمه الله لم يكن يحب الظهور الإعلامي، إلا إن سمعته بلغت الأفق وذاع صيته في البلاد وخارجها، وقد كان لرحلاته الحجازية دورا هام في تعرفه على عدد كبير من علماء العالم الإسلامي، وتبادل معهم أطراف الحديث عن مستجدات الأمور وما يعرفه العالم الإسلامي من نوازل، واختلاف علماء الأمة فيها باختلاف مذاهبهم وطبيعة محيطهم.

المستوى العلمي الذي بلغه الشيخ بل كبير انعكس بشكل إيجابي على شخصيته التي تميزت بالوضوح والصرامة في المسائل التي تتعلق بالدين الإسلامي، وقد كان رحمه الله حريصا على أن يكون في مستوى الآمال المعقودة عليه من قبل الشعب بتوات، فكان يعرف إنه يمثل الشخص القدوة في البلاد مما يحتم عليه الاحتراس في حركاته وسكناته، وبالفعل كان أهلا لها حتى في أصعب المواقف، على غرار نازلة إعادة رفات مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر من سوريا في جويلية 1966م، ودفنه في الجزائر بعدما أصدرت الدولة الجزائرية أوامر رئاسية للقيام بصلاة الغائب في كامل مساجد الجمهورية، لكن الشيخ لم يمتثل للأوامر بناء على كون صلاة الجنازة لا تعاد في الملكية، وكان موقفه دون علماء ومشايخ الجمهورية محل إعجاب من السلطات مما عزز من قدره ومكانته عند الجميع²، فلم يخشى في الله لومة لائم طول حياته.

وكنتيجة حتمية لجدته واجتهاده أكرمه الله بالدرجات الرفيعة في الدنيا وإن شاء الله بالآخرة، فقد فاز رحمه الله بمحبة الناس والصالحين من بلاد الإسلام، وصار بفضل من الله ورضوانه محج لناس كلا حسب غايته في حياته وبعد مماته، رحل الشيخ عن هذه الدنيا الفانية وترك في الناس محبته وسلوكاته ومعاملاته كمثال يحتدى بها ويقاس عليها مدى الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وفي الأخير لا بأس بأن نذكر ببعض الجوانب من سيرته الذاتية :

1 - محمد عبد الحق بكرأوي: نفس المقابلة.

2 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير، مرجع سابق، ص 48.

- أ- مشيخة المدرسة: منذ نشأتها سنة 1950م إلى وفاته سنة 2000م، تخرج على يده منها ما يزيد على 20 ألف طالب يجوبون بقاع المعمورة كدعات وأئمة ومعلمين¹.
- ب- إمام أستاذ ثم مدير المعهد الإسلامي بأدرار منذ سنة 1964م².
- ج- شهادة تقديرية (ليسانس من وزارة الأوقاف تحت رئاسة أحمد توفيق المدني).
- د- شهادة ليسانس أخرى في سنة 1991م.
- هـ- شهادة دكتوراه فخرية من جامعة وهران سنة 1997م³.

في ظروف غير مساعدة وبيئة لا تناسب الفعل الإصلاحي كان ظهور الشيخان في المشهد العلمي لتوات، وفي ظل هذه المعطيات تمكنا من الصمود والعمل بتفاني وإخلاص إيماننا منهنما بقدسية المهمة، ومن خلال ملحمة جهادية خالصة لله والوطن دخلوا في تحدي غير متكافئ مع التنظيمات التبشيرية والإرساليات التنصيرية، وما صاحبها من مشاريع استعمارية مغرضة، في محاولة للحد من تأثيراتها الجانبية، ورغم صعوبة المهمة إلا أنهما تمكنا من تجنيب المجتمع كثير من الإنزلاقات، وواصلوا العمل الجهادي من خلال مدارسهما الأصلية والسليمة، في ملحمة إصلاحية أسطورية بمعنى الكلمة، لتخليص المجتمع التواتي بشكل خاص والجزائري بشكل عام من رواسب 132 سنة من مشاريع ممنهجة استهدفته في عاداته وتقاليده وأعرافه، ومعتقداته الدينية وهويته الوطنية وانتماءاته الحضارية، وبفضل الله والمخلصين من أبناء هذا الوطن تمكنا من التغلب على كل الصعاب والمحافظة على الطابع الخصوصي لمنطقة توات، التي أصبحت مضرب للمجتمعات المحافظة رغم موجة الغزو الحضاري بمختلف جوانبه الفكرية والثقافية.

1 - أحمد بلكبير: نفس المقابلة.

2 - ينظر: الملحق رقم 15،.

3 - ينظر: صورة لشهادة الدكتوراه، الملحق رقم: 16.

الفصل الخامس

قراءة في إنتاج الشيخ مولاي

أحمد الطاهري العلمي

(نسيم النفحات أنموذجا)

المبحث الأول : التعريف بأهم مؤلفات الشيخ مولاي أحمد.

المبحث الثاني : قراءة في كتاب نسيم النفحات من أخبار توات.

الفصل الخامس: قراءة في إنتاج الشيخ مولاي أحمد الطاهري العلمي.

(نسيم النفحات أمودجا)

لقد ساهمت حركة التأليف بالجزائر بداية من القرن 16م، في إثراء مكتباتها وغناها بنفائس الكتب والمخطوطات قل نظيرها في بلدان إفريقيا، مما جعلها محج العلماء والمهتمين بالعلم من شتى أنحاء المعمورة، الشيء الذي بوأها قصب السبق بين حواضر العالم الإسلامي، فنجد التاريخ قد سجل لنا صيت عديد المكتبات العامة منها والخاصة، ففي الجزائر العاصمة نجد مكتبة الجامع الكبير ومكتبة المدرسة الكتانية بقسنطينة ومن المكتبات الخاصة نذكر مكتبة حمودة الفكون ومكتبة أبوراس الناصري ببيلك الغرب ومكتبة المذاهب الأربعة لعائلة الورثيلاي، هذا الحراك العلمي والثقافي الذي عرفته حواضر المركز سواء في العهد العثماني أو الفترة الاستعمارية انعكس على حواضر الحواشي شرقا وغربا وجنوبا.

فنجد توات ما بين القرن 16 و20م، شهدت حراك ثقافي وعلمي لم تعرفه من قبل، بفضل المدارس العلمية التي عرفت انتشارا واسعا في أرجائها، بمبادرة من أسر وبيوت علمية كان لها الدور البارز في المشهد الثقافي والعلمي للمنطقة، فأنشؤا مكتبات بإنبراء بعضهم للتأليف والنسخ واقتناء الكتب ناهيك عن الكتب التي كانت تصل عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة؛ باعتبار بلدان توات مراكز ومحطات طرق القوافل، على غرار البيت الكنتي والأنصاري والبكري والجعفري والبلبالي وغيرها، في توات بجهاهما الثلاث.

إلا أن هذا الفعل العلمي والثقافي عرف فتور كبير بعد سقوط البلاد التواتية تحت وطأة الاستعمار مع مطلع القرن 20م، وبسبب ممارسات إدارة الاحتلال الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية للشعب الجزائري؛ بمصادرتها عديد المكتبات التي كانت تحوي أمهات الكتب والمخطوطات ومنعها تداول كل ما من شأنه ربط المجتمع الجزائري بماضيه العربي الإسلامي، وبالمقابل الترويج لنظريات مغرزة من شأنها ربط الجزائر بالأصول الغربية، لكن ذلك لم ينطلي على الشعب الجزائري الذي وجد في جمهرة من مثقفيه بالفرنسية أو العربية سدا منيع أمام هذه المشاريع، فنلاحظ بداية

الحراك الفكري والثقافي من خلال الكتابة عبر المنابر الإعلامية أو تأليف الكتب، هذا الفعل الذي نجد أنه وجد صداه لدى بعض المثقفين في توات وعلى رأسهم شيوخ المدارس الدينية ليسهموا في حركة التأليف، فنجد الشيخ مولاي أحمد الطاهري ممن تقمصوا هذا الدور من خلال إسهاماته في تحريك عجلة التأليف وإحياء سنة العلماء السابقين من قبله في هذا المجال، وإثراء مكتبة المدرسة الطاهرية ببلدية سالي دائرة رقان ولاية أدرار بأقصى الجنوب الغربي الجزائري بأهميات الكتب ونفائس المخطوطات وأثمنها برغم من صعوبة الفترة، لتبقى شاهد عن إسهام هذه الناحية في الحضارة الإنسانية، وفي هذا الإطار سنقف عند أهم إنتاج الشيخ مولاي أحمد الطاهري الحسني العلمي من خلال قراءة في بعض مؤلفاته.

المبحث الأول: التعريف بأهم مؤلفات الشيخ مولاي أحمد.

1- العقد الجوهري على النظم المسمى بالعقبري¹:

ألفه في عام 1366هـ الموافق لـ عام 1947م، تناول فيه الشيخ مولاي أحمد بالشرح والتحليل نظم "مُجَّد بن أب الزموري"²، المتعلق بأحكام السهو في الصلاة على مذهب الإمام مالك، فقد فصل فيه الشيخ وأوضح ما أشكل فيه واستعصى عن الفهم والحل والإدراك، من جمهور العلماء وعامة الناس.

وفي كتابه "العقد الجوهري على النظم المسمى بالعقبري" بدأه الشيخ مولاي أحمد في ورقته الافتتاحية، حيث كتب يقول: " بسم الله الرحمان الرحيم وصلي الله على سيدنا مُجَّد وآله وصحبه وسلم، يقول العبد الفقير إلى ربه القادر أحمد المعروف بالطاهر، عامله الله بلطفه الخفي والظاهر، الإدريسي الحسني:

1 - ينظر : صورة للغلاف، وصورة لصفحة الافتتاحية، وصورة لصفحة الختامية، الملحق رقم 17.

2 - مُجَّد بن أب الزموري: سبق أن ترجمنا له.

الحمد لله الذي تنزهه عن السهو والنسيان، والغفلة والذهول والنقصان، وخلق هذا الإنسان فجعله موصوفا بالذهول والنقصان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن، وعلى آله وصحابه الطاهرين الأعيان، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان.

وبعد فقد طلب مني بعض الإخوان، أن أضع له شرحاً على النظم المسمى بالعقبري، فأجبت وإن كنت لست من رجال هذا الميدان، معتصماً بقوة الرحمان الرحيم طالبا العذر من جميع الإخوان، وإن يتصفحوا ما عثروا عليه من الخلل والنقصان... وسميته (بالعقد الجوهري على النظم المسمى بالعقبري)...¹ افتتاحية أعتدنا عليها في كتابات المدرسة المغربية، والتواتية كذلك التي على ما يبدو نسجت على منوالها، لما لها من ارتباط عضوي بها من خلال مشايخها ومريديها، ومن أهم ملاحظها بالإضافة إلى اعتمادها على التحليل والاستنباط، إن الكاتب يبدأ كتابته بعد البسملة والصلاة على سيد المرسلين وآله، بتوضيح السبب الذي دفعه إلى فعل الكتابة، مظهراً نوع من التواضع في شكل اعتذار علي أو ضمني من القارئ، ملتصقاً بحسن الظن وتقدير عدم الاختصاص، معتمداً في كل ذلك على الرحمان الرحيم، متبرئاً من الحول والقوة إلا لله.

ليختتم الشيخ مولاي أحمد كتابه السالف الذكر، بقوله: "... وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك في أول رجب سنة ألف وثلاثمائة وستة وستين من الهجرة النبوية، والحمد لله رب العالمين²". وبذلك يكون قد أسدل الستار عن أحد مؤلفاته بدون خاتمة واضحة المعالم كما بدأه دون مقدمة، على غرار عديد المؤلفين في هذه المدرسة.

2- عقد الجواهر واللثالي على نصيحة أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي³:

ألفه عام 1387هـ الموافق لـ 1967م، وهو شرح مستفيض لمنظومة أبي العباس أحمد بن عبد

1 - مولاي أحمد الطاهري: العقد الجوهري على النظم المسمى بالعقبري، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1993م، ص5.

2 - نفسه: ص109.

3 - ينظر: صورة للغلاف، وصورة لصفحة الافتتاحية، وصورة لصفحة الختامية، الملحق رقم 18.

العزیز الهلالي السجلماسي (ت 1175هـ - 1761م)¹، التي ضمنها جملة من الفوائد صاغها على شاکلة نصائح في منظومة شعرية رائعة، أبانت عن سعة إطلاع ومقدرة من الفهم والإدراك لمقاصد الشريعة الإسلامية عند صاحبها، فقد أسرت العلماء والمشايخ، وتعلق بها الطلبة والمهتمين، وحيرت التلاميذ والمريدين، فراح الجميع يبحث فيها عن مقاصده، محاولا فكفكتها واقتطاف ما اشتملت عليه من درر وفوائد، فكان منهم من أثار الله بصيرته وهداه إلى من لمعارفها محيط ولألفاظها ومعانيها كاشف ومدرك، فلجاء إلى فضيلة الشيخ مولاي أحمد الطاهري، ملتمس منه وضع شرح لهذه النصيحة لتعم فائدتها الجميع، فما كان من الشيخ إلا أن تصدى لهذا العمل النبيل الذي فيه صالح المؤمنين وخصوصا الطلبة والدارسين، وقد ابتدأه الشيخ مولاي أحمد بالبسملة

1 - أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ولد سنة (1113هـ - 1701م) بمدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى، في أسرة تنحدر من ذرية الفقيه النوازي أبي إسحاق إبراهيم بن هلال (ت 903هـ)، وعلى منواله نسج أحمد في التلقي وطلب العلم، فجال في سبيله حواضر المغرب، وشد الرحال خارجه إلى مجموعة من الأمصار قصد الاستزادة وطلب السند العالي، فكثرت بذلك شيوخه، وتنوعت مروياته، وأدرك ما لم يدركه أقرانه ومعاصروه، كل ذلك مدون في فهارسه ورحلته، ويبقى أشهر من تتلمذ لهم ولازمهم من علماء بلده: الشيخ الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني (ت 1163هـ)، والأستاذ المحدث أبو البركات أحمد بن محمد الحبيب السجلماسي (ت 1165هـ)، والإمام اللغوي أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الشرقي (ت 1170هـ)، ومن المشاركة: الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري (ت 1162هـ)، والشيخ محمد بن سالم بن أحمد الحفناوي (ت 1181هـ)، وبعدهما أحسن أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي أن غرضه من رحلته إلى المشرق قد اكتمل وتحصل، فقل راجعا لوطنه، ليعقد مجالس للتدريس، أولا بمسقط رأسه مدغرة ثم بسجلماسة ثم فاس، وكان طلاب العلم يتهافتون على حضور مجالسه وتقبيد ما يلفظ به لسانه من فوائد ونكت، وقد أفصحت مجموعة من المصادر عن جملة من هؤلاء، من أبرزهم: المؤرخ محمد بن الطيب القادري (ت 1187هـ)، والفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بناني (ت 1194هـ)، والشيخ أبو عبد الله محمد -فتحاً- بن محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214هـ)، ومما عُرِف به أيضا رحمه الله كثرة تأليفه وتنوعها، ذكرت لنا كتب التراجم والأخبار جملة منها، أشهرها: «فتح القدوس في شرح خطبة القاموس»، و«إضاءة الأدموس ورياضة الشموس في اصطلاح صاحب القاموس»، و«نور البصر في شرح المختصر»، و«الزواهر الأفقية في شرح الجواهر المنطقية»، و«المراهم في أحكام فساد الدراهم»، منه نسختان بالخزانة الملكية، و«الفوائد الملتقطة والوصايا المعبرة»، منها نسخة بمؤسسة علال الفاسي وغيرها، توفي رحمه الله بسجلماسة يوم الثلاثاء 21 من ربيع الأول عام 1175هـ الموافق لـ 19 أكتوبر سنة 1761م. ينظر: محمد صغير: أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي العالم الزاهد (ت 1175هـ - 1761م)، ط 1، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط: 2015م.

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وآله فيقول "...: وطلب مني أن أضع عليها شرحاً يحل ألفاظها ويبين معانيها لحسن ظنه بنا وما يعلم أن هذا العبد الضعيف قصير الباع قليل الإطلاع وناولني المنظومة... ولما طالعتها وجدتها كلها عظات نافعة وجواهر لامعة... وإسهاماً مني في هذا الشأن وإن كنت لست من رجاله فليبت مطلوبه طالبا من الله التوفيق إلى أقوم طريق والهداية والتحقيق... وسميته : عقد الجواهر و اللثالي..."¹.

ويقول في آخره : "...وأسأل الله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به ويكون من الأعمال المتقبلة، التي لا يشوبها رياء ولا سمعة... وكان الفراغ منه فاتح ربيع الأول سنة سبعة وثمانين وثلاثمائة وألف، من هجرة من له المجد والشرف... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين."²، ولا غرابة في كون مؤلفاته تتقارب في الطرح تتشابه في الأسلوب رغم اختلاف ألوانها، وبطبيعة الحال نجد الشيخ دائما يحاول إبعاد ما يطرحه عن الملام، بوضع نفسه في موقع من لا يعلم دروب العلوم رغم ما عرف عنه رحمه الله من مستوى عالي أعترف له به القاصي والداني، وكل هذا تأدبا منه ووقارا لمن سبقه من العلماء، وعنه أسأل من عايشه علما وحلما وتواضعا سمات لم يختلف فيها وصفا له من قابلناهم من تلامذة ومعارف.

3- كتاب الدر المنظوم "شرح مقدمة ابن آجروم"³:

ألفه عام 1376هـ الموافق لـ 1957م، كما لم يشذ الشيخ مولاي أحمد في مؤلفه هذا عن قاعدته في باقي التأليف التي سبق وأن ذكرناها، بدءا ونهاية تقديمها وختامها، فقد أفرد المشرف على طباعته تلميذه البار الشيخ سيد الحبيب بن عبد الرحمن العلوي التواتي التسفاوي⁴، نبذة تعريفية بالمؤلف مستعرض من خلالها، نسبه الشريف وطريقه في أخذ العلم والمعرفة إلى بلوغه درجة السادة

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: عقد الجواهر واللثالي على نصيحة أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي، دون مطبعة، دون سنة طبع، ص03.

2 - نفسه، ص403.

3 - ينظر : صورة للغلاف، وصورة لصفحة الإفتتاحية، وصورة لصفحة الختامية، الملحق رقم 19.

4 - الشيخ سيد الحبيب: قد سبق وأن عرفنا به في ما مضى.

الصوفية، ثم خروجه لتعليم كتاب الله وسنة رسوله في بلاد المسلمين بداية من شنقيط مرورا بتمبكتو ووصولاً إلى أراضي توات بلاد الاستقرار والعطاء، التي أسس بها مدرسته الخاصة لتحفيظ القرآن وتلقين علوم الشريعة، وهي مازالت قائمة إلى يوم الناس هذا في كنف وعز خليفته وإبنه المصون الشيخ مولاي عبد الله، معرجاً على جملة من المحطات المفصلية في مسيرته العطرة، إلى أن وافته المنية، كما سلف وأن ذكرنا، فقال الشيخ مولاي أحمد في بداية كتابه : "...إني لما عثرت على نظم الإمام العلامة البحر الفهامة سيدي محمد بن آب الزموري دفين تيميمون قاعدة من قواعد توات لابن آجروم¹ في النحو ووجدته في غاية الحسن والكمال ولم أطلع على شرح له، مع انتشار هذا النظم في كثير من البقاع فطلب مني بعض الطلبة أن أضع له عليه شرحاً ليكثر به الانتفاع فأجبتة إلى ذلك طالبا من الله الثواب وترغيب الطلاب...وسميته الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم..."²، ونجد إن المؤلف التزم منهج التبويب في كتابه هذا، لأنه يناسب جزئيات موضوعاته، وكونه يناسب شرح هذه المنظومة، ويسهل على القارئ الفهم وبلوغ المعنى، وقد جاء الكتاب في ستة وعشرين باب، بدأه بباب الكلام وأنهاه بباب المفعول معه مع ذكر المخفوضات من الأسماء، وفي نهاية الكتاب قال الشيخ مولاي أحمد : "...تم بحمد الله... وكان الفراغ من تبييضه في اليوم السادس عشر من شوال سنة ست وسبعين وثلاث مائة وألف هجرية..."³، وقد أعقبه تلميذه الشيخ سيد الحبيب، بتقريض طفيف لبيب ذكر فيه بقيمة المؤلف والمؤلف وما إشتمل عليه من المزايا والخصائص، نفع الله بها كل مرید.

4- مؤلفاته الشعرية:

فهي كذلك عديدة لأنه كان شاعر لا يشق له غبار، ومن هذه الأشعار ما أورده في مؤلفاته النثرية لإثرائها وتقريبها لفهم الطلبة، ومنها قصائد مستقلة بذاتها؛ والتي نجدها تحمل أغراض محددة كالنصح والإرشاد، مثل القصيدة التي أرسلها أثناء مكوثه بالمغرب الأقصى لإبنه بالمدرسة الطاهرية الشيخ مولاي عبد الله؛ وهي نصائح له وللإخوان والأولاد والتلاميذ يحضهم على الزهد والتواضع

1 - ابن آجروم: قد سبق وأن عرفنا به في ما مضى.

2 - مولاي أحمد الطاهري: الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم، مطبعة الواحات، غرداية، سنة 1408هـ، ص16.

3 - نفسه: ص277.

وطلب العلم وغيرها من النصائح القيمة وتبدأ هذه القصيدة بقوله:

عليك سلام مثل ما هب من نجد سلام زكى من نفحة البان والرند

وعدد أبيات هذه القصيدة حوالي عشرين بيتاً.

وله قصيدة أخرى عبارة عن أحجية شعرية، نظم فيها عدة مسائل فقهية اشتملت على إحدى وثلاثين مسألة في الفقه والنكاح والفرائض وبدأها بقوله:

ألا حي دوراً بالعلوشية للمهدي عفتها روايا الدهر بعدك والسعد

وفيها حوالي أربعين بيتاً من الشعر، كتب هذه القصيدة وانتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يكشف غوامضها فاجتهد الطلاب من بعده في إيجاد الحل، فكل حسب فهمه على سبيل المثال تمكن الشيخ مولاي الحاج من حل ثمانية وعشرين مسألة وبقيت ثلاثة، وكذلك تلميذه الشيخ باي بلعالم تمكن من حل نفس العدد.

وله قصيدة أخرى ألفها أثناء إقامته الأولى بسالي، وذلك لما هزه الشوق والحنين لبلده المغرب وإخوته، ومطلع هذه القصيدة كمطلع قصائد الشعر الجاهلي ويقول:

بدا حسن من أهوى وقد كاد لا يبدو وأضناك حينما بدا حسنهما الوجد

وهذا يدل على أن الشيخ كان له باع في كل الفنون الشعرية وله خبرة وإطلاع كذلك.

أما منهجيته في التأليف فكان يعتمد على قصر العنوان، معتمداً السجع مبيناً الدواعي والأسباب التي كانت وراء التأليف، في تواضع واعتذار لمن هو أولى منه وأوسع إطلاعا، مقزماً نفسه متبرئاً من الحول والقوة إلا لله ثم ينتقل إلى العرض.

ففي مؤلفاته الفقهية أضاف الاستدلال بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والعلماء، وأتحفها بالشواهد الشعرية الفقهية من تأليفه أو تأليف غيره من العلماء، وتارة تكون عن طريق سؤال وجواب، وييدي رأيه في كل المسائل الفقهية معتمداً التبسيط والتسهيل على القارئ ووضح أقوال النحاة على كافة اختلافاتهم، وكان يدرج بعض القصص التي تسوقها بعض الأبيات الشعرية ويبين في مؤلفاته المشكل من المسائل ويبين آراء العلماء حتى من المذاهب الأربعة ويرجح بعض الأقوال من حيث قوتها على غيرها، وله مؤلف وإسمه " نسيم النفحات بذكر علماء وأولياء وصالحى منطقة توات " والذي سأفرد له عنصراً وعنواناً مستقلاً بذاته لدراسته وهو نموذج من إنتاجه.

المبحث الثاني: قراءة في كتاب نسيم النفحات من أخبار توات.

1- الوصف المادي للكتاب:

-العنوان: نسيم النفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات.

-الكاتب: الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني.

-المحقق: الشيخ مولاي عبد الله الطاهري.

-طباعة: مطبعة مداد للطباعة والنشر، حي البطحاء متليلي - غرداية - الجزائر : 2012م.

-عدد الصفحات: 311 ص، أزرق اللون من الحجم المتوسط 20/14,05 سم.

2- تعريف الكاتب:

صاحب هذا الكتاب الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني(ت 1399هـ - 1979م)، سبق وأن عرفنا به من قبل باستيفاضة¹، وقد حققه نجله وخليفته على مدرسته اليوم، الشيخ مولاي عبد الله الطاهري، وهو كذلك قد عرفنا به في ما مضى في هذه الأطروحة²، وقد أخرج في حلته التي بين أيدينا بعد طباعته، نفع الله به وجعله كالغيث حيث أمطر أنبت بإذن ربه، فكان من المصادر المهمة التي أرخت لفترة تاريخية مهمة في تاريخ توات.

3- مقدمة:

إن مؤلفات الشيخ مولاي أحمد كلها درر نفيسة، وصيدا لمن ظفر به ثمين، ومن خلال إطلاعنا على بعض مؤلفاته وحصولنا على معلومات وافية عن بعضها الآخر من طلبته والمهتمين بمؤلفاته، ونظرا لكون مؤلفات الشيخ مولاي أحمد شملت ألوان معرفية متعددة، وقع اختيارنا على كتاب "نسيم النفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات"، وهذا راجع لكون الكتاب ذا

1 - ينظر : الفصل الثاني من هذه الأطروحة.

2 - ينظر : الفصل الثالث من هذه الأطروحة.

طابع تاريخي يتقاطع مع تخصصنا، ويتحدث عن مرحلة تاريخية مفصلة في تاريخ توات خاصة والجزائر عامة، إبان التواجد الاستعماري، وما عرفته الجزائر من مستجدات شكلت تحدي للثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، سنتعرض لها لاحقا في صدد استعراضنا لمضمون الكتاب.

ولا نبالغ إذا ما اعتبرنا كتاب " نسيم النفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات"، مصدرا معرفيا مهما للدارسين والباحثين في تاريخ توات والجنوب الجزائري في الفترة المعاصرة، فقد يمدنا هذا الكتاب بمادة معرفية قل نظيرها في المؤلفات التي تعنى بالبلاد التواتية، لما يحمله هذا الكتاب من معلومات وافية عن قصور توات ومدن عديدة من الجنوب الجزائري، فالكتاب يدون لنا رحلات الشيخ مولاي أحمد التي قادته من خلال ركبه العلمي لزيارة هذه المدن والقصور في أقصى الجنوب الغربي للجزائر.

كالعادة لم يختلف منهج الشيخ مولاي أحمد في تناول موضوعات مؤلفه عن المؤلفات التي سبق وأن قدمناها كعينة من إنتاجه العلمي، رغم طبيعة المعلومات التي يحملها الوعاء، وهي تأريخية بامتياز، لما تحمله من مواصفات وخصائص أداها الرحلات التأريخية¹، ناهيك عن كونها تؤرخ للمسار النضالي للشيخ مولاي أحمد في الجزائر، إبان الحقبة الاستعمارية؛ ضد سياسة التجهيل وطمس معالم الهوية الوطنية الجزائرية، ومشاريع فرنسا الاستعمارية الرامية لفصل الصحراء.

وبعد القراءة المتأنية للكتاب، يتضح لنا أن الكاتب يحمل خلفية فكرية إسلامية، لانهضوية حركية ولا تجديدية إصلاحية حديثة، بل إحيائية يتعقب فيها أثر السلف الصالح عليه السلام، متسامح ومنفتح على الآخر²، وهذا ما تعكسه أوصافه للأهالي الذين وصفهم في رحلاته عبر الوطن، فلم يبدي مواقف سلبية من أي جهة، وعلى نفس التوافق نجد ردة فعل الأهالي من مختلف المستويات

1 - وصلتنا العديد من الرحلات المشهورة على غرار، رحلة أبي حفص عمر بن عبد القادر التنبلاي (رحلة فهرسية)، ورحلة أبي عبد الله الفلاني إلى الديار التواتية، ورحلة أبي زيد عبد الرحمن التواتي إلى الحج، ورحلة عبد الرحمان بن إدريس التنبلاي (رحلة إلى الجزائر المحروسة سنة 1231هـ - 1817م) وغيرها كثير علمية كانت أو حجازية. ينظر: عبد الرحمن بعثمان: فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنبلاي التواتي، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تاريخ حديث، إشراف: محمد بن معمر، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية (2008-2009)م، ص ص 23-24.

2 - عبد العزيز محجوبي ومحمد بن عزوي: مرجع سابق، ص ص 23-24.

تم عن مقام التقدير والاحترام الذي يحظى به العلماء في منطقة توات وما جاورها، الخلفية الفكرية للكاتب انعكست على الكتاب؛ الذي جاء استكشافي وصفي في مجمله إذا ما استثنينا ما ورد فيه من معلومات توضيحية، تستند للكتاب والسنة وتاريخ السلف.

يبدو إن الشيخ مولاي أحمد يملك ذاكرة جبارة، أهلته ليحتفظ بكل تفاصيل رحلاته عبر الزمن، فهو بلا شك آية في الحفظ، إلى جانب تبحره في علوم شتى حاز بها قصب السبق والدراية، فقد قدم لنا بطاقة وصفية دقيقة، لم تغفل عن أي جانب يمكن أن يشغل المهتمين بدراسة تاريخ المنطقة في تلك الفترة، الاقتصاد، الشخصيات الفاعلة، الفئات الاجتماعية، الجانب الروحي، كما إن المعلومات الواردة في كتابه، لا تختلف مع أدبياتنا المعرفية في توات، إضافة لأنها قد تكون مصدر للمعارف التي وردت في الأبحاث التي تناولت بلدان توات بالدراسة، أو اتفقت معها في الغالب، على غرار كتاب (إقليم توات عبر التاريخ)¹ لصاحبه الدكتور فرج محمود فرج، أو كتاب الشيخ باي بعالم (الرحلة العلية)²، نفس الشيء يمكن قوله عن دراسة البروفيسور محمد الصالح حوتية (توات والأزواد)³، وكتاب (لفت الأنظار)⁴ لصاحبه الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، وغيرها من الدراسات والأبحاث، في نفس الوقت لم يلتزم الكاتب بالطريقة الأكاديمية في كتابه، فلا نجد إحالات أو تهميش يعيد المعلومات المقدمة إلى مصادرها، خصوصا تلك المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا، مع كونه قد أشار في بداية كتابه إلى كونه أستند في معلوماته على ناس ثقات، دون أن يشير إليهم بأي شكل من الأشكال، كما لم يعتمد في الكتاب الذي نحن بصدد دراسته في عرضه لموضوعاته طريقة التبويب أو الفصول أو المباحث والمطالب، بل كان متحررا من كل ذلك هدفه تقديم المعلومة دون قيود أو شرط معتمدا العنونة، بطريقة توحى بأنه كان يكتب بشكل متقطع بين الفينة والأخرى حسب التذكر وحضور المعلومة، وحسب ما يبدو أن الكتاب لم يجمع كيوميات أو كتقارير مهام، بل جمعت معلوماته من خلال استحضار ذاكرة كاتبه والتحقيق والتدقيق باستشارة

1 - فرج محمود فرج: المرجع السابق.

2 - الشيخ محمد باي بعالم: مرجع سابق.

3 - محمد الصالح حوتية: مرجع سابق.

4 - الشيخ مولاي التهامي غيتاوي: لفت الأنظار لما وقع من التخريب والدمار لولاية أدرار ابان الإستعمار، مرجع سابق.

الثقات من معارفه، وهذا يخالف ما هو عليه في المخطوط الأصلي، على غرار الاختلاف في صيغة العنوان الذي تضمنته مقدمة الشيخ مولاي أحمد " نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات"¹ وفي المخطوط "نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين الثقات".

4- المضمون:

يبدأ الكتاب بنبذة تعريفية عن مؤلفه؛ الشيخ مولاي أحمد الطاهري، وهي على ما يبدو من كتابة المحقق للمخطوط الأصلي للكتاب؛ نجله وخليفته الشيخ مولاي عبد الله الطاهري، قد تطرق فيها لجوانب من حياة المؤلف؛ نسبه ومولده ونشأته ورحلته من مسقط رأسه المغرب إلى أراضي توات بأقصى الجنوب الغربي الجزائري، مارا عبر شنقيط بموريتانيا وحاضرة تمبكتو بدولة مالي، إلى أن حط به الرحال بأراضي توات كما ذكرنا، وتأسيسه لمدرسته الدينية الحرة ببلدة سالي العلوشية؛ التابعة إداريا لدائرة رقان ولاية أدرار إلى ناحية الجنوب، كما عرج كاتب هذه الترجمة إلى جوانب من حياة المؤلف في توات في ظل التواجد الاستعماري الفرنسي، وما كان للشيخ مولاي أحمد من مواقف بطولية، جعلت منه مصدر إزعاج في نظر الإدارة الاستعمارية الفرنسية، التي لم تدخر جهدا في مضايقته وتضييق الخناق عليه إلى أن غادر الجزائر قافلا إلى أرض الحرمين بحجة أداء فريضة الحج، ولم يعد من يومها خوفا على أبنائه القليلين من تلاميذ المدرسة، أن يصيبهم مكروه بسببه من الاستعمار الفرنسي، ولم يعد إلى أرض الجزائر إلا بعد الاستقلال، وبعدها أطمأن على المدرسة وتراءت له كالبدر في منزل السعدي، قام بجولته المشهورة عبر توات وما جاورها من الأمصار؛ من الأهقار حتى الطاسلي وورقلة ووادي ميزاب والساورة، في موكب علمي وصفه العارفون بقافلة الوداع، ليعود إلى مسقط الرأس ليواصل رسالته العلمية من خلال مدرسة والده الدينية بمراكش، إلى أن وافته المنية رحمه الله مخلفا إرثا علميا وحضاريا يعتبر إضافة حقيقية للحضارة الإنسانية؛ متمثل

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، مرجع سابق، ص 52.

في جملة من التأليف المخطوطة، ومدارس دينية سليمة عبر كامل التراب الوطني الجزائري، مازالت تشع بنورها وتهدي إلى طريق الله المستقيم¹.

ثم يعقب هذه الترجمة للمؤلف تقديم للكتاب موقع بإسم الأستاذ أحمد بومعزة إمام بالمنصورة الجديدة ولاية غرداية، الذي قال عن الشيخ مولاي أحمد "...ولقد أقام بأرض توات بضع عشرة سنة، وكأنها قرن من الزمان في خيرها وفتحها وعطائها..."²، مشيدا بمكانة الشيخ وقدره ودوره في إعادة المنطقة إلى ما نسيته من تقاليد الإسلام وآدابه، كما صحح فيها كثير من الأفكار والتصورات، وصحح كثير من الأخطاء الاجتماعية العامة.

كما اشتمل الكتاب على إحدى عشرة تقريرا أجمع أصحابها على قيمة المخطوط، لعاملين رئيسيين، أولهما مكانة كاتبه ومقامه وما عرف به من صلاح وعلم لدرجة أقر له الجميع بالولاية، ولما اشتمل عليه من معلومات معرفية قيمة، جعلته مصدر مهم من مصادر تاريخ توات وما جاورها في الفترة المعاصرة، وما عزز قيمته المسائل الفقهية التي أثارها الشيخ باعتبارها محل خلاف عادة في المجتمعات، والمقصود هنا ما تعلق منها بالنسب، لما يحتله هذا العامل من مكانة في أدبيات المجتمعات بصفة عامة وتوات بشكل خاص، ونظر للظروف الموضوعية التي مرت بها المنطقة المغاربية عبر التاريخ، أثار ذلك إشكالية الأنساب بسبب تخالط الأجناس قصرا أو بطيب خاطر³.

وفي إجراء عملي طبيعي يبدأ المحقق بمقدمة وصفية للوضع العام السائد في توات وما شابه من تغيرات نتيجة التطور الذي عرفته حياة الإنسان في جميع المجالات، وما انعكس عنها من آثار سلبية على مستوى السلوك الفردي والجماعي، لمجتمع كان إلى وقت قريب يوصف بالمحافظ، مستدركا في مقدمته بالدعوة إلى ضرورة التمسك بما ورثناه من أخلاق وعادات وتقاليد، دون أن ينسى الأخذ بالأسباب، وقد بين لنا المحقق في هذه المقدمة أهمية المخطوط الذي هو بصدد تحقيقه

1 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص 7-13.

2 - نفسه: ص 16.

3 - نفسه: ص 20-41.

ووصفه بالكنز الثمين، لأن مؤلفه سجل فيه كثيرا من حياة العلماء والصالحين بأرض توات، كما لم يفته الإشارة إلى ما أضافه من تحقيق للمنقولات وترتيب لأبوابه، وما لزمه من تقاريط ومقدمات، وكيف أنه اعتمد في دراسته التحقيقية هذه على ثلاث نسخ لمخطوط الكتاب، "...وقد اعتمدت في تحقيقه على ثلاث نسخ، نسختين مخطوطتين إحداهما عثرنا عليها في مكتبة المخطوطات الموجودة بقرية كسام من قرى تيمي والثانية وجدتها بدار والدي بمراكش كتبت بإملائه ونسخة أخرى مكتوبة بالآلة الراقنة كتبها تلامذته..."¹.

مقدمة المؤلف:

كما جرت به العادة عند المتقدمين من علماء المسلمين، بدأ الشيخ مولاي أحمد الطاهري مخطوطه بالبسملة والحمدلة، مستعين بالله متبرءا من الحول والقوة إلا إليه، متوكلا على الخالق المعبود فيما سيقدم عليه، مصليا على سيد المخلوقات وإمام المرسلين وعلى آله.

متحدثا عن عباد الله الصالحين، ممن خصهم الله بكراماته ما ظهر منها وما بطن، حتى شهد لهم العام والخاص وأقروا لهم بالولاية، التي لا ينكرها إلا أعمى البصيرة، الخارج عن السنة والجماعة، إلى عقيدة أهل البدع والإعتزال والضلالة.

تحدث الشيخ مولاي أحمد عن دخوله أرض توات، قادمًا إليها كما سبق وأن ذكرنا من تمبكتوا دون سابق علم بها، وطاب له المقام لما وجدته من طيبة وحفاوة أهلها وحسن مقام، وما اشتملت عليه من أولياء صالحين تقاة أحياء وأموات "...ثم إنه لما ساقطني الأقدار إلى أرض توات... ووجدت بها ضالتي المنشودة... فكسرت بها عصي الترحال... وطاب لنا بها المقام..."²، الشيء الذي ساعده وشجعه على تأسيس مدرسته الدينية كقلعة من قلاع الجهاد، ضد الجهل وسياسة الطمس والتنصير الاستعمارية الفرنسية؛ الشيء الذي جر عليه سخط الإدارة الاستعمارية بالمنطقة، فيذكر في هذه المقدمة ما تعرض له من مضايقات واستفزازات من القيادة العسكرية

1 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص 48.

2 - نفسه: ص 51.

الفرنسية الحاكمة، مما دفعه إلى مغادرة البلاد إلى أرض الحجاز ومنها إلى المغرب، وفيها شعر بالحنين إلى ديار توات وأهلها الطيبين وما جاورها من الجهات، فكان ذلك سبب من الأسباب الرئيسية التي دفعته إلى كتابة هذا المخطوط، رغبت منه في المساهمة في التعريف بهذه المنطقة وأهلها والصالحين والأولياء فيها "... ورجعت إلى المغرب وأقمت به وأشواق تلك الأقطار والساكين بها من أبنائنا الصليبيين والقلبيين لا تكاد تفارق قلبي... خطر بيالي أن أكتب نبذة ولو قليلة حول تلك الأرض الطيبة المباركة... وسميتها (نسيم النفحات، من أخبار توات، ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات)..."¹، في الوقت نفسه ألتمس الشيخ من خلال مقدمته العذر المسبق من المطلعين على الكتاب والدارسين، فيما يمكن أن يبدو لهم من تقصير أو سوء فهم، مؤكداً على عدم الاختصاص في هذا الفن من العلوم، وفي غياب المصادر والمراجع التي يمكنه العودة إليها للتدقيق والتصحيح، رغم حصوله على معلومات مفادها أن الاستعمار الفرنسي بعد استيلائه على المنطقة كان قد صادر الكتب المهمة بتاريخ المنطقة، وذكر منها على الخصوص البسيط في أخبار تمنطيط²، مشيراً إلى ضرورة النظر للكتاب كمصدر من مصادر المعرفة النافعة لطلبة العلم، بعيد عن تصيد الزلات والأخطاء شاكرًا الصنيع معترفاً بالجميل.

وبالنسبة للنقد، لم يرى الكاتب بداً في ذلك مع مراعاة القواعد الموضوعية لهذا العلم، الذي يعتبر سر تقدم العلوم وتطورها، في حالة ما إن أستغل الاستغلال الأمثل بعيداً عن القدح والتهديم المغرض، الذي لا يخدم البحث العلمي في شيء بقدر ما يضره ويحط من معنويات المشتغلين به دون فائدة.

فقد أكد الشيخ على منهجه في كتابته لهذه النبذة، بالتحري الجاد، والمصدر الموثوق من الرجال الصادقين والعلماء العارفين، إقتداءً بمؤسس علم العمران البشري ابن خلدون³، مبدي رغبتة في

1 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص52.

2 - محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج، الجزائر: 1977م.

3 - ابن خلدون: هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، من أسرة هجرت من الأندلس إلى تونس في أواسط المئة السابعة، ولد في غرة رمضان عام 732هـ الموافق 27 ايار 1332م بتونس ونشأ بها وأخذ العلوم عن مشايخها على غرار أبوعبد الله محمد بن عبد السلام الهواري، تولى التعليم والقضاء، ودرس على يديه جملة من العلماء منهم ابن حجر =

آخر المقدمة أن يعود عليه هذا العمل بخير الدارين، وينفع به كل مرید جادا في البحث العلمي، ويكون مخطوطه وعاء معرفي دون فيه ما كان جدير بالتدوين مما كان عليه الأخيار والزعماء من الأجداد والفضائل.

مدخل إلى الكتاب:

ساق لنا الشيخ مولاي أحمد في مدخل كتابه جملة من الأحاديث النبوية التي تشجع على فعل الخير والاستثمار فيه، معتبرا ما يقوم به العلماء من نشر للعلم وتأليف الكتب طلبا للثواب وامتداد الأجر والذكر والعمل الصالح يندرج في هذا الإطار، وفضل من ترك علما ينتفع به ودل على الهدى وحذر من الضلال، يناله ثواب أو إثم من عمل به لا ينقصه شيئا حسب طبيعته.

وقد تحدث الشيخ في جزئية من كتابه عن فضل محبة الصالحين، وحجم الترغيب في ذلك من رسول الله ﷺ والتابعين، والمكانة التي يحظى بها المحب لهم نظير ذلك لدرجة إن المرء يحشر مع من أحب.

نفس الحكم يجري على الإيمان بالولاية وما يتبعها من كرامات، فقد أستشهد بكثير من الآيات القرآنية لدلالة على الولاية التي أخص الله بها حسب ما توصل إليه من نتائج العلماء العاملين وحفظ القرآن الذين جعل الله قلوبهم أوعية لكتابه ما التزموا بما حملوه، وهي بذلك منية كل عارف بالله مواظب على طاعته مجتنب لمعاصيه الزاهد في الدنيا ولدئذها.

وأردف في جانب الكرامات يؤكد على إنها فضل من الله يؤتیه من يشاء من عباده، وهي الخوارق من الأمور التي يبيديها بعض من عباد الله، وقد فصل فيها حسب من صدرت منه :

(فإن صدر من نبي بعد نبوته فمعجزة، وإن صدر من نبي قبل نبوته فأرهاب)، (وإن صدر من ولي فكرامة)، (وإن صدر من عامة المؤمنين فمعونة)، (وإن صدر من فاسق أو فاجر فاستدراج إن وافق مراده، وإن صدر من فاسق ولم يوافق مراده فإهانة).

=العسقلاني والبخاري وغيرهم، توفي رحمه الله سنة 808هـ تاركا ورائه عديد التأليف. ينظر : سعيد مجد رعد: موجز كتاب العمران، د.م، د.س، 1981م، ص ص 40-50.

وقد نفى أن يكون السحر يدخل في جملة الكرامات مع اختلاف، رغم إقراره بوجوده كتابا وسنة، والكرامات جائزة عقلا ونقلا لأنها ليست مستحيلة في قدرة الله تعالى، ولا تنقطع بموت صاحبها لأن النفس أنقى من الأكدار بعد الموت، وقد كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة لأنها تكون على أساس الحاجة لا بحسب درجة الولاية.

توات موطن العلم والولاية والصلاح :

يؤكد لنا الشيخ في هذا الباب؛ حسب ما ورد في العنونة التبويبية للمخطوط، قيمة الحديث عن أرض توات وأهلها لما حازته من السبق العلمي وما بها من الأولياء والصالحين، والمكانة التي يتبوؤها أهل العلم والصلاح اجتماعيا وفكريا وروحيا وتوجيهيا، الشيء الذي انعكس على المظهر العام للسكان بتدينهم الظاهر، فهم أهل أخلاق عالية لا يترددون في بذل كل ما بوسعهم في سبيل الله، فإكرام الضيف وحسن استقبال الزوار ميزتهم، ناهيك عن حبهم لأهل العلم وإجلالهم وتقديرهم وتعظيم شعائر الله، كما لا يخفى حبهم للرسول ﷺ وآلي بيته الأطهار ومن سار على دربه من أئمة الدين، هذا وقد عدد الشيخ وأطنب في وصف أهل توات بخصال جمّة ترتقي بهم لمصاف الأخيار، ولا نرى في ذلك غلوا ولا مبالغة فهوا عاش بينهم حين من الدهر في السراء والضراء وعرف كل صغيرة وكبيرة عنهم، وصار إلى مقام الأمر الناهي فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وما تعارفوا عليه ولم يخالف الدين في شيء، فكان معلمهم ومرشدهم إلى طريق الحق المتين فقصده لفهم ما أشكل عليهم في أمور دينهم وديناهم، واحتكموا إليه في خلافاتهم ومنازعاتهم، وهذا الأمر مازال باديا في المجتمع التواتي مما يدل على إنه أمرا متجدرا فيهم، فلم يأتي وصف الشيخ مولاي أحمد للمجتمع التواتي مخالف لما هو متعارف عنهم فمازال لكبير الناس كلمته وسلطانه ووقاره، ولأهل العلم والصلاح مكانتهم، ولأل البيت حرمتهم وقدرهم الكامل، هذه الخصال يقول الشيخ مولاي أحمد من شأنها جلب الخيرات لهذه الربوع ودوام الستر والنعم.

من مظاهر محبة الصالحين لدى أهل توات:

البساطة التي تميز أهل توات في مناحي حياتهم تبدوا بجلاء في طبائعهم السلوكية وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، وهي مازالت صامدة إلى اليوم بسبب تمسكهم بذلك إلى حد التقديس، فلم يؤثر الاستعمار الذي إستولى على بلدان توات في مطلع القرن العشرين على مورثهم الحضاري كثيرا رغم مشاريعه العديدة التي استهدفت البلاد في هويتها الوطنية، فقد ضل التواتيون متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم وخصوصيتهم الحضارية على النحو الذي ورثوه على أسلافهم، فاعتبرها الشيخ مولاي أحمد امتداد للقرون الأولى من الإسلام¹، فأهل توات يجلون أهل الفضل من العلماء والصالحين في الحياة؛ توقيرا واحتراما وتواضعا وإكراما، ويوفون لهم في الممات بالإحسان لأولادهم وأهاليهم وأحبائهم، لدرجة إقامة مزارات لهم يتذكرون من خلالها كراماتهم ويشيدون بمجهوداتهم العلمية والإصلاحية، وختم القرآن على أرواحهم ودعاء في حضرتهم لهم بالرحمة والمغفرة والثواب وللأحياء بالصلاح والثبات على ما تركوه فيهم من تعاليم كتاب الله وسنة رسوله والصالحين من بعده، ولم يخفي الشيخ مولاي أحمد وقوفه على بعض العادات المخالفة لدين الله الحنيف²؛ الناتجة عن غياب المعرفة الصحيحة بتعاليم الدين الإسلامي والجهل بها، وقد يكون للإرساليات والبعثات التبشيرية والتنصيرية يدا في ذلك، وهي بصدد التقويم من علماء الأمة حسب الحالة.

إقامتنا في أرض توات وسبب مغادرتنا لها:

يتعرض في هذا الباب إلى الظروف المحيطة بتواجده بأرض توات، واصفا أياها بأطيب العيش وأرغده مما ساعده على الإقامة بقصر العلوشية بسالي وتأسيس مدرسته الدينية لتعليم كتاب الله وسنة رسوله لأبناء الجزائر من المسلمين في هذه الربوع الطيبة، لكونه وافقت هواه وكانت عند حسن توقعه كما كان هو عند حسن ظنهم فيه، فتوافقت الرغبات وتوحدت الغايات من أجل صالح المسلمين، وقام على هذا الحال كما يذكر والطلبة يوفدون على مدرسته من كل حدبا وصوب كلا وغاياته، فمنهم من يقصد المدرسة للتعلم ومنهم من يقصدها للإفتاء والتبرك، وهكذا

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص 89.

2 - نفسه: ص 90.

صار الحال وأصبح الشيخ سيد الموقف في سالي وما جاورها من الجهات، الكل منقادا إلى أوامره عاملا بنصائحه فكان بحمد الله وقوته المعلم والمرشد والموجه للمجتمع، وأصبحت المدرسة القرآنية الطاهرية العتيقة محور المجتمع بسالي وتوات، لها ثقلها ووزنها السياسي والاجتماعي والإصلاحي والتربوي التعليمي، أستطاع من خلالها تصحيح عديد المفاهيم المغلوطة عن الدين الإسلامي والتصدي للمشاريع التضليلية للإدارة الفرنسية، مما انعكس على علاقته مع إدارة المحتل التي رأت فيه خطر على تواجدتها خصوصا بعد اندلاع الثورة التحريرية وبداية وصول صداها المنطقة، ونظرا لمواقف الشيخ مولاي أحمد البطولية في مواجهة مشروع فصل الصحراء الذي رأت فرنسا في رجال الدين طريقها إلى تجسيده، وهذا ما يبدو من خلال وقوع اختيارها على عراب المشروع "مُجَّد محمود بن الشيخ" قاضي تمبكتوا صاحب أزواد¹، الذي وضعوا تحت تصرفه كل الإمكانيات الضرورية وربطوه رأسا بالقيادة العامة، وراح يجوب المستعمرات الفرنسية المعنية بالمشروع من دكاكار إلى باماكو والجزائر وباريس، وقد تحدث الشيخ مولاي أحمد بالتفصيل عن هذه المهمة التي كان جزء منها بأمر من الحاكم العسكري برقان القاضي بمرافقة مُجَّد محمود في رحلته عبر قصور توات لجلس نبض قيادتها وأعيانها والتسويق للمشروع، بعدما نال موافقة غالبية بلاد تينبكتو والحوض وأزواد والطوارق وكثيرا من أهل الحل والعقد الصحراويين²، وفي توات وقع إختيار مُجَّد محمود بن الشيخ وإدارة الاستعمار الفرنسي على الشيخ مولاي أحمد ليرافقهم في رحلتهم التحسيسية للمشروع عبر قصور توات ومناطقه، بالنظر لما يحوزه الشيخ مولاي أحمد من تقدير واحترام في البلاد التواتية أعيانا ومشايخ ومجتمع، ورغم تحجج الشيخ بالمرض إلا أن القائد العسكري لرقان أكد له إن الأمر غير قابل للنقاش كونه صادر من جهات عليا ولا بد من تنفيذه، ورب ضارة نافعة فقد كان لوجود الشيخ ضمن الوفد التحسيسية انعكاس إيجابي جنب البلاد والعباد الوقوع في شيراك فرنسا الاستعمارية، من خلال إبداء التأييد والنصح والمشورة فيما يخدم المشروع الانفصالي الاستعماري في العلن، وتبيان مغبة الوقوع في مغالطات المحتل ومؤيديه الرامية إلى تقطيع أوصل الأرض الواحدة والشعب الواحد، فعرف المشروع الانفصالي الفرنسي فشل زريع بسبب رفض الأعيان والمشايخ

1 - الشيخ مولاي أحمد: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص93.

2 - نفسه: ص94.

والسكان له جملة وتفصيلا، فقد كانت فكرة الشيخ مولاي أحمد القاضي بتعريف الناس بالمشروع قبل التوقيع عليه مقبولة من الإدارة الفرنسية، ونفس الشيء يقال عن فكرة الحاج أحمد بن الحاج قاسم ممثل أعيان أدرار بضرورة ترجمة الوثيقة للعربية قبل توقيعها نالت استحسان الوفد الفرنسي الذي رأى في ذلك موافقة ضمنية على المشروع، وبعدها طالت عملية التوقيع واتضح للفرنسيين إن أعيان توات يماطلون لربح الوقت ليس إلا، توصلوا من خلال تحرياتهم أن الشيخ مولاي أحمد الطاهري هو من يقف وراء فشل المشروع الشيء الذي أنجر عنه ردة فعل عنيفة من إدارة المحتل برقان، الذي قام قائدها العسكري بمهاجمة المدرسة وحصارها واعتقال الشيخ بعدما قام بعملية تفتيش واسعة لم تستثن حتى الطالبة وما بها من مخطوطات وكتب، واقتيدا الشيخ مولاي أحمد لمدينة رقان للتحقيق معه، وأتهم بالتواطؤ مع جبهة التحرير وتحريض السكان على التمرد والعصيان وتم توقيفه لساعات في حر الشمس المحرقة وعن ملاقاه من الإهانة وكيل له من الشتائم لا تسأل¹، وصادف ذلك تحضيره للذهاب إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج (1378هـ - 1958م) فكانت فرصة للتخلص من مضايقات الإدارة الاستعمارية وتجنيب أبناء الجزائر من المتدربين تشويش المستعمر على تحصيلهم العلمي، وسد الذرائع أمام فرنسا الاستعمارية من غلق المدرسة ومنع مزاولة التعليم الأصلي في المنطقة، وكيف قدر الله له بعدما نوى الإقامة بالحرمين الشريفين أن يلتقي القائم بالسفارة المغربية الذي رغبه في العودة إلى المغرب، لحاجتها الملحة لأمثاله من العلماء وهي بصدد بناء الدولة الوطنية المستقلة حديثا عن الاستعمار الفرنسي، وكذا كان توجهه إلى المملكة المغربية ليواصل رسالة آبائه وأجداده من خلال مدرستهم الدينية بأولاد عبد المولى ناحية شفشاون بمراكش عام (1379هـ - 1959م)، ثم أنتدب للتدريس بالجامعة اليوسفية بمراكش عام (1380هـ - 1960م)، وبعد استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي راسل الشيخ مولاي أحمد الطاهري أعيان المنطقة مهنتا الشعب الجزائري على بلوغه مراده بتخلصه

1 - مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات، المرجع السابق، ص98.

من المحتمل، وناصحا الجميع بضرورة اليقظة وأخذ الحيطة والحذر من دسائس الاستعمار في هذه الفترة الحساسة¹.

التعريف بتوات:

عرف في هذا الباب بتوات التي وصفها بالسباخ الكثيرة الرمال والرياح القليلة الجبال والأشجار، حرارتها مفرطة مما ينعكس على محيطها الطبيعي الذي يكاد ينعدم به الغطاء النباتي إلا من النخيل وبعض الأشجار، بها نظام للري يستخرج به الماء من باطن الأرض بطريقة عجيبة ويوزع بطريقة أعجب يعرف بالفقارة.

سبب تسميتها بتوات :

سميت توات بهذا الاسم حسب ما أورده الشيخ في هذا الباب لأنها تواتي من يريد الإنقطاع لعبادة الله بعيدا عن مغريات الحياة الدنيا، ولهذا السبب نجد أن العديد من العلماء العاملين الثقات لجؤا إليها بغية التقرب إلى الله وهروبا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما أشار إلى الفرضية القائلة بإمكانية اشتقاق اسم توات من الأتوات والمكوس، ونجده يتفق في هذا مع بعض المصادر التي تحدثت عن ذلك.

سكان أرض توات:

قسم الشيخ مولاي أحمد في بابه هذا سكان أراضي توات إلى أربعة أقسام : الشرفاء، والعرب، والمرابطين، والموالي، وأكد على وجودها في غالب الأحيان في كل قصر يتكلمون باللسان الدارج العربي ويدينون بالإسلام على العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والطريقة الجنيديية جميعهم، هذه العوامل ساعدتهم في رص صفوفهم وقلة خلافاتهم، سكان توات وبسبب الحرارة المفرطة تتميز بشرتهم بلون السمرة إلا قليل منهم، تميزهم في حياتهم عادات وتقاليد عن باقي الشعوب الأخرى، ورغم قلة جبالها نجد إن سكان أرض توات لهم قصور عالية فوق تلك المرتفعات وكهوف منحوتة

1 - ينظر : رسالة الشيخ مولاي أحمد لأعيان رقان، الملحق رقم 20.

لأصحابها يؤون إليها من الحر، وهذه القصور محاطة بخندق عميق يدخل في الخطة الدفاعية لكل قصر ضد الغزات، من العادات المتوارثة بينهم إكرام الضيف فلا يجد المسافر بينهم مشكل في الإيواء والإطعام طوال تواجده حتى وسيلة تنقله من دواب، لأن عديد القصور بها دار زاوية مخصصة لذلك وإن لم توجد فيها عادة النوبة، ولهذه الزوايا أوقاف تساعد على تمويلها وتوفير الحاجيات الضرورية المساعدة على القيام بمثل هذه المهمة، أهل توات يغلب عليهم طابع البساطة وهم محافظون حريصون على صلاة الجماعة ويغلب عليهم التيمم للصلاة بسبب أن ماء بعض القصور معل، محبتهم ظاهرة للأولياء والصالحين في محياهم ومماتهم، وذلك دئبهم مع آل البيت النبوي الشريف الذين لا يقدم عليهم شيء في مناسبات الأفراح والأقراح كيفما كانوا، وللتمر مكانة أساسية في قوت يومهم فلا يمكن الاستغناء عنه في مختلف الفصول وحسب الحالة يؤكل تمرا رطبا في فصله أو مهروس أو مبطن في باقي الفصول، يمارس سكان توات تجارتهم نحو السودان الفرنسي من بلدان الساحل الإفريقي محملين بالتمر والتبغ والزراي مقابل جلب الغنم والسمن والدهون وغيرها من المنتجات المتوفرة هناك.

حدود توات وضواحيها:

في هذا الباب حدد الشيخ مولاي أحمد الحيز الجغرافي الذي تتربع عليه أرض توات، فقد حدد إنها تبتدىء من الناحية الشرقية الجنوبية بقصور أقبلي وتيط وإنغر وعين صالح وفقارة الزوى وفقارة العرب والساهلة، ومن جهة الشمال الشرقي تبتدىء الصحراء الواقعة بين المنبعة وتيميمون، ومن الشمال تمتد مروراً بالولي الصالح سيد الحاج بوئجد فاتحا وسيدي منصور بكركور وتبلكوزة، إلى زاوية سيدي مؤجد عريان الراس مروراً بالقصابي وبن طلحة أحد قصور الهبللة وأسبع فبودة غربا وتسفاوت وتمادين من الجنوب الغربي، ثم زاوية الرقاني جنوبا، وعبر قصر "الان" قسبة مولاي هبية باب توات من الجهة الشرقية.

كما جاء على ذكر ما يحيط بتوات من الجهات على غرار صحراء المنبعة ومثليي وورقلة من الجهة الشمالية الشرقية، متحدثا عن قبائلها وما يميزهم من الكرم والشهامة وحب وإجلال العلم وأهله وكيف يتسابقون في الخيرات وما أظهوره من الفتوة والشجاعة في فترة الثورة التحريرية وخص

بالذكر سكان متليلي وذكر عدد من أعيان كل بلدة وعلمائها ووجهائها، ولم يقفز في الحديث عن اختلاف مذاهبهم بين المالكية والإباضية، كما تتصل بتوات من جهة شمالها الغربي صحراء الساورة بداية من زاوية كرزاز.

توات من الجهة الشرقية الجنوبية:

يتحدث في هذا الباب عن جملة من القصور التي تقابلك في رحلتك إلى أراضي توات قادمًا إليها من المنيعَة إلى الجهة الجنوبية الشرقية، وتبدأ من، عين بلبال، مطريون، الساهلة، حاسي الحجر، فقارة العرب وفقارة الزوى، إيقسطن، ومدينة عين صالح، وأشار إلى بلاد الهقار وقاعدته تمراسْت، ثم إينغر، وتيط، ومدينة أولف، وأقبلي، واقفا عند أهم بيوتاتهم العلمية ووجهاتهم من مختلف الفئآت.

الكتلة العمرانية الكبرى من توات :

وهي سلسلة القصور التواتية المحصورة بين قصر تاوريرت جنوبًا إلى تيلكوزة شمالًا في شكل أرخبيل من الواحات المأهولة بالسكان، وقد كان قصر تاوريرت أول محطة للشيخ مولاي أحمد بأراضي توات قادمًا من بلاد الساحل الإفريقي عام (1359هـ - 1940م)، مشيدًا بخصال أهلها من جودا وكرما وشجاعة، وبعض سكانها من عرب أقدوع وهم أخوال الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، وإلى جانب هذه البلدة أطلال قصر زرافيل، ثم يأتي قصر تينولاف من جهتها الشمالية أعتبرها باب توات على بلدان السودان الفرنسي وهي مركز حكومي ومحطة عبور للقوافل من وإلى بلاد الساحل الإفريقي، يليها قصر تاعرابت وزاوية الولي الصالح سيدي مولاي عبد الله الرقاني؛ حيث عرف به وبنسبه وحسبه وماله من أفضال وكرامات بارزة مازالت تبدوا في زريته إلى اليوم، وذكر بزيارتهم السنوية الموافقة لـ 18 من أبريل بالتقويم الفلاحي 01 من شهر ماي بالتقويم الميلادي التي تشد لها الرحال من جميع الجهات، وأتى على ذكر قرية تماندين، النفيس، آيت المسعود، آنزقوف، الزوية (زاوية الحشف)، المستور، باحو، ميمون، بريش، قسبة الحاج مبارك (بريش

التحتاني)، تينورت، ليصل إلى الحديث عن سالي التي أفرد لها باب كامل لما لها من أهمية في مسار حياته العلمية والإصلاحية.

التعريف بسكان سالي، أصحاب المقام العالي، من شرفاء ومرابطين وعرب وموالي:

في هذا الباب المقتضب عن سالي وما اشتمل عليه من القصور الاثني عشر يتحدثنا الشيخ مولاي أحمد عن أقدم هذه القصور المنضوية تحت تسمية سالي، ألا وهو قصر المنصور الذي يسكنه بعض البرامكة القادمين من العراق بعد نكبة البرامكة سنة 187هـ، وجاء فيه على ذكر خصال البرامكة ووصفهم بأهل الوجاهة والسلطان، وعن كرمهم يشهد الخاص والعام، وإن هذا القصر كان يسكنه قبائل زناتة وصنهاجة وغيرهم من الموالي والجعفرين والمرابطين الأخيار، المنحدرين من زرية الولي الصالح سيدي الشيخ، ودائما في سياق الحديث عن سالي ذكرا قصر المحارزة وقصر مولاي العربي ومولاي عبد الواحد وقصر الجديد وقصبة باب الله وقصبة الجنة والعلوشية وما بهذه القصور من شرفاء مبينا نسبهم وتفرعهم وأماكن تواجدهم في كل ربوع توات ومن أشتهر منهم بالولاية والاصطفاء في مجال العلم والصلاح والتسابق في الخيرات ومن يقيم معهم من باقي الفيئات، وكلهم على قلب رجل واحد أشرفا ومرابطين وعرب وموالي يشد بعضهم بعضا في السراء والضراء، وتحدث في جزئية من هذا الباب عن قدومه لسالي وكيف طاب له المقام بقصر العلوشية ومالقيه من إجلال وتقدير، رغم إن المقادير ساقته دون معرفة سابقة فوجد في أهلها العز والكرم والبر والعطف والإحسان، وتأسيسه للمدرسة الدينية للتعليم الديني في أول الأمر قبل ما يستقر به المقام في المقر الحالي للمدرسة غير بعيدا عن الأولى بين العلوشية وقصر سيد الشريف هبة من أحد تلامذته النبلاء الشريف مولاي مبارك بن مولاي عبد الرحمن صاحب زاوية المحارزة وقصة بنائها من آل السي حموا ووقوفهم على متطلباتها، إلى غاية تمكن الزاوية من خلق موارد مالية خاصة بما سمحت لها بالإكتفاء الذاتي وما جادت به سواعد المحسنين من أهل توات ومن جاورهم، مشيدا ب آل السي حموا وسكان العلوشية من الأشراف وكل من ساهم في إشعاع هذه المدرسة مهيبا بهم ضرورة الوقوف بجانبها وإعانتها بما يستطيعون، لأنها عنوان عزمهم وسبيل قدرهم وعلوا مكانتهم.

ويواصل الحديث عن باقي قصور توات من الجهة الشمالية لقصور سالي قصر تيلولين، وتيطاوين، وزاوية بلال، والخلفي، أغزير، وتيدماين، وأنزجير، وبوانجي، وأغرماملال، وبوعلي، وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي¹، الذي جاء على ذكر جوانب من حياة شيخها ومآثره وقصته مع اليهود، مشيراً إلى قصر تازولت وتاخيفت، مسهبا في ذكر بعض التفاصيل عن زاوية كنتة وما بها من العلماء العاملين العابدين ومكنتها المليئة بالكتب النادرة وطيبة أهلها وعلو هممهم، وعن قصر المناصير وقصتها، وأولاد الحاج، وبوحامد، وزاقلو وتوررين ومكيد وأغيل، وإكيس، وتيطاف وغرميانو، وقصر الأحمر والجديد وباعمور وسيدي يوسف، وزاوية سيدي عبد القادر الكنتي ومكرة والمنصور، وقصر عزي ومن دفن بها من العلماء على غرار الولي الصالح سيدي عبد الله العصنوني (ت 914هـ)²، وقصر ودغاء وعباني، وقصر تاسفاوت التي بها مدرسة الشيخ مولاي أحمد الثانية ويتولها الشيخ سيد الحبيب بن مولاي عبد الرحمن القايد خليفته الثاني، مشيراً إلى نوم الناس وبوفادي وتمنيط، وفي السياق ذاته يأتي على ذكر قصر تمنيط وجذوره التاريخية ومكانته العلمية والإدارية والاجتماعية والإقتصادية وما صارت عليه بعد ما أجلى الشيخ بن عبد الكريم

1 - الشيخ بن عبد الكريم المغيلي: من مواليد مغيلي بتلمسان عام 820هـ الموافق 1417م، بدأ تعليمه على يد علماء تلمسان ثم شد الرحال إلى حاضرة بجاية فالجزائر العاصمة عند العالم الجليل سيدي عبد الرحمن الثعالبي، كما أخذ العلم على يد الشيخ يحيى بن يدير التادلسي، حل بتوات عند أولاد يعقوب بتمنيط عام 882هـ الموافق 1478م واختلف مع القاضي العصنوني حول بيع اليهود وراسلوا في ذلك علماء فاس وتلمسان وتونس، فوافقهم البعض وخالفهم البعض الآخر، تنقل بين بلدان السودان معلماً ومصلحاً حتى استقر به المقام بقصر بوعلي بمنطقة توات الوسطى، التي اقام بها زاويته الماثلة هناك، توفي رحمه الله سنة 909هـ الموافق 1504م خلفاً عديداً التأليف نذكر منها: البدر المنير في علوم التفسير، فتح الوهاب، فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار (رسالة في اليهود)، مغني النبيل في شرح مختصر خليل، منح الوهاب في رد الفكر للصواب، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة. ينظر: عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 339 - 341.

2 - سيدي عبد الله العصنوني: من أشهر علماء توات وقضاتها نزل أرض توات رفقة عائلته قادماً من تلمسان بغرض نشر العلم وبجنا عن الأمن والاستقرار عام 862هـ الموافق 1458م، تولى مهمة القضاء عام 877هـ الموافق 1473م بعد وفاة شيخه يحيى بن يدير التادلسي، فسار في الناس بعدله وإحسانه، عرف عصره نازلت يهود توات الذي اختلف معه ونازعه في هدم بيع اليهود بتوات، وراسلوا في ذلك علماء فاس وتلمسان، فأيدهم البعض وخالفهم البعض الآخر، توفي رحمه الله سنة 914هـ الموافق 1508م. ينظر: عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 223.

المغلي اليهود عن أراضيها وكل توات، عندما أستقر بها أولاد الولي الصالح سيدي مُجَّد البكري وأصبحت منارة للعلم والصلاح، وقد أدرك الشيخ مولاي أحمد منهم الفقيه العالم سيدي أحمد بن ديدي صاحب المدرسة المشهورة التي تخرج منها فقهاء صالحون وعلماء ربانيون على غرار الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير الذي أفرد له وقفة خاصة به وبنسبه وفضله ومكانته، وقد تتلمذ على يد الشيخ مولاي أحمد من العائلة البكرية السيد أحمد بن مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري وكان عالما لا يشق له غبار، وغيرهم من سكان هذا القصر العتيق وما اشتمل عليه من قصور، وورد في هذا الباب ذكر قصر تيمي أحد مراكز توات ومحل الحل والعقد ومجتمع الحرب والسلم، الذي كان ينافس في القيادة عين صالح وتيميمون، وكانت مركز تجاري هام ومنار علمية بارزة من عائلة البلبالي وسيد عمر صاحب مهدية، وقد أجمل خصال أعيان وأهل تيمي التي كان يقصد بها كل القصور التي تنحصر بين المنصورية وملوكة وما عرفه عنهم من الصلاح والاستقامة والدود عن العلماء ونصرتهم عند الضرورة ومواقفهم البطولية اتجاه الإدارة الاستعمارية.

ولجهة الغرب من تيمي نجد قصور بودة الكثيرة العدد وما حازت عليه من العلماء والأولياء والصالحين العاملين، الأحياء منهم والأموات، وما زال الناس أوفياء لهم من خلال إقامة زيارات سنوية لهم يتذكرون من خلالها كراماتهم ويطلبون بركاتهم، وهي مقصد للناس من جميع الجهات، وشمال تيمي باتجاه تسابيت نجد قصر مراقن والقرارة، ثم سبع وما دفن به من الأولياء والصالحين، وصولا إلى تسابيت الذي حوى مجموعة من القصور المترامية الأطراف أهلة بالسكان ضاربة في القدم ذاكرا بعض فضلائها ووجهائها وأعيانها الكرام، ويليها قصر كبرتن والمطارفة التي شهدت معركة ملحمة للمقاومة الشعبية ضد جيوش الاستعمار الفرنسي في توسعهم نحو الجنوب الغربي في 30 أوت 1900م¹، ومنها بتجاه دلدول تجد قصور أولاد علي وأولاد راشد وأولاد محمود والساهلة وأوفران، وقد عرفت ناحية دلدول ب " زوا الدلدول " وتشمل عديد القصور منها إقسطن، والبركة، وتوكي، وأولاد عبد الصمد، وبدلدول زاوية كبيرة للمساكين والمحتاجين وعابري السبيل تملك أحباس وأوقاف كثيرة، كما ورد ذكر قصور أوقروت وما بها من الأشراف المتصل

¹ - عمورة بلبشير: مرجع سابق، ص 18.

نسبهم بالبيت النبوي، وقصور شروين وأجدير وطلمين العامرة بالسكان المتكلمين باللسان الزناتي، وباتجاه تميمون نجد أولاد عيسى وجنتور ثم تسفاوت.

وقد شمل الذكر في هذا الباب تميمون وضواحيها التي يقول عنها إنها من مراكز توات الكبيرة قصورها كثيرة ومتقاربة سكانها خليط من الأجناس بعضهم يتكلم اللسان العربي الدارج وبعضهم الزناتية، أشاد بأخلاقهم العالية واستقامتهم وحبهم وتعظيمهم لآلي النبي ﷺ، بها عديد الأضرحة لأولياء الله الصالحين يتنافسون على قراءة القرآن جماعة وفرادى فشملمهم الله بستره وعافيته وبركاته، فقد أعرب عن ما في قصر الوجدة بتميمون من الصالحين والأولياء من فاضت كراماتهم وعرفها الخاص والعام، وهناك قصر تاورسيت وبني مهلال وزاوية سيدي الحاج بلقاسم محب النبي صلى الله عليه وسلم الذي ملأت أنواره وأسراره وعلمه تلك الجهات، وعاود الحديث عن تميمون عاصمة قورارة ومركز عبور باتجاه المنبوعة بها عديد المزارات لأولياء الله الصالحين على غرار الشيخ بن آب الزموري ناظم العبقرى في السهو في الصلاة، الذي وضع عليه الشيخ مولاي أحمد شرحا بإسم "العقد الجوهري على النظم المسمى بالعبقرى"، وبتميمون سوق تجارية كبيرة وتسكنها كما قلنا قبائل مختلفة الألسن أثنى على أعيانهم وعامتهم لما أبدوه من محبة وإخلاص وتنافس في فعل الخيرات، وقريبا من تميمون شمالا نجد قصر ماسين وأعلاملال وبادريان ويغزر، ومن هذه القصور لجهة الغروب الحاج قلمان وأولاد سعيد وبها ضريح السيدة زينب بنت سيدي عبد الرحمن الثعالبي¹ زوجة الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي، وقصر كالي وأغلاد وتالة.

1 - سيدي عبد الرحمن الثعالبي : من مواليد عام 786هـ الموافق 1384م بيسر ولاية بومرداس، من أسرة علمية، بدأ تعليمه على يد علماء منطقته ثم قصد الجزائر العاصمة لإتمام تعليمه، ثم بدأ في رحلة علمية بدأها بالمغرب القصى وبجاية وتونس عام 1406م ثم مصر عام 1414م ثم تركيا والحجاز، إلى أن عاد إلى بلاده الجزائر واستقر به المقام بمسجدها الأعظم، تتلمذ على يديه عديد العلماء على غرار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، له تأليف غزيرة دالة على رسوخه العلمي ذكرها في فهرسته المسماة "بغية الوافد وبغية الطالب الماجد" التي تضمنت أسانيد العلمة، ومن مؤلفاته الأخرى : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وروضة الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة، وروضة الأنوار في معجزات المختار، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي وغيرها، توفي رحمه الله سنة 875هـ الموافق 1471م. ينظر : حفيظة بوراس: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وجهوده في خدمة السنة النبوية المطهرة، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإسلامية ، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1428 هـ / 2008 م، ص25.

وعلى مسافة من تميمون شمالا ذاكرا زاوية الدباغ وما جاورها من الجهات ولم يترك شاردة ولا واردة تعبر عن خصالهم وأخلاقهم ومميزاتهم إلا ساقها وعبر عنها بأمانة وإخلاص، مؤكدا على الدور الكبير الذي قاموا به في الثورة التحريرية ضد المستعمر الفرنسي وما قدمته هذه الجهة من قربان على مذبح الحرية نحتسبهم عند الله شهداء إن شاء الله، وقد أعتذر عن عدم ذكر كثير من العلماء والأولياء العاملين الثقات لعدم تمكنه من الحصول على معلومات كافية عنهم ولقلة المراجع، وبذلك يكون قد وضع خريطة طريق لمن يريد اقتفاء الأثر والنسج على منواله و البحث في تاريخ توات وإتمام العمل الذي يراه نقطة البداية فقط.

وفي الباب الموالي يذكر فيه الشيخ مولاي أحمد الطاهري بعض المسائل المتعلقة بالانتساب لآل البيت النبوي الشريف وثبوتهم، ويواصل متما بعض المسائل التي تتعلق بالشرف والتي بدأها سابقا وكانت تتخللها بعض المداخلات الفقهية وتكلم فيه كذلك عن الحسن بن علي وأولاده ومنهم الأدراسة وتأسيس دولتهم بالمغرب ونسبته إليهم.

5- الخاتمة :

وفي الأخير يتبين لنا أن الشيخ إقتفى أثر السابقين من المؤرخين والعلماء الذين كانوا يكتبون حوصلة حول رحلاتهم ونشاطاتهم وما رأوه في حياتهم، ولأن الشيخ تأثر كثيراً بمنطقة توات خاصة بعد اضطراره لمغادرتها إرتدى أن يكتب تاريخا وحوصلة عنها ليستفيد من يأتي بعده وتمهيد الطريق للباحثين في هذا المجال حيث يعتبر مؤلفه هذا من أبرز ما كتب عن المنطقة خاصة والصحراء الجزائرية عامة، وقد نجد في العمل الذي قام به نجله وخليفته على مدرسته بسالي الشيخ مولاي عبد الله الطاهري بتحقيقه للمخطوط وإخراجه في هذه الحلة المزيدة والمنقحة، فعل علمي جاد يعكس حرص الشيخ مولاي عبد الله على تعميم نفع هذا المخطوط وجعله في متناول الباحثين والمهتمين بالتاريخ المعاصر لتوات وما جاورها من الجهات، وهو بذلك يكون قد حقق رغبة الشيخ مولاي أحمد بأن يكون هذا العمل أرضية وخريطة طريق لمن يرغب في إقتفاء موروث توات العلمي والفكري والاجتماعي والثقافي عبر الأجيال، وما لحظناه ووقفنا عليه من خلال قراءتنا لهذا المؤلف أنه موسوعة عن أخبار توات ومن بها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين الثقات.

من خلال وقوفنا عند أهم إنتاج الشيخ مولاي أحمد الطاهري العلمي، يتضح لنا بجلاء المقدرة والملكة التي يتمتع بها الشيخ في مجال التأليف بالإضافة إلى ما يميزه كرجل علم وإصلاح، فيبدو أنه لم يكن يجد صعوبة في ما يكتبه نظرا لتبحره في مجالات علمية وألوان فنية شتى سمحت له بامتلاك ناصية الكتابة، وإرتقى في هذا الفعل إلى درجة السهل الممتنع، ففي مجال مؤلفاته المتعلقة بمجاله التعليمي نجده يحيط بالمسائل من كل جانب، بتوظيفه للعقل والمنطق إلى جانب النقل مع إعادة كل رأي لأصله، كما هو الحال في الطرق الأكاديمية للدراسات الحديثة، بالمقابل نجده وجد صعوبة في التأصيل لمصادر معلوماته في كتابه التاريخي "نسيم النفحات"، وقد يكون ذلك عمدا إذا أمعنا في فهم ما قاله عن غياب الكتب التي تناولت تاريخ توات أو لم يتمكن من الوصول إليها، واعتماده على المشافهة والسماع من الثقات مع إخضاعه المعلومات المتحصل عليها لمسطرة الجرح والتعديل، وفي ذلك عمل مؤرخ متمكن عارف بقواعد الكتابات التاريخية وما يمكن أن يقع فيه المؤرخ من الحيف والزور والتلبيس.

خاتمة

خاتمة

قد نجد أن البحث في تراجم وسير الشخصيات له مميزات خاصة، ما بالك لو كانت هذه الشخصيات محورية في مجتمعاتها وصبغته بطابعها الخاص، على غرار الشيخ مولاي أحمد الطاهري والشيخ سيدي محمد بلكبير رحمهما الله، فلا نبالغ إذا ما قلنا إن المجتمع في توات يعتبر الشيخين شفرته التحصينية وبطاقة هويته، الشيء الذي جعل من البحث يخرج بعدد من النتائج التي رأينا فيها مهمة تتمثل في ما يلي :

- البيئة العلمية العائلية للشيخين لها دور مهم في التوجه العلمي لهما، فالشيخ مولاي أحمد الطاهري كان أبوه صاحب مدرسة وأخوه من كبار علماء مراكش، نفس الشيء يمكن قوله عن الشيخ سيدي محمد بلكبير الذي كان أبوه من حفظة كتاب الله وخاله إمام، هذه المعطيات كان لها تأثير جوهري في شخصيتهما.

- يتقاطع الشيخان في رحلة البحث عن المعرفة والتعلم والإفادة والاستفادة، فكانت للشيخ مولاي أحمد الطاهري رحلة البحث عن تحقيق الذات من بلدته أولاد عبد المولى بمراكش المغربية وصولاً إلى أرض العطاء والاستثمار في سالي العلوشية من منطقة توات الجزائرية مروراً بشنقيط الموريتانية و تمبكتو المالية، وللشيخ سيدي محمد بلكبير رحلة علمية مشابهة قادته من بلدته بودة إلى حاضرة توات المالكية تمنطيط ثم عاصمة الزيانين تلمسان ومنها إلى المشرية وتيميمون حتى أن استقر به المقام بعاصمة توات أدرار، وفي كل هذا إقتداء بسنة العلماء المسلمين من قبلهما.

- ظروف تأسيسهما لمدراسيهما الدينية مماثلة، فكانتا زنيا في الفترة الاستعمارية الفرنسية وبطلب من أعيان المنطقة وجاءتا في وقت كان المجتمع يئن تحت وطأة الجهل والأمية بسبب الفعل الممنهج للبعثات التبشيرية والإرساليات التنصيرية.

- انعكاس جهودهما العلمي يحمل طابع الاستمرارية من خلال مدرستهما التي مازالت قائمة إلى اليوم، والمدارس السليلة التي تأسست بأمر منهما في حياتهما أو بعد مماتهما من تلامذتهما الذين ساروا على دربهما.

- كان للشيخين دورا بارزا في تصحيح وتقويم ما أصاب المجتمع الجزائري بتوات وما جاورها، من انحراف عن المعتقد والتعاليم الدينية الإسلامية السمحاء، بسبب الاستعمار وما ينجر عنه على جميع المستويات.
- لقد عان الشيخان من المضايقات وتحرشات الإدارة الاستعمارية الفرنسية، بسبب مواقفهما التي لا تخدم الوجود الاستعماري في البلاد.
- يعتبر الشيخان سدا منيعا احتمى من ورائه الشعب التواتي من المخططات الاستعمارية المختلفة، سواء ما تعلق منها بفصل الصحراء أو ما يندرج في إطار طمس معالم الهوية الإجتماعية.
- لقد اتفقا الشيخان على تأليف القلوب واختلفا في تأليف الكتب، وكان لكل منهما معطياته التي انطلق منها، فالشيخ مولاي أحمد يعيد سبب تأليفه لطلبات التلاميذ والمهتمين من الأحبة وتعميم للفائدة كما جرت به العادة عند جمهور العلماء المسلمين، في الوقت الذي اعتبر فيه الشيخ سيدي محمد بلكبير إنه في حاجة لإعداد من يقرأ هذه الكتب قبل كتابتها.
- قد لا نجد اختلاف في منهاج وأساليب وطرق التعليم في مدرستهما، لالتزامهما بالطريقة المغربية مع بعض التعديلات التي تقتضيها ضرورة المصلحة.
- نفس الشيء يمكن أن يقال عن المادة العلمية التي يعتمد عليها في تدريس المنتسبين، قرآن، حديث، فقه، علم التوحيد وقواعد اللغة العربية وغيرها.
- اجتماعيا كان ومازال للمدرستين نفس الأدوار مع بعض التعديلات التي فرضتها سنة التحول المجتمعي بعد استرجاع السيادة الوطنية وبداية اضطلاع الدولة بمهامها من خلال المؤسسات، فالمدرسة تساعد الفقراء والمنكوبين وأبناء السبيل وتسهر على تنظيم عمليات الختان والزواج الجماعي، إلى جانب دورها المحوري في تنمية روح الانتماء للوطن بالإتحاد والتآخي والمساهمة في فض النزاعات وإصلاح ذات البين، وكذلك مشاركة المجتمع في تنظيم ركب الحجيج.

- يحسب للمدارس الدينية بشكل عام ومدرستي الشيخين بشكل خاص دورهما المحوري في حفظ كتاب الله وسنته، ومن خلالهما الحفاظ على لغة الضاد في هذه الربوع من الوطن الجزائري.

- شكلت مدرستا الشيخان مشئلة حقيقية للجزائر والعالم الإسلامي في إعداد الإطار الديني الذي أضطلع بمهمة تحفيظ كتاب الله والسهر على تلقين تعاليم الدين الإسلامي في مختلف البلدان.

- تمكن الشيخان من التأسيس للمرجعية الدينية الإسلامية السنية المعتدلة، والتمكين لها في أقصى الجنوب الغربي الجزائري وتصدير التجربة لباقي أنحاء الوطن.

- لا نبالغ إذا قلنا لا تكذ تخلوا ولاية جزائرية من تلميذ لمدرستي الشيخين الأم أو السليلة، التي عم نفعها البلاد وتخطت في كثير من الأحيان الحدود.

- قد نقف في جزئية مهمة عند صعوبة إدراك التحولات التي حتمتها ضرورة المرحلة؛ المتمثلة في بناء دولة المؤسسات بعد الاستقلال وما نجم عنها في البداية من عدم تجاوب للمدارس الدينية التي كانت تمثل المؤسسات الدينية الواقعية وقتها، مما أنتج ما يسمى بمشكلة الوقف في البلاد.

- يعتبر الشيخ مولاي أحمد الطاهري من جملة العلماء الذين يجسدون مغرب الشعوب، لكونه موريتاني الأصل الذي يعود إلى منطقة شنقيط، مغربي المولد والنشأة، جزائري العطاء والهوى؛ كونه أسس أول مدرسة دينية له لتعليم القرآن بحاضرة توات بأقصى الجنوب الغربي الجزائري مازالت مركز إشعاع علمي تحت رعاية نجله الشيخ مولاي عبد الله إلى يوم الناس هذا، تمخضت عنها مدارس سليلة شملت كامل التراب الوطني.

- ألف الشيخ مولاي أحمد في الجانب الذي يهم تلامذته بالدرجة الأولى، فجاءت تأليفه متنوعة في هذا الشأن؛ فقه وأصول، عبادات معاملات وكل ما يحتاجه المسلم في حياته، وترك لنا عدد هائل من المخطوطات، بعضها من مؤلفاته وبعضها الآخر من مقتنياته إضافة لما تم نسخه من قبل تلامذته أثروا بها خزانة المدرسة الطاهرية.

- لاحظت تفاوت واضح في عدد المنتسبين للمدرستين الطاهرية ومدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير منذ تاسيسهما، وبعد التحري أتضح إن عامل الموقع له دورا هام في ذلك، بحكم إن مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير تقع في عاصمة الولاية وهذا عامل جذب هام مقارنة مع المدرسة الطاهرية التي تقع في قصر نائي بعض الشيء.

- شد انتبهي في زيارتي الميدانية للمدارس السليلة للمدرستين، تفاوت كذلك في الإمكانيات والشروط الضرورية للتحصيل العلمي، رغم الجهود المبذولة من قبل القائمين عليها لسد النقائص ومع ذلك يبدو جليا من أول وهلة، وقد توصلت لكون ذلك يرجع للموارد المالية التي تخضع لعلاقات القائمين على المدارس، في غياب مخصصات من الدولة ثابتة.

- تشترك مدرستي الشيخين في كون رعايتها ودعمها المادي والمعنوي في بداية تأسيسهما يعود لعائلتين كريمتين، عائلة آل السي حموا بسالي بالنسبة للمدرسة الطاهرية ومن خلالها الشيخ مولاي أحمد، وعائلة كابويا بأدرار بالنسبة لمدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير.

- ما يلاحظ على ممتلكات المدرستان من أوقاف، لم تعد تدر عليهما ما يكفي من الحاجيات الضرورية كما كان عليه الحال في الماضي، وأصبح من الضروري إعادة النظر في طريقة استثمار هذه الممتلكات.

- استطاعت المدارس الدينية الحرة المحافظة على استقلاليتها عن المؤسسات الدينية للدولة رغم محاولة بسط سلطتها عليها دون جدوى، مما يؤكد قوتها وتجزرها وعمقها الاجتماعي الذي حال دون وضعها تحت الوصاية، دون الدخول في صراع علني مع وجود تداخل وتقاطع بينهما حتمته ضرورة المصلحة.

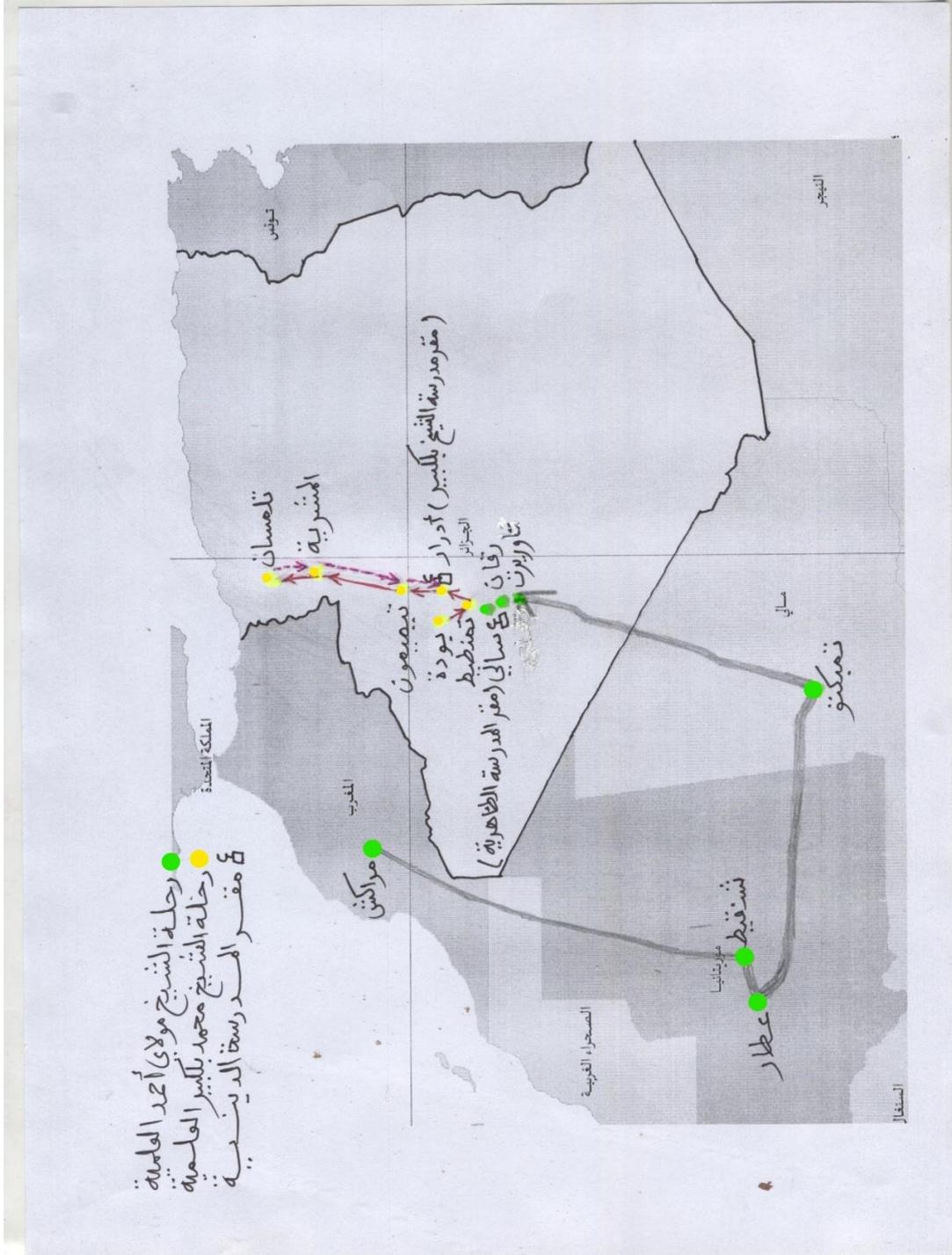
وفي الأخير يمكن تقديم بعض التوصيات المقترحة التي نرى أنها تتقاطع مع البحث في نقاط عديدة.

- خزانة المدرسة الطاهرية تحتوي على عدد هام من المخطوطات، التي يمكن أن تكون مشاريع دراسات أكاديمية لمن يشتغلون بتحقيق المخطوط، وهي متاحة والقائمين عليها

- يمنحون تسهيلات قل نظيرها.
- يمكن استغلال خزائن المخطوطات عبر الوطن في إطار السياحة العلمية، بتصنيفها موروث حضاري إنساني.
 - المؤسسات الدينية في الجزائر من زوايا ومدارس تتيح لنا عامل جذب سياحي مدر للثروة، إذا ما تم استغلالها بشكل أمثل، بالتسويق لها والاهتمام بها.
 - المدارس الدينية والزوايا على شاكلة المتواجدة بتوات، تعتبر مهمة جدا في التمكين للإسلام الوسطي المعتدل في المجتمع الجزائري، قد يفيد البلاد إذا ما عرفت الاستثمار في ذلك على الوجه الصحيح.
 - يمكن طرح إمكانية التنسيق بين المدارس الدينية والمؤسسات التربوية في المنهاج الدراسي، لتحقيق نموذج تعليمي يسمح بإعداد جيل يجمع بين المعارف الدينية الصحيحة والعلمية، تجنبنا إنتاج نخب ترى في تعارض الدين والعلم.
- متمنيا في الأخير أن أكون قد حققت الأهداف المتوخات من البحث، وأبرزت بعض الجوانب الهامة من الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين، ووضعت من خلال ذلك خريطة طريق واضحة المعالم للوصول للمادة العلمية المتعلقة بالبحث، لمن يريد مزيدا من التعمق والنبش في شخصيات المشهد العلمي والإصلاحي في المنطقة.

الملاحق

الملحق رقم 01



خريطة توضيحية لمسار رحلة الشيخين العلمية من إنجاز الباحث اعتمادا على مصادر البحث

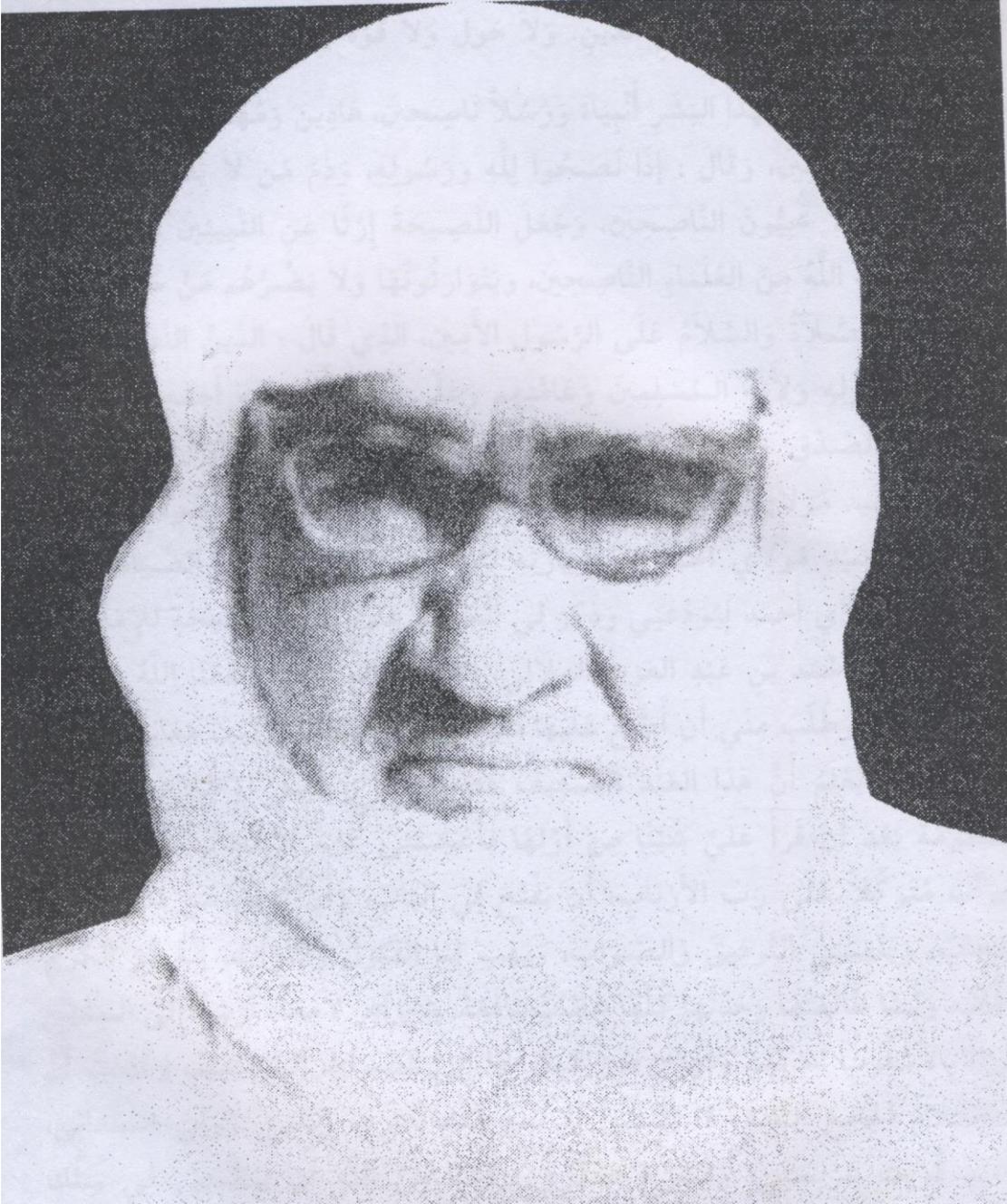
الملحق رقم 02



موقع المدرسة الطاهرية ومدرسة الشيخ محمد بلكبير¹

1 - من إنجاز الباحث بناء على مصادر البحث.

الملحق رقم 03



الشيخ مولاي أحمد الطاهري (1907 - 1979) م¹

1 - الشيخ مولاي أحمد الطاهري: عقد الجواهر والنالي، مرجع سابق، ص 02.

الملحق رقم 04

أبيات من القصيدة الشعرية الترحيبية بالشيخ مولاي أحمد الطاهري للشاعر الموريتاني مُحَمَّد السالم بن أبي ايوب اليعقوبي يقول فيها¹:

سلام عليكم مرحبا بقدومكم وأهلا وسهلا من كرام أكابر
على طاهرا في أصله وابن طاهر إلى طاهر من طاهر وابن طاهر
بني الشرفاء الأكرمين أرومة فمن شاء فلينهض لها من مفاخر

رد الشيخ مولاي أحمد الطاهري

أبيات من القصيدة الشعرية التي رد فيها الشيخ مولاي أحمد الطاهري على القصيدة الترحيبية للشاعر الموريتاني مُحَمَّد السالم بن أبي ايوب اليعقوبي يقول فيها²:

أخا الفضل إني قد عشقت مزاركم ومدكم مدحا يناسب قدركم
مما قد رأينا من مآثر جمّة إلى بحركم تنمى بها أنصيتكم
أيا نجل سالم سبقتم سابقا فأنت الجلي كيف يدرك شأوكم
مكارم أخلاق ابنت تفضلا وأيدتها بالفعل من قول جدكم

1 - مولاي عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق، ص 47.

2 - نفسه.



الشيخ سيدي الحاج محمد بلڪبير¹

1 - مولاي التهامي غيتاوي: الإشراف الكبير، مرجع سابق، صورة الغلاف.

الملحق رقم 06

الحالة المدنية

الاسم	محمد	الأب	عبدالله
اللقب	بن بلخير		
تاريخ ومكان الميلاد	1919	تاريخ ومكان الميلاد	تعمارة بودة
الحالة العائلية	متزوج		
عدد الأولاد	3	عدد الأولاد	3
المستوى التعليمي	إتمام حضانة		
اللغة الوطنية	لغة حوسنوي حالي		شهادة
اللغة الفرنسية			شهادة
معرفة اللغات الأجنبية			
معارف خاصة	فقتة خاصة		
الوظيفة الحالية	إتمام حوسنوي		
العنوان الحالي	أدرار النهج		رقم
بلدية	أدرار		ولاية الزار

هل تعرضت للقبضة القضائية من 1962 حتى اليوم ؟ إذا كان نعم ، أفكر :

- أ - تاريخ الاعتقال
- ب - أسباب الاتهام
- ج - مدة الحبس
- د - حكم
- هـ - تاريخ الانعراج

المساهمة في الثورة

تاريخ الانضمام الى جبهة التحرير الوطني	جبهة التحرير الوطني	جيش التحرير الوطني
ولاية	منطقة	ناحية
المسؤوليات الممارسة	تطاع	جبهة التحرير الوطني

1954

1955

1956

1957

1958

1959

1960

1961

1962

اسماء المسؤولين

حوسنوي حوسنوي

بودة حوسنوي حوسنوي

وثيقة الحالة المدنية للشيخ محمد بلخير¹

الملحق رقم 07

التابع للترشح بركاة العطر لفائدة الشعب اللسليسي . غير أن الأئمة لم يخلو بها لحاء
من نفس بنقوب كتب المسؤولين من الحزب تقريرا تناولوا منه (ان وزارة الأوقاف لم تعد
تتجا . ولم يتم بشي . في هذا الموضوع .

التقسيم الطبقي في المنطقة :
ان المجتمع هنا ينقسم الى خمس طبقات :

- 1 - طبقة الاشراف - يتبعون أنفسهم الى طائفة الزهراء - ينسبون كرجال زوايا .
تجمع لهم التمرات والبهايا ، ويحتفلون بالأفلاك المسجبة بواسطة من يسمون
(الششم) .
- 2 - طبقة الزوايا - ينسبون أنفسهم الى أبي بكر الصديق .
- 3 - طبقة العربات وهم اجراء اصل الدين لا ينسبون الى طائفة ولا الى ابي بكر .
- 4 - طبقة الخرافيين (المرابطين) وهم الاقرب من أصل سنوك .
- 5 - طبقة السيد - لا زالوا يتخربون بالسويدية . ويحشون في عتاق اسيارهم ، وهناك
تسمى اشتر .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الأوقاف

بمعية الترقية الدينية
تسليمة الشاهدي

تقرير من مدير المعهد الإسلامي بأدرار
(من المنطقة)

المدير في طريقه الى أدرار :
تور تسمي من طرف الوزارة توجيها الى مقر علي فالنقبت بعين السليسيين في
المنطقة المقر ، وأخبرني بأن الأئمة الذين يوجدون في البلد منذ زمن بعيد .
ومن كانت لهم مراكز في المدن والقرى يدينونها فيها الى الديانة المسيحية وليسوا
استقبلوا الحواشي وانشر اليهم في المدن تركوها وانضموا بالبراري فيكون الحمل في
ري بدون حتى لا ينضم اليهم أحد .

الأحاسيس الموجودة في المنطقة :

انتمنا بأهالي قرية (بودة) فأخبرونا أن شيئا من الأحاسيس لم تسلم الى وزارة
الأوقاف لأن رجال الزوايا يستغلونها ، ولا يريدون تسليمها ادعا بأنهم أولى بها

رجال الزوايا ، وثقوبهم في المنطقة :
في كل قرية نجد أعرجة متعددة منسوبة الى رجال بهال انهم من الأولياء
الصالحين ، وشيخ الزاوية هو الباسطة بين تلك الأعرجة والوزار الذين أتون للمستترك
من سائر رجال في أيام محددة من السنة بالنهول ، والدنوف ، والرئف ، والثلقات البارود

ويما أن المعاهد والمدارس الإعدادية تحتاج الى طبقة تخرجين من مدارس
منظمة يتلقون فيها بيادى في كل المواد تضمهم من مواصلة دراستهم في المعاهد
والمدارس الأخرى . فان هذه المدارس في أشد الحاجة الى مسؤل ينسقها وينظمها
تنظيما عسريا .

المدارس القرآنية في المنطقة :
ان التعليم في المدارس القرآنية الدرّة هنا خاضع لرجال الزوايا الشرعيين عليه ،
والذين لا يملكون سوى القرآن ومعنى الاحاديث النبوية (الداعية الى التصرف ، والزهد

صحة التفهيش بالمنطقة :
أخبرناكم فيما سلف أن في المنطقة كثيرا من الاراضي والاملاك يستغلها رجال
الزوايا وأئمة المساجد وان المدارس القرآنية في أشد الحاجة الى من ينسقمها ، وينظمها
تنظيما مناسباً للتعليم في بقية المعاهد والمدارس الرسمية .
فلو قررتم انمافتها للمعاهد وكلفتم المديرين بها لكان أنسب ، واصلى وافيد .

قصيصات من تقرير مدير المعهد الإسلامي بأدرار عن منطقة توات سنة 1965م¹

1 - المصدر : العلبه A226 ، أرشيف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، قسم التعليم الأصلي ، نسخة لدى الباحث .

مديرية التربية الدينية

نيابة المعاهد

الجمهورية الجزائرية

الديمقراطية الشعبية

وزارة الأوقاف

* تقرير من مدير المعهد الإسلامي بأدرار *

(عن المنطقة)

المدير في طريقه إلى أدرار :

فور تسميتي من طرف الوزارة توجهت إلى مقر عملي فالتقيت ببعض المعلمين في العين الصفراء، وأخبروني بأن الآباء البيض موجودون في البلاد منذ زمن بعيد.

وقد كانت لهم مراكز في المدن والقرى يدعون فيها إلى الديانة المسيحية ولما استقلت الجزائر وأنتشر الوعي في المدن تركوها واعتصموا بالبوادي يركبون الجمل في زي بدوي حتى لا ينتبه إليهم أحد...

وستجدون كل نقطة مفصلة في محلها إن شاء الله...

تقرير من الحزب ضد وزارة الأوقاف :

أصدرت وزارة الأوقاف في (رمضان الماضي) تعليماتها إلى أئمة المساجد ليدعوا الناس للتبرع بركة الفطر لفائدة الشعب الفلسطيني، غير أن الأئمة لم يعلموا بها حاجة في نفس يعقوب فكتب المسؤولون عن الحزب تقريرا قالوا فيه (إن وزارة الأوقاف لم تفعل شيئا، ولم تقم بشيء في هذا الموضوع).

مقتطفات من نص تقرير مدير المعهد الإسلامي بأدرار عن منطقة توات

التقسيم الطبقي في المنطقة :

إن المجتمع هنا ينقسم إلى خمس طبقات :

- أ- طبقة الأشراف...
- ب- طبقة المرابطين - ينسبون أنفسهم إلى أبي بكر الصديق.
- ت- طبقة العرب - وهم أحرار الأصل الذين لا ينسبون إلى فاطمة ولا إلى أبي بكر.
- ث- طبقة الحرثانيين (الحر الثاني) وهم الأحرار من أصل مملوك.
- ج- العبيد...

المدارس القرآنية في المنطقة :

ان التعليم في المدارس القرآنية الحرة هنا خاضع لرجال الزوايا المشرفين عليها، والذين لا يعلمون سوى القرآن وبعض الأحاديث النبوية ...

وبما أن المعاهد والمدارس الإعدادية تحتاج إلى طلبة متخرجين من مدارس منظمة يتلقون فيها مبادئ في كل المواد تمكنهم من مواصلة دراساتهم في المعاهد والمدارس الأخرى، فإن هذه المدارس في أشد الحاجة إلى مسؤول ينسقها وينظمها تنظيماً عصبياً.

تابع مقتطفات من نص تقرير مدير المعهد الإسلامي بأدرار عن منطقة توات

مهمة التفتيش بالمنطقة :

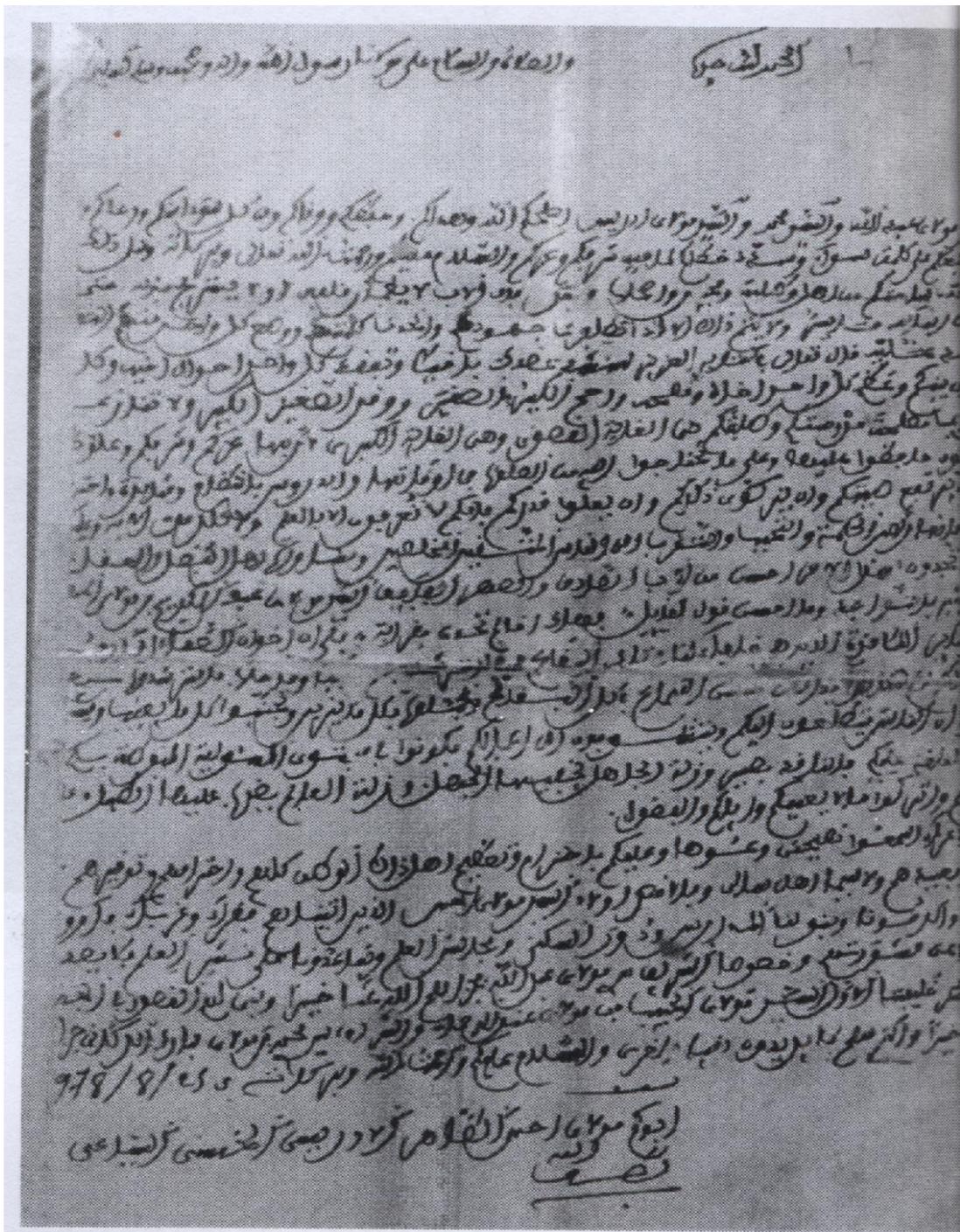
أخبرناكم فيما سلف أن في المنطقة كثيرا من الأراضي والأملاك يستغلها رجال الزوايا وأئمة المساجد وان المدارس القرآنية في أشد الحاجة إلى من ينسقها، وينظمها تنظيما مناسبا للتعليم في بقية المعاهد والمدارس الرسمية.

فلو قررتم إضافتها للمعاهد وكلفتم المديرين بما لكان أنسب، وأصلح وأفيد...

مدير معهد أدرار

قنا طف محمد المكي

تابع مقتطفات من نص تقرير مدير المعهد الإسلامي بأدرار عن منطقة توات



وصية الشيخ مولاي أحمد لخليفته الشيخ مولاي عبد الله بن تاريخ 1978/08/25م¹

1 - وصية الشيخ مولاي أحمد لخليفته مولاي عبد الله، مكتبة المدرسة الطاهرية، ولاية أدرار.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليم
أبناءنا السيد مولاي عبد الله والسيد مُحَمَّد والسيد مولاي إدريس أصلحكم الله وهداكم
وحفظكم ووقاكم ومن كل سوء أمنكم ورعاكم وألف بين قلوبكم وجمعكم على كلمة سواء
وسدد خطاكم لما فيه شرفكم وعزكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومثل ذلك على
من خصته ساحتكم من أهل وطلبة ومحبين وأصحاب وبعد: فإن الأب لا يطمئن قلبه أو
لا يستريح باله حتى يرى أو يسمع عن أبنائه ما يسر ولا يتم ذلك إلا إذا تضافرت جهودهم
وإتحدت كلمتهم ووضع كل واحد منكم الثقة في الآخر وإعتمد عليه قال تعالى في كتابه
العزیز (سنشد عضدك بأخيك) وتفقد كل واحد أحوال أخيه وكان أمركم شورى بينكم
وعظم كل واحد أخاه ونصحه ورحم الكبير الصغير ووقر الصغير الكبير ولا تنازعوا وجعلوا
دائما مصلحة مدرستكم وطلبتكم هي الغاية القصوى وهي الغاية الكبرى لأن بها عزكم
وشرفكم وعلوكم وبها تكرمون وحافظوا عليها وعلى ما تحتاج إليه من الصلوات في أوقاتها
والدروس بانتظام ومثابرة واحترام إذا أردتم أن يرفع صيتكم وأن يزكو ذكركم وأن يعلو قدركم
فإنكم لا تعرفون إلا بالعلم ولا تكرمون إلا به وعليكم بالتقوى فإنها رأس الحكمة والتجرب
والتقرب إلى الناس المتقين المخلصين ومشاورة أهل الفضل والعقل والنصح وتجدون الأمر
أحسن من الأب الصادق والصهر الفائق السيد مولاي عبد الكريم بن مولاي المهدي
فعضوا عليه بالتواجد وما أحسن قول القائل:

فهاك أخوا لم تجده بقرابة بلى إن إخوان الصفاء أقارب

وكذلك سائر التلامذة الذين هم خلفاء لنا في تلك البقاع فمن استرشد بهم ما كبا وما

نص وصية الشيخ مولاي أحمد الطاهري لخليفته الشيخ مولاي عبد الله

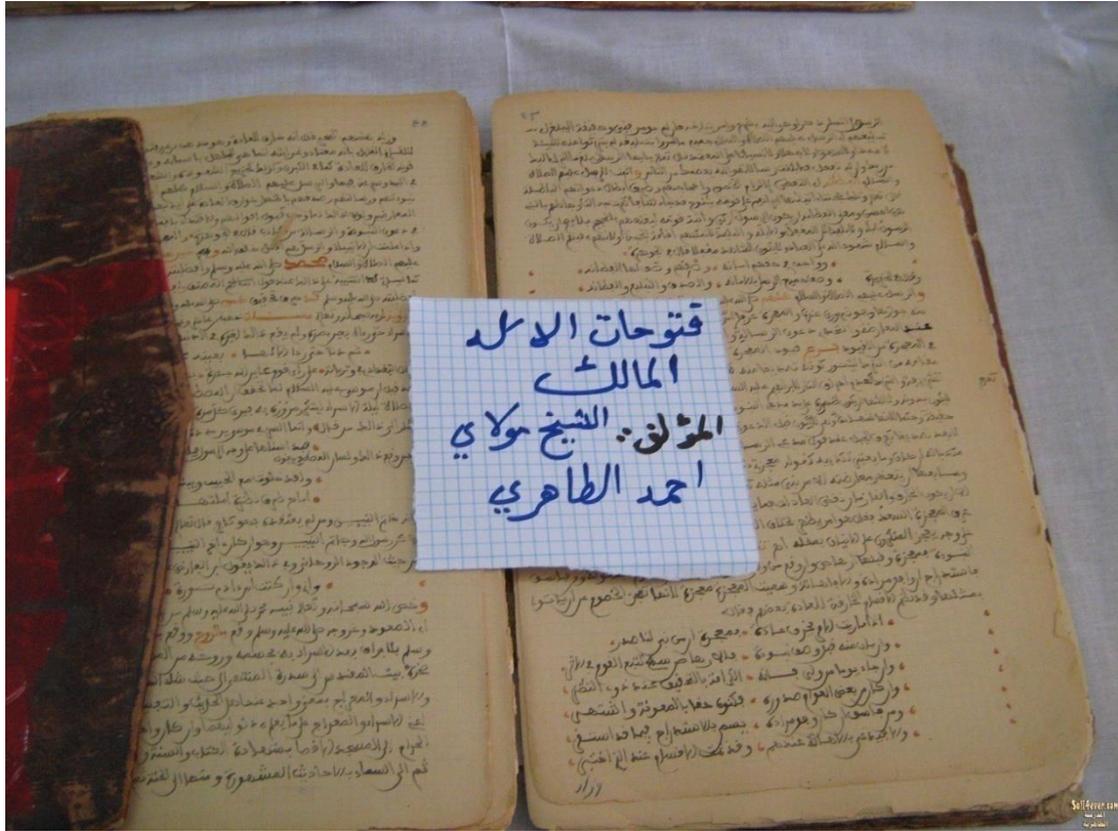
خاب فاسترشدوا في السلوك والطباع لتنالوا بذلك حسن السماع في كل البقاع وتحملوا بكل ما يزين وتجنبوا كل ما يعيب ويشين وعلموا إن الناس يتطلعون إليكم ويتشوفون إلى أعمالكم فكونوا في مستوى المسؤولية المنوطة بكم والآمال المعلقة عليكم فالناقد بصير وزلة الجاهل يخفيها الجهل وزلة العالم يضرب عليها الطبل وععليكم بما يعينكم واتركوا مالا يعينكم واياكم والفضول.

أبنائي الأعزاء اسمعوا نصيحتي وعوها وعليكم باحترام وتعظيم أهل ذلك الوطن كلهم واحترامهم وتوقيرهم قريتهم وبعيدهم ولاسيما أهل سالي وبالأخص أولاد سيدي مولاي أحمد الذين أتناهم فقراء وغرباء فأوونا ونصرونا وكرمونا وبنوا لنا المدرسة ودور السكنى ومجالس العلم وساعدونا على نشر العلم فلا يصدر منكم أمر إلا عن مشورتهم وخصوصا الشريف السيد مولاي عبد الله فجزاهم الله عنا خيرا وبنى لهم القصور في الجنة وعليكم بنظر خليفتنا السيد مولاي الحبيب بن مولاي عبد الرحمن والسيد الشريف بن مولاي أمبارك الرقاني فجزاهم الله عنا خيرا وأكرمهم بما يريدون دنيا وأخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في 1978/08/25

أبوكم مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني السباعي لطف الله به آمين

تابع نص وصية الشيخ مولاي أحمد الطاهري لخليفته الشيخ مولاي عبد الله

الملحق رقم 09



مخطوط من تأليف الشيخ مولاي أحمد الطاهري " فتوحات الإله المالك عن نظم أسهل

المسالك¹"

1 - مكتبة المدرسة الطاهرية، ولاية أدرار.

الملحق رقم 10

مطلع قصيدة النصح التي كتبها الشيخ مولاي أحمد لأبنائه وتلامذته والتي فاقت العشرون بيتاً¹:

عليك السلام مثل ما هب من نجد سلام زكى من نفحة البان والرند

وبعد فإن العلم أفضل ما به تزين ذو اللب المؤيد للرشد

مطلع قصيدة شعر للشيخ مولاي أحمد الطاهري على شكل أغاز فقهية في مسائل عديدة، بلغ عدد أبياتها أربعون بيتاً²:

ألا حي دوراً بالعلوشية للمهدي عفتها روايا الدهر بعدك والسعد

مطلع قصيدة الشوق والحنين إلى موطن الأجداد للشيخ مولاي أحمد الطاهري وهو نزيل بلدة سالي يقول فيها³:

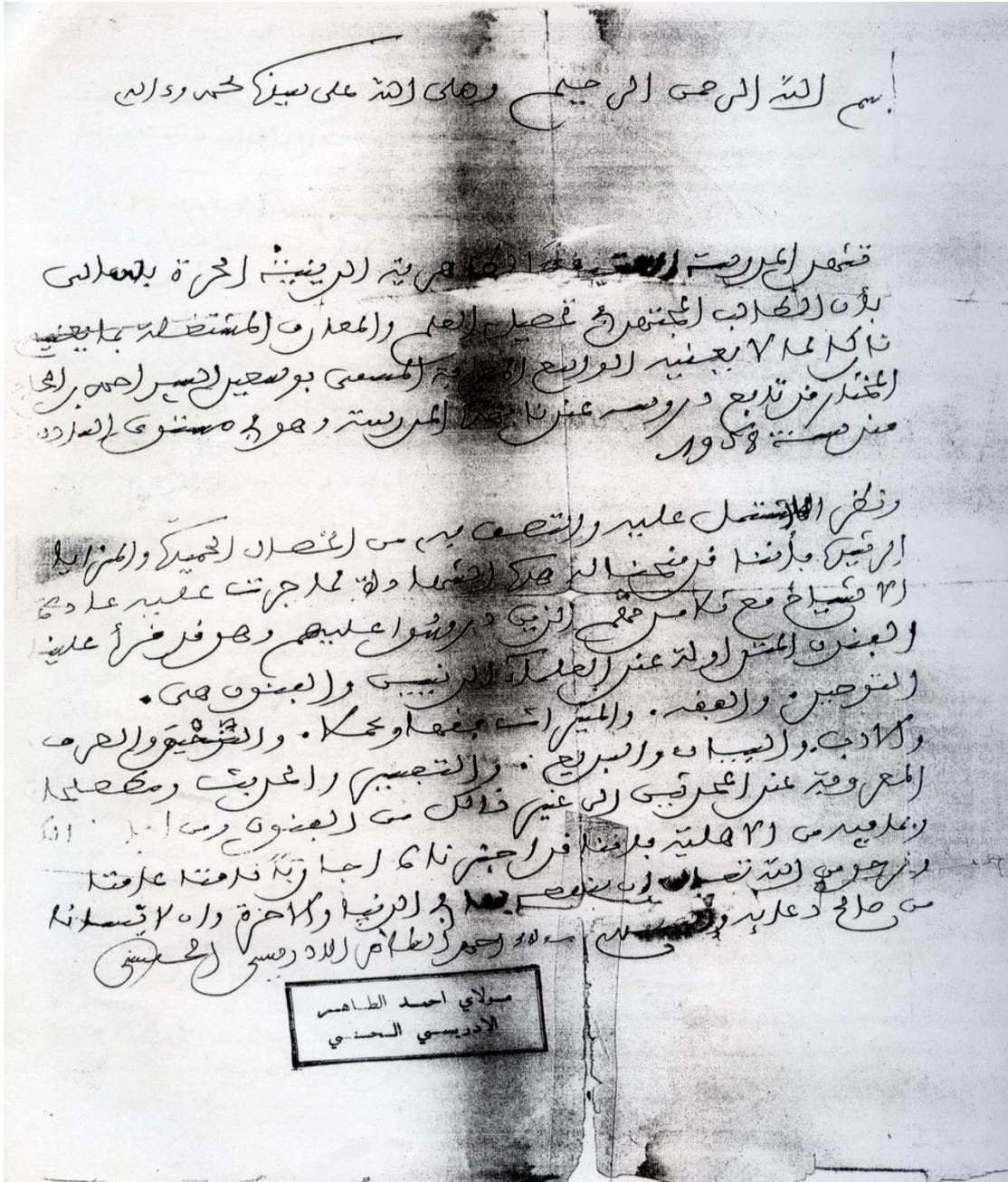
بدا حسن من أهوى وقد كاد لا يبدو وأضناك حينما بدا حسنها الوجد

1 - مولاي عبد الكريم بن سيد المهدي حساني: المرجع السابق، ص 315.

2 - نفسه، ص 305 - 307.

3 - نفسه، ص 316.

الملحق رقم 11



إجازة الشيخ مولاي أحمد لتلميذه الشيخ أحمد بن سيد المختار بوسعيد البرمكي¹

1 - مكتبة المدرسة الطاهرية، ولاية أدرار.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله

تشهد المدرسة العتيقة الطاهرية الدينية الحرة بسالي بأن الطالب المجتهد في تحصيل العلم والمعارف المشتغل بما يعنيه تاركاً ما لا يعنيه الواسع المعرفة المسمى بوسعيد السي احمد بن الحاج المختار قد تابع دروسه عندنا بهذه المدرسة وهو في مستوى السادسة منذ سنة 1958.

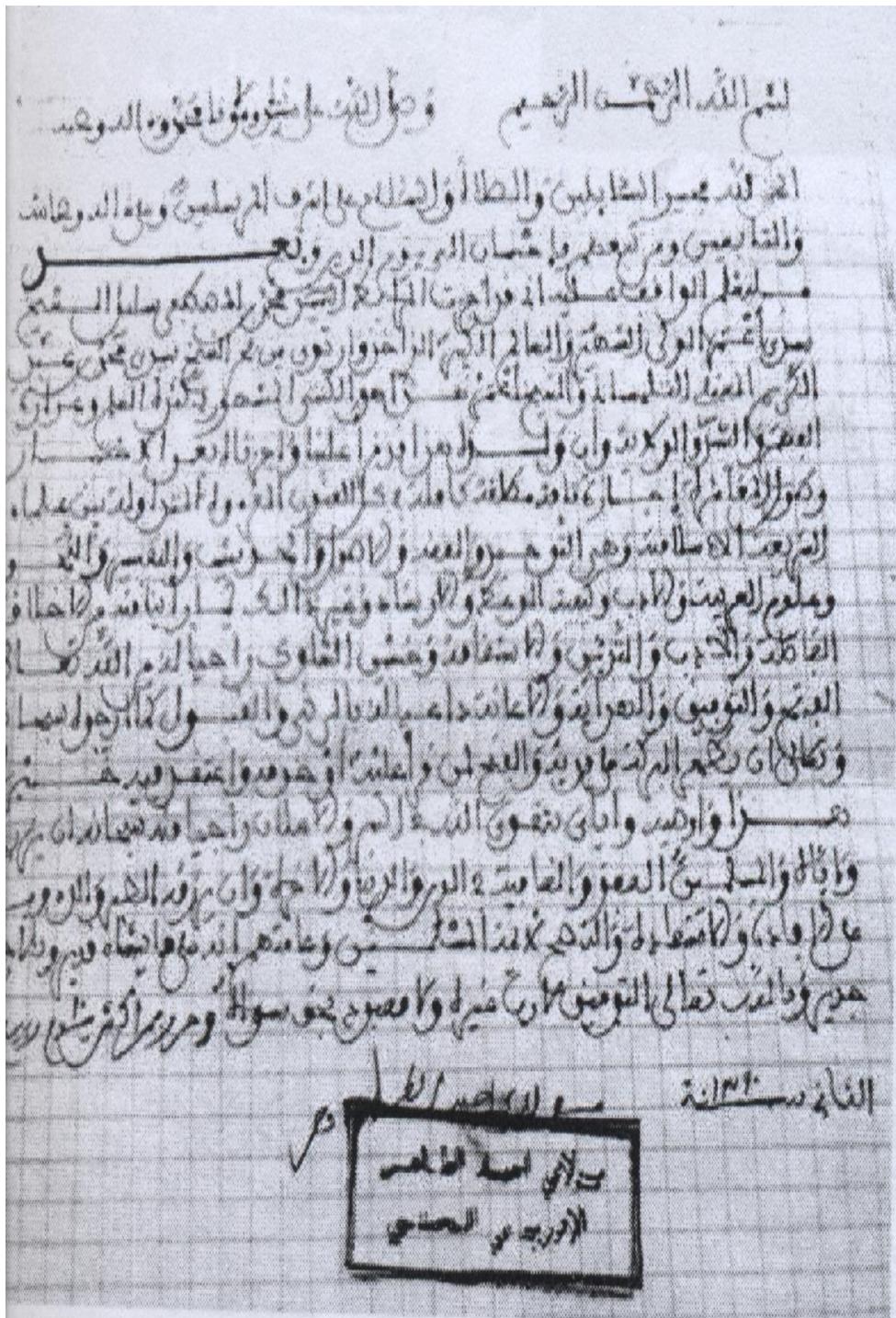
ونظراً لما اشتمل عليه واتصف به من الخصال الحميدة والمزايا الرئيسة فإننا قد منحنا له هذه الشهادة لما جرت عليه عادة الأشياخ مع تلامذتهم الذين درسوا عليهم وهو قد قرأ علينا من الفنون المتداولة عند العلماء الربانيين والفنون هي.

التوحيد، والفقه، والميراث فقها وعملاً، والنحو والصرف والأدب والبيان والبديع، والتفسير والحديث ومصطلحاته المعروفة عند المحدثين الى غير ذلك من الفنون ومن اجل ذلك وببما فيه من الأهلية فإننا قد أجزناه إجازة تامتا عامتا.

نرجو من الله تعالى أن ينفعه بها في الدنيا والآخرة وان لا ينسانا من صالح دعائه والسلام

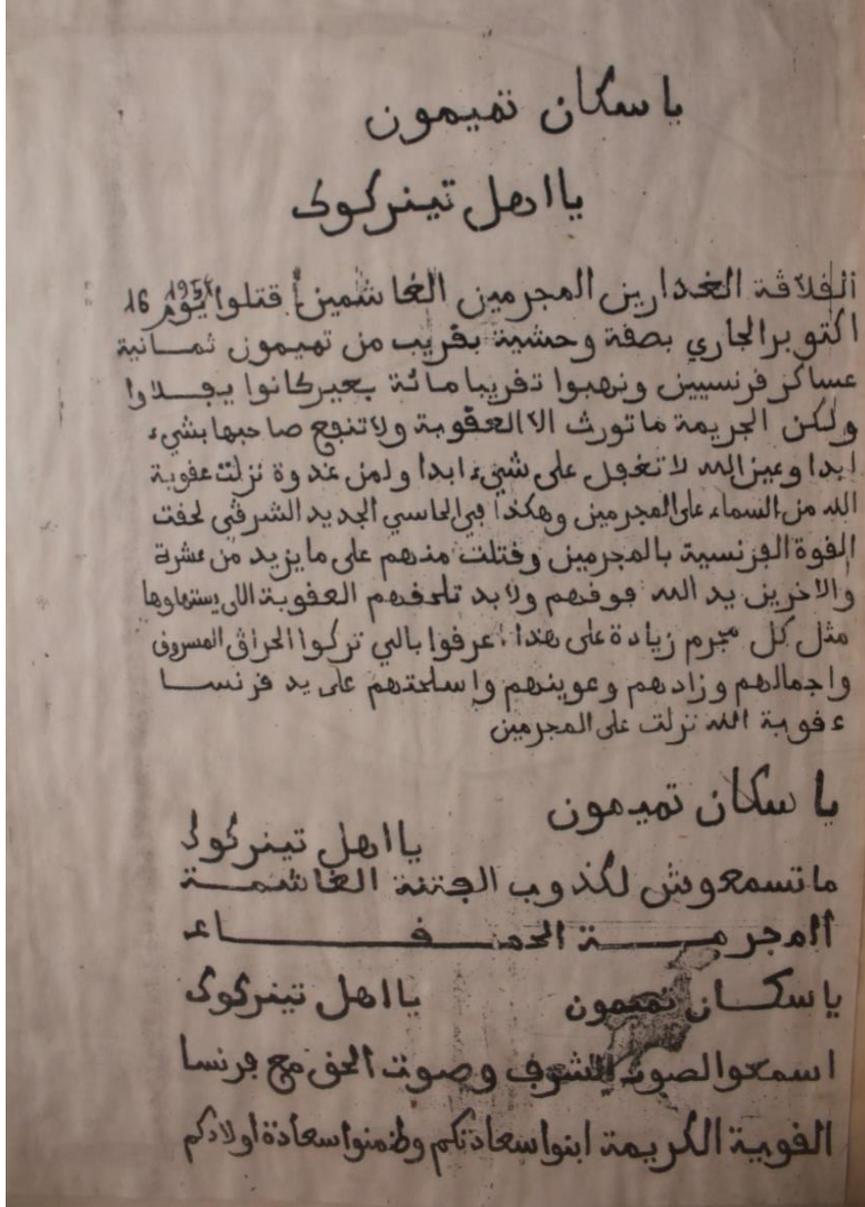
مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني

نص إجازة الشيخ مولاي أحمد لتلميذه الشيخ أحمد بن سيد المختار بوسعيد البرمكي



إجازة الشيخ مولاي أحمد لتلميذه الشيخ محمد بن مصطفى الكنتي

الملحق رقم 13



المنشور الدعائي الفرنسي الذي رمت به الطائرات الإستعمارية الفرنسية عقب تمرد حاسي

صاكة 15 أكتوبر 1957م¹

1 - المنشور الدعائي الفرنسي عقب تمرد حاسي صاكة، أرشيف المتحف الولائي للمجاهد، ولاية أدرار.

يا سكان تيميمون

يا أهل تينركوك

الفلاحة الغدارين المجرمين الغاشمين قتلوا يوم 16 أكتوبر 1957م الجاري بصفة وحشية بقريب من تيميمون ثمانية عساكر فرنسيين ونهبوا تقريبا مائة بعير كانوا يفلاوا ولاكن الجريمة ما تورث إلا العقوبة ولاتنفع صاحبها بشيء أبدا وعين الله لاتغفل على شيء أبدا وامن غدوة نزلت عقوبة الله من السماء على المجرمين وهكذا في الحاسي الجديد الشرقي لحقت القوة الفرنسية بالمجرمين وقتلت منهم على مايزيد من عشرة والآخرين يد الله فوقهم ولابد تلحقهم العقوبة اللي يستهلوها مثل كل مجرم زيادة على هذا عرفوا بلي تركوا الحراق المسروق واجمالهم وزادهم وعوينهم وأسلحتهم، على يد فرنسا عقوبة الله نزلت على المجرمين

يا سكان تيميمون

يا أهل تينركوك

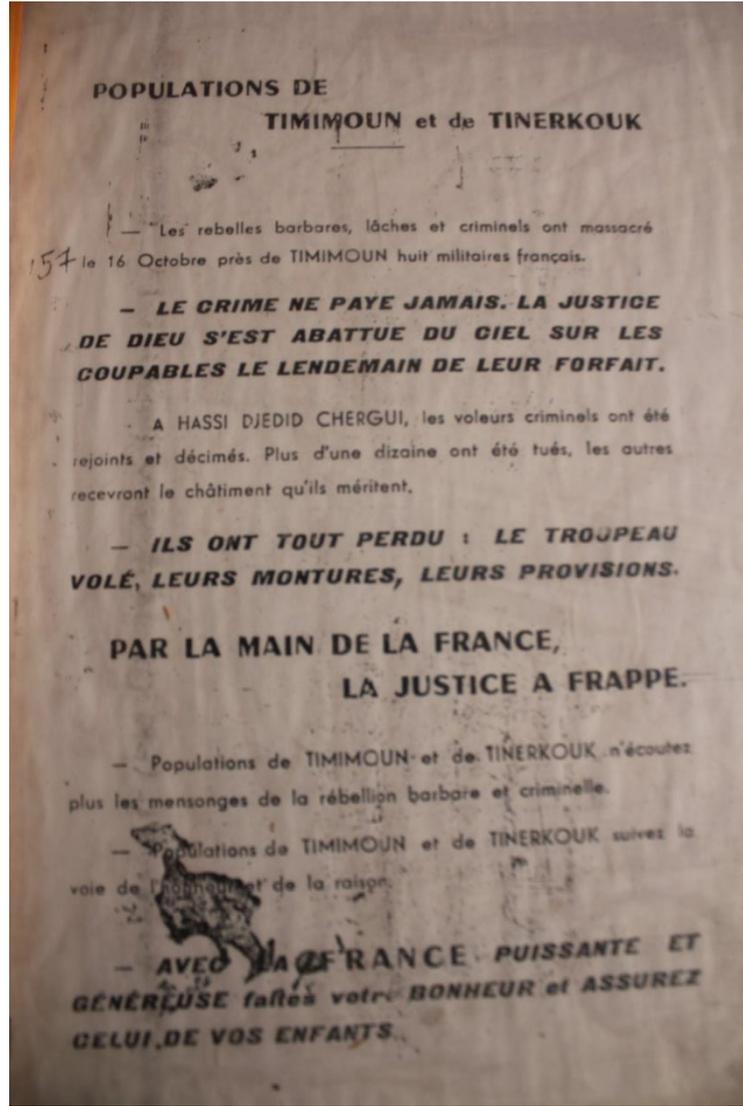
ما تسمعوش لكذوب الفتنة الغاشمة المجرمة الحمقاء

يا سكان تيميمون

يا أهل تينركوك

اسمعوا لصوت الشرف وصوت الحق مع فرنسا القوية الكريمة ابنوا سعادتكم وضمنوا سعادة أولادكم

نص المنشور الدعائي

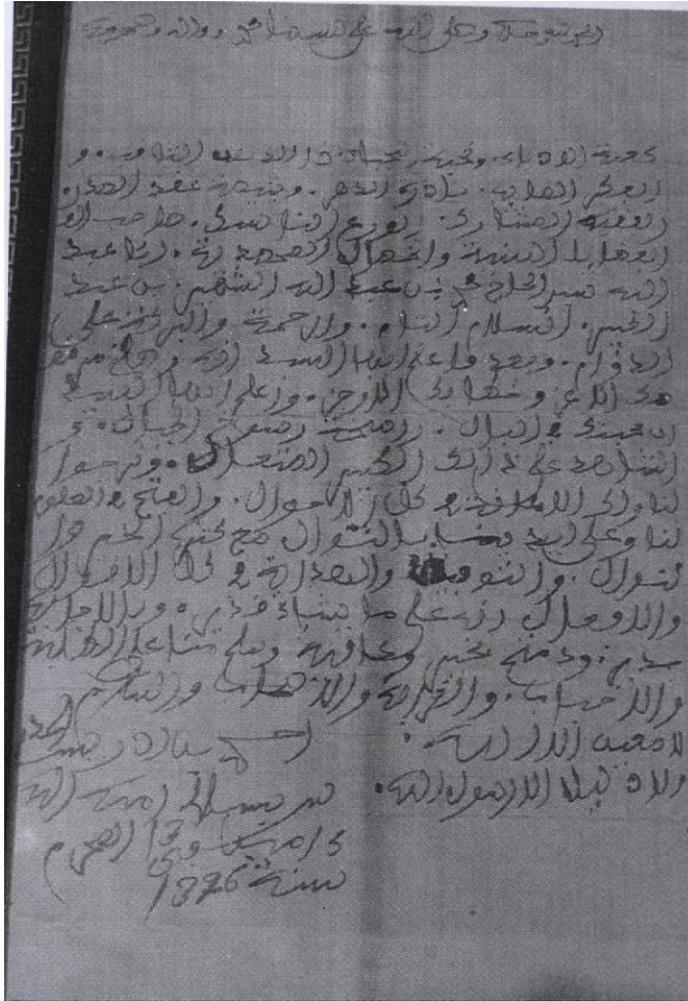


جانب آخر من المنشور الدعائي



ملحق توضيحي بالمنشور الدعائي

الملحق رقم 14



رسالة من الشيخ مولاي أحمد الطاهري إلى فضيلة الشيخ محمد بلكير بتاريخ 19 أوت

1956م الموافق 13 محرم 1376هـ¹

1 - رسالة من الشيخ مولاي أحمد إلى الشيخ محمد بلكير، مكتبة المدرسة الطاهرية، ولاية أدرار.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

كعبة الأدباء ونخبة النجباء ذا الذهن الثاقب والفكر الصائب، نادرة الدهر، وشيمة
عقد الصدر، الفقيه المشارك، الورع الناسك، صاحب الفضائل السنينة والخصال المحمدية،
أبا عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الله، الشهير بن عبد الكبير، السلام التام، والرحمة
والبركة على الدوام، وبعد فاعلم أيها السيد إنه وصلني مرقومك الأعز وخطابك الأوجز،
وعلم أيه السيد أن محبتك في البال، راسخة رسوخ الجبال، والشاهد على ذلك الكبير
المتعال، ونرجو لنا ولك الإعانة في كل الأحوال، والفتح في العلوم لنا وعلى أيدينا بالتوال
مع كثرة الخير والنوال، والتوفيق والهداية في كل الأقوال والأفعال إته على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير، ودمتم بخير وعافية وسلم منا على الطلبة والأحباب، والقراة والأصحاب
والسلام.

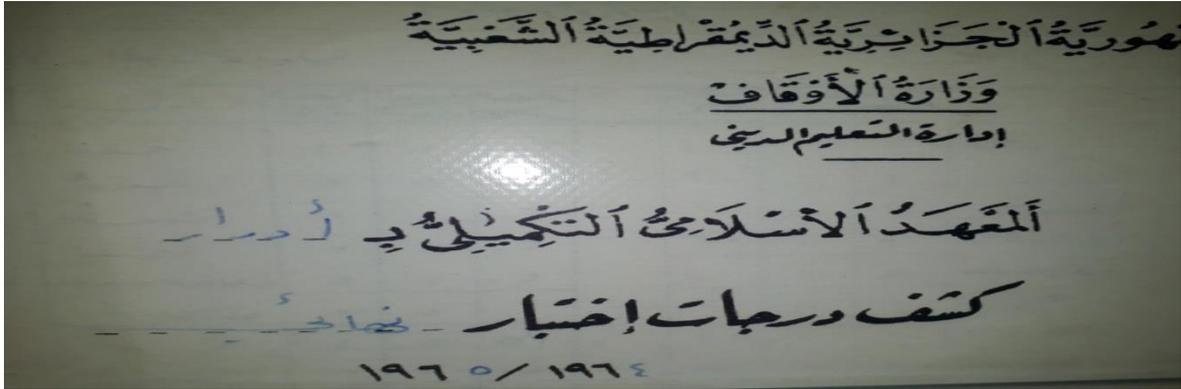
لامعين إلا الله.

ولا دليل إلا رسول الله.

أحمد بن إدريس من سالي آمنه الله آمين في 13 محرم 1376 هـ

نص رسالة الشيخ مولاي أحمد الطاهري إلى فضيلة الشيخ محمد بلخير

الملحق رقم 15



ثانياً : المواد الشفوية

الرقم	المادة	الدرجة الكبرى	الدرجة الصغرى	الدرجة الكلية
١٦	حفظ القرآن الكريم وتجويده	٢٠	١٠	١٥
١٧	الفسر	٢٠	١٠	٢٠
١٨	المحفوظات	٢٠	١٠	٢٠
١٩	المطالعة	٢٠	١٠	٢٠
	مجموع إيراد إبتفالية	٨٠	٤٠	
٢٠	التربية البدنية	٢٠	١٠	٢٠
٢١	المواظبة	٢٠	١٠	٢٠
٢٢	السلوك	٢٠	١٠	٢٠
	المجموع إعلم			٢٦٨
	ترتيب التميز			٢٩
	مرتبة إمتياز			

لا تحسب هذه الدرجات في إجموع إعلم

توزيعات المستحقين

نتيجة } ناجح ومنقول إلى الفرقة الرابعة
} دور ثان في
} باق للإعادة

مصدق من طرف وزارة الأوقاف بتاريخ ١٩٦٤ م
١٩٦٤/١٩٦٥

وثيقة عن المعهد الإسلامي الذي كان يديره الشيخ بلكبير¹



شهادة دكتوراه شرفية من جامعة هامة لفضيلة الشيخ محمد بن لكبير¹

1 - شهادة دكتوراه شرفية، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية أدرار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
العقد الجوهري
على النظم المسمى بالعبقري

للعالم الرباني مولاي أحمد الطاهري

الادريسي الحسني

رحمه الله آمين



الطبعة الأولى

المطبعة العلاوية بمستغانم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

يقول العبد الفقير إلى ربه القادر أحمد المعروف بالطاهر، عامله الله بلطفه الخفي والظاهر، الإدريسي الحسني:

الحمد لله الذي تنزهه عن السهو والنسيان، والغفلة والذهول والنقصان، وخلق هذا الإنسان فجعله موصوفا بالذهول والنسيان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن، وعلى آله وصحابه الطاهرين الأعيان، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان. وبعد فقد طلب مني بعض الاخوان، أن أضع له شرحا على النظم المسمى بالعبقري، فأجبت وإن كنت لست من رجال هذا الميدان، معتصما بقوة الرحيم الرحمان طالبا العذر من جميع الاخوان، وان يتصفحوا ما عثروا عليه من الخلل والنقصان وأرجو من الله أن يكون سببا في الفوز عنده والرضوان والرحمة والغفران، انه هو الحنان المنان، ذو الجود والإحسان، وسميته (بالعقد الجوهري على النظم المسمى بالعبقري) وبالله التوفيق.

ولما كان هذا النظم من مهمات الأمور وأجلها وأكملها وأجلها، أستحب ابتدائه بالبسملة كما هو المطلوب، فلذا بدأ المصنف رحمه الله تأليفه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وامثالاً لقوله ﷺ: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع) وفي رواية: (فهو أجزم) ومعنى الجميع ناقص البركة والكلام على البسملة لا حد له ولا غاية ومن رام حصره عجز، الا ان الفرض والواجب التثبت بأذيالهما حسبما يقتضيه الراغب فحسبما قصدناه هنا يقال: ومن الله التوفيق في الحال والمآل، الغرض المتعلق بها من فصول خمسة فضلها، وسبب الابتداء بها، وإعرابها، واشتقاقها، ومعانيها، فمن فضلها على ما ورد عنه ﷺ: (ما من كتاب يلقى على الأرض وفيه بسم الله الرحمن الرحيم إلا بعث الله الملائكة يحفون عليه بأجنحتهم حتى يبعث الله وليا من أوليائه) فمن رفع كتابا من الأرض فيه بسم

فوق السماوات ليلاً عندما اجتمعا ☆ كذاك عند طواف البيت والحجر

اهـ. وصل وسلم يا رب عليه وعلى (الآل) اي اقاربه المؤمنين من بني هاشم قيل: والمطلب وكذا المؤمنات من بناته وقولهم المؤمنين من بني هاشم تغليبا وتفسير الآل في هذا المقام بهذا لا يحسن، فان الآل له معان باعتبار مقالات، ولا يحسن ان تعد اقوالا في مقام المدح كهذا المقام كل مؤمن تقي لحديث آل محمد كل تقي وانا جد كل تقي ولمحي الدين ابن العربي قدس الله سره :

لباس التقي للنفس خير لباس ☆ يزهو به المسعود بين الناس
ان الشريف هو التقي المرتضى ☆ لا الهاشمي ولا بنو العباس
الا اذا اتقوا الاله فانهم ☆ اهل المكارم والندى والباس

اهـ. وفي مقام الدعا كل مؤمن ولو عاصيا، وفي مقام حرمة الزكاة الاصح عند المالكية اقاربه المؤمنون من بني هاشم وكذا الحنابلة وزاد الشافعية والمطلب، وعليه درج خليل في مصرف الزكاة فقال: وعدم بنوة لهاشم والمطلب ورجح. قال الامام المحلي: لانه ﷺ قسم سهم ذوي القربى بينهم دون بني عمهم عبد الشمس ونوفل مع سؤالهم. رواه البخاري وقال: هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا آله. رواه مسلم وهذا في الصدر الاول. واما الآن فانها تحل لهم كغيرهم اذا كانوا فقراء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب، وانما الاعمال بالقصد والنيات، نسأله التوفيق في الحركة والسكنات، وفي المحيا والممات، ونسأله المعروف والافضال بجاه السيد الكامل الحائز لصفات الجمال المنعوت باحسن الاخلاق وأشرف الخصال ثم بجميع السادات الكرام والصحب والآل وان يجعل العلم عوننا لنا على صالح الاعمال وحجة لنا لا علينا ونورا يسعى من خلفنا ومن بين ايدينا في يوم الاهوال انه مجيب الدعوات ومحصل الرغبات ومبلغ الآمال وهو حسبي ونعم الوكيل، ويغفر الله لنا ولوالدينا ولأشياخنا وللمن دعا لنا وللناظر فيه بعين الرضا والقاريء والمستمتع وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات آمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والحمد لله على التمام، وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك في أول رجب سنة ألف وثلاثمائة وستة وستين من الهجرة النبوية، والحمد لله رب العالمين .

عَقْدُ الْجَدَاهِرِ وَاللَّسَائِي

على نصيحة

أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز
الهاللي ﴿ رحمه الله ﴾

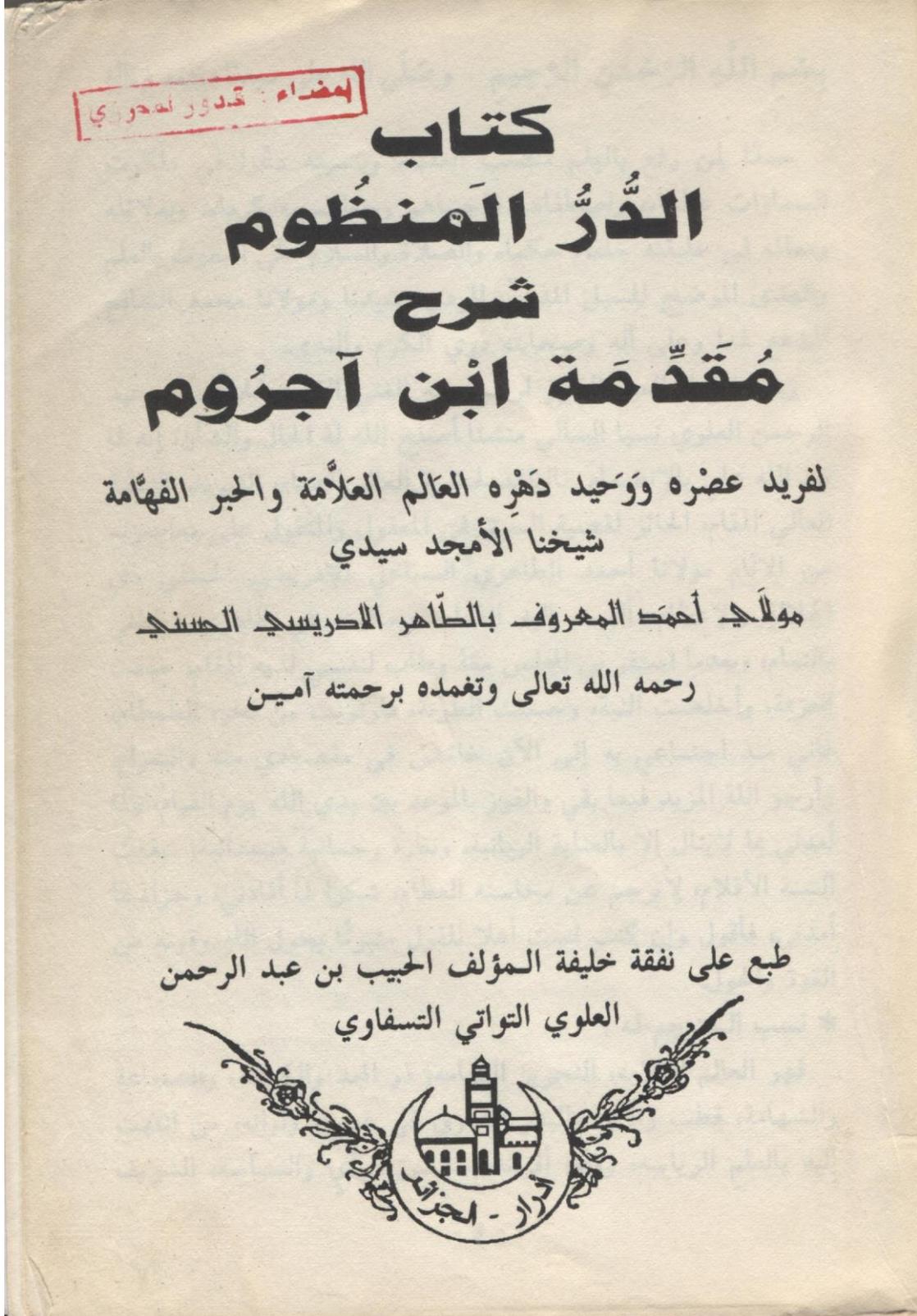
لمؤلفه القدوة الفهامة أستاذ دهره وفريد
عصره الجهبذ الفاضل السيد مولاي أحمد
الطاهري. عامله الله بلطفه الخفي والظاهر
ابن عبد المعطي السباعي الإدريسي
الحسني. حقق الله له الأمانى. أمين

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَالثَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ لِهَذَا الْبَشَرِ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا نَاصِحِينَ، هَادِينَ وَمُهْتَدِينَ، فَقَالَ تَعَالَى
وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ، وَقَالَ : إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَذَمَّ مَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَةَ
فَقَالَ : وَ لَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ، وَجَعَلَ النَّصِيحَةَ إِزْثًا عَنِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ
يَرْتُهَا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّاصِحِينَ، وَيَتَوَارَثُونَهَا وَلَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الرَّسُولِ الْأَمِينِ، الَّذِي قَالَ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ
وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ :
فَمِنْ حُسْنِ الصَّدَقِ وَإِصَابَةِ الْهَدَفِ أَنَّهُ اسْتَدْعَانِي الشَّرِيفَانِ الْأَبْرَارِ، الشَّقِيقَانِ
الِهَلَالِيَانِ، السَّيِّدِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ وَأَخُوهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْعَايِشِ ابْنَا السَّيِّدِ مَوْلَايَ الْحُسَيْنِ
بَعْدَ رُجُوعِ السَّيِّدِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ مِنْ زِيَارَتِهِ لِتَافِلَالَتْ وَعِنْدَ انْقِضَاءِ الضِّيَافَةِ خَرَجَ
مَعِيَ السَّيِّدُ مَوْلَايَ أَحْمَدَ لِيُودِعَنِي وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيَّ نَظْمَ النَّصِيحَةِ لِلْإِمَامِ أَبِي
الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَلَالِيِّ، الْعَلَامَةِ الْمَشْهُورِ نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ
وَبِعُلُومِهِ أَمِينِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَضَعَّ عَلَيْهَا شَرْحًا يَحُلُّ أَلْفَظَهَا، وَيُبَيِّنُ مَعَانِيَهَا لِحُسْنِ
ظَنِّهِ بِنَا، وَمَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الضَّعِيفَ قَصِيرُ الْبَاعِ، قَلِيلُ الْإِطْلَاعِ، وَتَاوَلَنِي
الْمُنْظُومَةُ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ أَوْلَاهَا فَأَعْجَبْتَنِي غَايَةَ الْإِعْجَابِ، فَأَنْعَمْتُ لَهُ
بِالْجَوَابِ مُتَوَكِّلًا عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ، أَنْ يَفْتَحَ لِي الْبَابَ، وَأَنْ يُزِيلَ عَن قَلْبِي الرَّانَ
وَالْحِجَابَ، وَيُلْهِمَنِي التَّوْفِيقَ وَالصَّوَابَ، وَيَهَبَ لَنَا الْقَبُولَ وَالشُّوَابَ، إِنَّهُ هُوَ الْكَرِيمُ
الْوَهَّابُ، وَلَمَّا طَالَعْتُهَا وَجَدْتُهَا كُلُّهَا عِظَاتٍ نَافِعَةً، وَجَوَاهِرَ لَامِعَةً، تُرْشِدُ إِلَى الْمَنْهَجِ
الْقَوِيمِ، بِالْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ، وَتَهْدِي مَن عَمِلَ بِهَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ
هَذَا الْكَلَامَ الْجَامِعَ النَّافِعَ، لَا يَفِيضُ إِلَّا مِنْ قَلْبِ عَارِفِ رَبَّانِي، وَوَلِيِّ صَمْدَانِي،
فَعِنْدَئِذٍ قَوَيْتُ عَزِيمَتِي، وَأَنْشَرَحَ صَدْرِي، رَاجِعًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَنْظِمَنِي فِي سَبْكَ
الْعَارِفِينَ، وَإِسْهَامًا مِنِّي فِي هَذَا الشَّانِ، وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ مِنْ رِجَالِهِ، فَلَيْتُ مَطْلُوبُهُ
طَالِبًا مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ، وَالْهِدَايَةَ وَالتَّحْقِيقَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ عَمَلًا خَالِصًا
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، بِجَاهِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ذِي الْقَلْبِ الرَّحِيمِ، وَسَمَّيْتُهُ :

المراتب، فمغذرتي لذوي الألباب، أن ينظروا إليهِ بعين الرضا والصواب، وقدمت أمام الإعتذار
 مُنشداً إنشاءً من تلقائي ملتَمِسا قبول العذر، والعذر من الأحرار مقبول أبداً :
 هذا الذي كتبت يد الضعيف وقد عرّضه للشرة يبتغي الثمنا
 ولم يكن قصده فيه السلامة من كل المعائب جل ربنا ذو الثنا
 ثمنه الغض والدعا بخير له والعفو عما جنى وفوزه بالمنى
 بجاه ذي الجاه والقدر العظيم على كل البرايا في يومنا وفي غدنا
 مُحَمِّد المصطفى صلى عليه كما سلم من دون عدّ ذاك خالقنا
 وأسأل الله العظيم، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به ويكون من الأعمال
 المتقبلة، التي لا يشوبها رياء ولا سمعه، وأن يختم علينا بالحسنى، ويثبتنا بالقول الثابت في
 الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه جواد كريم، برّ زءوف رحيم، وكان الفراغ منه فاتح ربيع الأول
 سنة سبعة وثمانين وثلاثمائة وألف، من هجرة من له المجد والشرف، الذي ختم الله به
 الرسالة، وهدى به من الضلالة، سيدنا مُحَمِّد صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه
 أجمعين، ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
 سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

الحمد لله الذي نحوه بل علمه مغن عن سؤاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله مصدرًا لصحيح الأفعال الموصوفين بالسلامة من اللحن في الأقوال، صلاة وسلامًا دائمين لا يعتريهما نقص ولا زوال.

«وبعد» فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عن سواه أحمد المعروف بالطاهر الإدريسي الحسني. إني لما عثرت على نظم الإمام العلامة البحر الفهامة سيدي محمد بن أبى الزموري دفين تيمون قاعدة من قواعد توات لابن أجروم في النحو ووجدته في غاية الحسن والكمال ولم أطلع على شرح له، مع انتشار هذا النظم في كثير من البقاع فطلب مني بعض الطلبة أن أضع له عليه شرحًا ليكثر به الإنتفاع فأجبتة إلى ذلك طالباً من الله الثواب وترغيب الطلاب، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم وموجباً للفوز لديه في جنات النعيم، انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وسميته.

الدَّرُّ الْمَنْظُومُ شَرْحُ مُقَدِّمَةِ ابْنِ أَجْرُومِ

وهذا شروع من الناظم في التعريف بنفسه والمقصود بالذات فقال بعد بسم الله الرحمن الرحيم «قال» فعل ماض وقائل القول «ابن أبى» اسم ابي الناظم رحمهما الله تعالى. «و» أما هو أي الناظم ف «اسمه محمد» الزموري نسبا التواتي دارًا ومدفناً وبدأ رحمه الله تعالى بالتعريف بنفسه لأنه من الأمور المهمة التي ينبغي الإعتناء بها ولا ينبغي إهمالها.

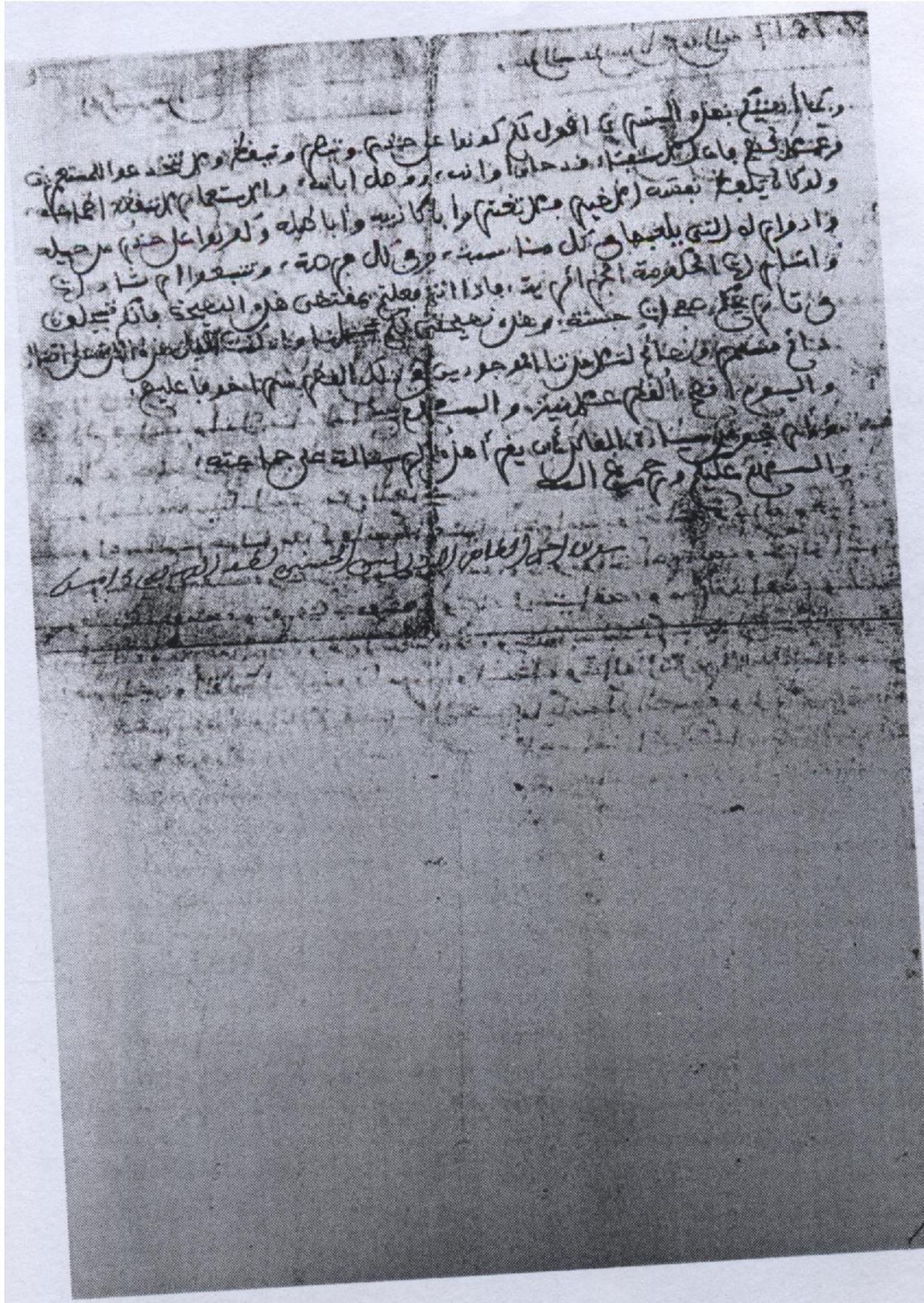
«تنبيه» أعلم أن العلوم ثلاثة أقسام. قسم عقلي محض كالحساب ولا يضر جهل قائله لأن دليله معه وهو اختبار كل باب من أبواب

الوسيلة والمقام المحمود أن يجعله يوم الورود وصلة لحوضه المورود وان
ينفع به كما نفع باصله وان يجعله خالصا لوجهه الكريم متفضلا
بقبوله انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وقد كمل هذا الشرح
ولسان الحال يقول :

لست أدري ماذا أقول واني ضاق ذرعي عن ترهات التقول
غير أنني أستغفر الله مني وقصوري مع ادعاء التَّفَعُّل
ولرب كل الامور له الحمد دواما وقد أدام التفضل
ثم بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى
يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

وكان الفراغ من تبييضه في اليوم السادس عشر من شوال سنة
ست وسبعين وثلاث مائة وألف هجرية رزقنا الله خيرها وخير ما بعدها
إلى الممات وكفانا شرها وشر ما بعدها ومن جميع الآفات بجاه
صاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله
رب العالمين.



تابع رسالة الشيخ مولاي أحمد الطاهري لأعيان رقان

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله 1962/6/7

من كاتبه الذي وضع لأسمه آخر وسمه إلى سعادة قائد عرش رقان وجماعته الشرفاء والمرابطين والعرب وغيرهم، كل واحد باسمه وكرم وسمه، هذا فالحمد لله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مادامت للبحر حركاته وبعد :

فيهدي المحب بعد شوقه الذي لا يحصر وكنتم قلبه الذي بغير لقاءكم لا يجبر، وأنه لا زال يتذكر أياما مرت لنا معكم، ما كان أحلاها وأوقات سلفت لنا معكم، قصارا ما كان أهنأها، ماكنت بغير النظر أقنع منكم، ولا بالسماع أتصبر عنكم، وها أنا قبل اليوم راض بدون ذلك، متأسفا على ما هنالك، وبقلي عليكم شوق أقلق الأحشاء بتصاعد الزفرات وأذكى بناره المبهج النفوس، وأجراها على صفحات الخد عبر البكاء، وأضر جفنه الضر يحث تابع السهر والسهاد وفتت حبل تقلبه الجريح بطول الفرقة وإرجاع عن هاتك البلاد بلاد الصالحين والزهاد.

وإن سألتكم عن حالنا بعدكم فإنه كحال محب زاد غرامه، وتضاعف وجده وهيامه وكثرة أسقامه وطال داؤه وعز دواءه وتوالت أحزانه وتحركت أشجاناه وفاضت دموعه وتفرقت جموعه وزاد إشتياقه ومر مذاقه وشطت داره وبعد مزاره وقل إصطباره وحلت به لبعادكم جميع الأسقام وقد أقسم العين والقلب أن لا يزوق سرورا ولا غمضا وتحالفا أن لا يزال على البكاء حتى يرى بعضنا بعضا.

والقلم لا يقدر على التعبير بما يكنه لكم الضمير واني لا أرى من الواجب علي ونحن في هذه الأيام التي تسري فيها لأجسامنا الحياة كما يسري الماء في العود حيث طلع على قطرنا العزيز وبلدنا الحبيب الجزائر سعد السعود وكان لزاما علي أن أرسل إليكم هذه الرسالة وأزف للأهل والوطن جميعا هذه البشارة وإن كنت أنا من أحد الناس لمن يبشرني

نص رسالة الشيخ مولاي أحمد لأعيان رقان

الملاحق

وقد تحققت أمنيّتنا ولله الحمد، وطالما كانت أنفسنا تتشوق إليه وتتشوق ليومها منذ زمان طويل حين كنا في أصعب الظروف وأشدّ الأزمات حيث كان الواحد لا يأمن على نفسه وحرّيمه من الاستعمار الظالم حيث أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بعد التهجم علينا وعلى طلبتنا ومحلاتنا، وما ذقناه من أنواع الحرارة في تلك الأيام وقد تحققت أمنيّتنا ولله الحمد بفضل كفاح جبهة التحرير ومواصلة جهادها وصبرها في سبيل تحرير البلاد وتبصر الحكومة الجزائرية وتيقظها وفطنتها وقدرها على الأخذ بزمام الأمور وقود هذه السفينة إلى ساحل النجاة وقد كانت ضار الوغى فأحرى إذا كانت داخله أسعد الله هذه الدولة المباركة وحرسها وألقى محبتها في القلوب وغرسها وأنبتها نباتا حسنا وكفلها بزعمائها الأبطال وعمدها بعلماء الشريعة الإسلامية حتى توتي أكلها حين ياذني ربها.

وكما أهنتكم بهذه البشرية أقول لكم كونوا على حذر وتبصر وتيقظ ولا تتخدعوا للمستعمرين وعملائهم فإن الإستفتاء قد حان أوانه ووصل إبانه والاستعمار لا تنقطع أطماعه ولو كان يلفظ نفسه الأخير فلا تغتروا بأكاذيبه وإبطاله وكونوا على حذر من حيله وأدواره التي يلعبها في كل مناسبة وفي كل فرصة وتتبعوا إرشادات وإشارات الحكومة الجزائرية فإذا أنتم فعلتم بمقتضى هذه النصيحة فإنكم تسجلون في تاريخكم صفحات حسنة وهذه نصيحتي لكم بجهدنا وإن كنت أقبل هذه الفرقة على اتصال دائم مستمر ونصائح لتلامذتنا الموجودين في ذلك القطر سرا خوفا عليهم واليوم أنصح القطر علانية والسلام.

وأرجو من سيادة القايد أن يقرأ هذه الرسالة على جماعته والسلام عليكم ورحمة الله.

مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني لطف الله به أمين

تابع نص رسالة الشيخ مولاي أحمد لأعيان رقان

فهرس الأعلام والأماكن

أ

- أحمد بومعزة, 132, 199
أحمد خليلي, 161
إدريس الأكبر, 70, 71
إدريس بن الكوري, 38
أقاسم عبد العزيز, 46
أقوجيل عبد القادر, 61, 64
الإمام مالك, 72, 80, 95, 114, 143, 146, 196
الحاج أحمد بن الحاج قاسم, 176, 213
الحاج أحمد بن عيسى, 162
الحاج أحمد بوسعيد, 130
الحاج أمجد الكنتي, 133
الحاج أمجد خليلي, 64
الشيخ إبراهيم بن جراد, 133
الشيخ أحمد ديدي, 83
الشيخ بن آب الزموري, 220
الشيخ سيدي أحمد ديدي, 84, 179
العقيد "أو", 38
أمباركة رحموني, 77

ب

- الشيخ بابا حسن, 133

- الشيخ بوبكر مرزوق, 47
الشيخ بوعلام, 83
البشير العامري, 46
ابن بطوطة, 29
باجي مختار, 63
باخدة عبدالله, 43
بان, 33, 36, 39, 52, 89, 90, 138, 181, 192, 222
برادعي الطيب, 43
بشراير فوضيل, 52
بشير نور الدين, 60
بضياف قدور, 54
بلعقون أحميدة, 47
بلعيد احمد, 47
بن السي حمو عبد الله بن أحمد, 61
بن حمادي مُجَّد الصالح, 54
بن عيشاوي مُجَّد, 55
بن هجيرة, 46
بوجمعة بوسعيد, 63
بوجناح سليمان, 42
بوحادة عبد القادر, 46
بودواية بودواية, 44, 47
بوضفر الحاج علي, 65
بوعلام باقي, 45
بوعمامة الذيبه, 65
بيار بوشي, 49

بيفور علاال, 44

بيجار, 44, 53, 54, 55

بيدة مُجّد العطشان, 48

بيرادعي مولاي سليمان, 55

ج

الجومي أبا حسان, 61

جاك سوسفال, 172

جيرارد روهلف, 35

د

الدين سليمان, 47, 182

دراية أحمد, 60

دوكولب, 35

دي كرافكار, 49

ديدي مولاي عبد الكريم, 61

هـ

هاشمي أُمّجّد, 15, 47, 52, 56

هنري بارث, 35

هوارى بومدين, 58

ز

الزاوي الشيخ بالمبروك, 47

الزاوي سليمان, 54

الزاوي مول الفرعة, 47

السيدة زينب بنت سيدي عبد الرحمن الالعال, 221

ح

- الشيخ مولاي الحاج, 131, 132, 133, 171, 201
الحاج الحسن بن الحاج الطيب التليلاني, 130
أبو حمو موسى الأول, 103
حساني مولاي عبد الكريم, 131
حمداوي حمو, 46
حمو كابويا, 64
حمو نكلو, 64
حموية غانمي, 77
حناني علي, 51, 56

ط

- أولاد الطالب بجوص, 64
أولاد الطالب ميلود, 63
الطيب فرحات, 58

ي

- يعقوب المنصور, 103

ك

- كابويا أحمد, 43
كاميل دولس, 35

ل

- العقيد لطفلي, 47
لابيرين, 40

لافريار, 35

لافيجري, 168

لعموري, 60

لقرع الشيخ, 55

لقصاصي الحاج قدور, 75

لقصاصي عبد القادر بن سيد أحمد, 61

لمطوش بحوص, 55

ليتيم الشيخ, 52

م

المنصور الذهبي, 34

المهدي باجودا, 36

الشيخ محمد باي بلعالم, 75, 122, 130, 133, 134, 169, 177

الشيخ محمد عبد العزيز سيدي عمر, 177, 178

الشيخ سيدي محمد عبد الكبير بكري, 156

الشيخ الحاج محمد بكاري, 118, 131, 133

الشيخ الحاج محمد حرمة, 132

السي محمد الرقاني, 130

السيد محمد الحسن بن الحاج عبد السلام الجعفري, 131

الحاج محمد بن الحاج أحمد البوحامدي, 131

الحاج المختار بن أحمد البرماكي, 130

مارسيل بالاث, 35

متوكل محمد, 64

محمد ابن الحاج, 75, 121

محمد الدباغي, 161

- مُحَمَّد الشرف مساعفة, 60, 64
مُحَمَّد المقدم, 161
مُحَمَّد الناجم, 62
مُحَمَّد بلكبفر, 17, 43, 44, 58, 65, 68, 69, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82,
136, 135, 134, 131, 113, 110, 107, 103, 96, 89, 88, 85, 83,
159, 158, 155, 153, 152, 151, 146, 143, 142, 139, 138,
184, 183, 182, 180, 179, 178, 176, 169, 165, 162, 160,
219, 190, 187
مُحَمَّد بن الطفب, 40, 198
مُحَمَّد بن عبء الرءمن أبل نعامة, 24
مُحَمَّد بن عبء الكرفم البكرى, 84
مُحَمَّد بن عبء الكرفم المغفلى, 18, 131, 221
مُحَمَّد بن عبء الله, 17, 30, 40, 70, 77, 152
مُحَمَّد بوقنءى, 162
مُحَمَّد مءموء بن الشفء, 169, 173, 174, 212
مرابطى مُحَمَّد البركة, 61
مصالى الءاء, 44
مناء عبء القاءر, 54
منسى موسى, 32
مولاء أءمء الرقانى, 64
مولاء اءمء الطاهرى, 16, 17, 22, 24, 28, 30, 33, 44, 58, 65, 66, 68,
69, 70, 73, 74, 75, 76, 98, 103, 111, 113, 118, 120, 121,
122, 123, 125, 126, 133, 159, 165, 169, 170, 171, 173,
174, 175, 176, 178, 184, 190, 194, 195, 196, 197, 198,
199, 200, 202, 205, 206, 207, 208, 211, 213, 214, 221, 222

- مولاي المهدي بن السي حمو, 64
مولاي عبد الله الرقاني, 37, 217
مولاي عبد الله الرقاني ولد مولاي العباس, 37
مولاي عمر الذهبي التيلوليني, 130
مولاي مبارك بن مولاي عبد الرحمن, 218
ميديو كايتا, 59
ميشال دوبري, 172
مينسترال, 38

ن

- الناصرى العيد, 55
نوارى نوار, 47
نيكلو, 49

س

- الحاج سالم بن براهيم, 87
سالم بوجلي, 65
سانتناك, 53
سرفيار, 39, 40
سلكة بومدين, 43, 44, 45, 46
سليمان بن عبد الله, 51
سنيسنة دربالي, 46
سي يحيى بوبرينيس, 63
سيد الحبيب بلحبيب, 129
سيد الحسان الانصاري, 161
سيد لحبيب, 61

سیدی عبد الله العصنونی, 219

سیدی مُجَّد البکری, 219

سیکو توری, 59

ع

الشیخ مولای عبد الله الطاهری, 126, 132, 159, 202, 205, 222

الشیخ عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بکراوی, 158

الشیخ الحاج عبد الکریم بلحیب الجعفری, 131

الحاج عبد الرحمان حفصی, 130

الحاج عبد القادر بکراوی, 161

الحاج عبد الکریم الدباغی, 161

عامر الهامل, 72

عبد الحفیظ بوصوف, 59, 62

عبد الرحمن بن بوفلجة, 85

عبد العزیز بوتفلیقة, 60

عبد الغانی عقی, 47

عبد القادر بن سیدی أحمد دیدی, 64

عبد القادر کحلوش, 52

عبد الکریم البلبالی, 83

عبد الله بلهوشات, 60, 64

عبد الله بن مُجَّد, 70, 77, 158

عبد المعطی, 69, 70, 71, 72, 73

علی بن عمار, 54

علی بن مسعود المحرزی, 15

عمار أقاسم, 87

عمر أوصديق, 60
عيساني شويشي, 60

ف

فالكونيقي, 39
فرانز فانون, 59
فرجاني الحاج أحمد, 61
فرحات حميدة, 59
فرحات عباس, 44
فلامون, 35

ص

الحاج الصالح اكادو, 162
الحاج الصالح, قدور لقصاصي, 64
صدار السنوسي, 59
صلاح الدين الأيوبي, 102
صوايي, 48, 49

ق

قتنيول, 49
قلوم الشيخ, 45, 64

ر

راميلون, 40
روهر, 53

ش

شارل دي فوكو, 168

شونان مُجَّد بن مختار, 42

ت

الشيخ مولاي التهامي غيتاوي, 77, 160, 204

خ

ابن خلدون, 14, 18, 26, 30, 33, 71, 209

السي خلادي, 45

ذ

الذبية مُجَّد, 42

فهرس الأماكن

أ
-

- اباعد الله, 18
اباعد الله الفوقاني والتحتاني, 18
أبنكور, 18
أبنيلو, 17
أت عيسى, 16
اتزيرية, 22
أجدير, 16
آجتور, 16
أدرار, 13, 14, 15, 18, 19, 21, 34, 38, 40, 43, 44, 45, 48, 49, 50,
55, 60, 63, 64, 66, 107, 110, 111, 113, 131, 134, 135, 148,
159, 160, 169, 176, 179, 180, 189, 196, 204, 205, 213
آدغا, 18
ادغاغ, 161
ارباق اجراد, 56
ازرافيل, 22
أزواد, 212
أسبع, 17
أظوى, 19
أعباني, 19
أغرما ملال, 19, 218
أغيل, 218
إغزر, 15

- أغزير, 218
أغلاذ, 15
أغيل, 19
إفريقيا, 14, 73, 105, 116, 195
إفیان, 183
أقبلي, 24, 38, 216
أقبور, 25
اقسطن, 36, 37, 220, 216
أقلهوك, 62
إقليم توات, 14, 18, 104, 113, 165, 171, 176, 178, 187, 188, 189,
190, 195, 204, 211, 215
إكيس, 19, 218
الايض سيد الشيخ, 161
الأحمر, 218
الأزواد, 173
الأغواط, 167
الاهقار, 168, 206
البركة, 25, 61, 154
البيض, 39, 41, 47, 117, 130, 167, 168, 179, 184
الجديد, 19, 22, 24, 49, 126, 175, 217
الجديد, 22, 36, 50, 104, 122, 132, 135, 180, 206, 218
الجزائر, 13, 15, 16, 20, 21, 25, 35, 36, 37, 38, 39, 41, 43, 46, 47,
51, 57, 58, 59, 66, 74, 76, 78, 80, 83, 88, 95, 98, 101, 103,
107, 111, 116, 126, 136, 139, 142, 147, 151, 155, 156

- ,183 ,182 ,181 ,178 ,176 ,172 ,168 ,166 ,165 ,160 ,158
221 ,212 ,208 ,206 ,204 ,203 ,202 ,195 ,191 ,188 ,186
الحاج قلمان, 15, 221
الخلفي, 19
الدعامشة, 16
الدغامشة, 16, 25, 37
الركينة, 24
الزاوية, 19, 25, 66
الزاوية البكرية, 82, 89, 90, 92, 96
الساقية, 16
الساهلة, 16, 25, 36, 216
الساورة, 13, 14, 21, 27, 34, 45, 48, 50, 55, 61, 167, 216
السودان, 18, 21, 24, 30, 31, 32, 65, 116, 215, 217, 218
الشويطر, 25
الشيخ, 15, 17, 18, 19, 21, 22, 24, 28, 29, 30, 42, 43, 45, 46, 47,
52, 55, 56, 58, 64, 65
الطيبات, 162
العراق, 217
العرق الغربي الكبير, 14, 15, 26, 46, 56, 171
العريشة, 91
العلوشية, 19, 22, 64, 75, 131, 132, 159, 205, 212, 217
الغمارة, 17, 77
الغمارين, 17
القرارة, 17
القصيبة, 17

- القنيطرة, 156, 158
المحارزة, 121, 217
المحفوض, 19
المدرسة الطاهرية, 101, 111, 115, 118, 120, 133, 160
المدينة المنورة, 71, 136, 146
المرقب, 24
المستور, 23, 217
المشرق الإسلامي, 102
المشرية, 41, 91, 156, 157
المطارفة, 16, 39, 131
المغرب, 13, 14, 30, 32, 70, 71, 73, 80, 84, 85, 86, 95, 102, 124,
125, 130, 136, 141, 143, 144, 146, 156, 157, 178, 198,
201, 205, 208, 214
المغرب والأندلس, 102
المناصير, 19, 218
المنصور, 17, 22, 24, 34, 103, 217
المنصورية, 18, 219
المنيعة, 15, 38, 57, 216, 220
المهدية, 18, 177
النفيس, 22, 70, 217
النيجر, 172
الهبللة, 17, 216
الوجدة, 16, 220
أمقيدن, 13, 15, 27
انافيف, 62

- انتاديني, 63
انتدني, 63
أنتكو, 63
انجزمير, 218, 19, 161
انزقلوف, 217, 22
أو مراد, 16
أوجلان, 17
أوفران, 16
أوقديم, 162, 160, 18
أوقروت, 220, 162, 16, 14
أوكرت, 16
اولاد ابرهيم, 18
أولاد إعيش, 17
أولاد الحاج, 218, 148, 25, 19, 18
أولاد الحاج ما مون, 18
اولاد أنقال, 18
أولاد أوشن, 18
أولاد برشيد, 19
أولاد بوحفص, 18
أولاد راشد, 39, 16
أولاد سعيد, 15
أولاد عروسة, 18
أولاد علي, 220
أولاد علي لقراشة, 16
اولاد عيسى, 220, 18

أولاد محمود, 16
أولاد مولاي, 19, 24
أولف, 23, 44, 130, 148, 216
أومسعود, 16
آيت المسعود, 22, 217
إينغر, 25, 37, 38, 216

ب

باحو, 23, 131, 133, 217
باخلا, 17
بادريان, 16
باريس, 160
باعمور, 19, 218
بالحاج, 18
بيا عده, 16
بتسايت, 13
بتتركوك, 13
بجاية, 103, 218
بحاسي مسعود, 76
بربع, 18
برماته, 22
بريش, 23, 217
بريطانيا, 173
برينكان, 17
بسكرة, 31

- بشار, 29, 41, 44, 47, 50, 116, 122, 161, 167, 203
بفقيق, 47
بلاد الاهقار, 61
بلاد الهقار, 216
بن دراعو, 17
بن طلحة, 17
بن هني, 19
بني اللو, 77, 78
بني تامر, 18, 83
بني عباس, 56, 168
بني مهلال, 16, 118, 131, 133
بني وازل, 17
بني ونيف, 41, 133
بوانجي, 19 بوانجي, 218
بويرنوس, 48
بوجمادة, 69
بوحامد, 19, 218
بوخلالة, 44, 54, 55
بودة, 13, 17, 18, 77, 78, 86, 91, 134, 179, 219
بورام, 62
بوعلي, 19, 218, 218
بوفادي, 18
بوجيا, 19

د

الدرامشة, 16
دلدول, 16, 39, 220
دماغ العبيد, 56
دمغت مولاي, 57

هـ

هضبة تادمايت, 23, 25, 26

و

وادي مسعود, 27
ودغاء, 219
ودغة, 19
ورقلة, 76, 166
وهران, 33, 43, 50, 61, 192
وينة, 18

ز

زاقلو, 19, 218, 121, 122, 161
زاوية الحشف, 23, 217
زاوية الدباغ, 15, 161, 221
زاوية الرقاني, 22, 130, 216
زاوية الشيخ, 17
زاوية الشيخ بن عمر, 17
زاوية المحارزة, 218
زاوية بلال, 19

- زاوية حنون, 24
زاوية سيدي البكري, 18
زاوية سيدي الحاج بلقاسم, 16
زاوية سيدي بونعامه, 24
زاوية سيدي حيدة, 17
زاوية سيدي عبد القادر الكنتي, 19
زاوية سيدي مُجد عريان الراس, 216
زاوية كنتة, 19, 65, 218
زرافيل, 217
زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي, 218

ح

- حاسي الحجر, 216
حاسي بن خليل, 57
حاسي بوزيد, 48
حاسي تاسلغة, 48, 50
حاسي ثلجة الأولى, 56
حاسي زيرارة, 56
حاسي صاكة, 48, 50
حاسي علي, 55, 56, 57
حاسي غمبو, 51, 52
حاسي غنبو, 56
حاسي قدور بن يحيى, 57
حاسي لحجار, 25
حاسي مسعود, 166

حماد, 17, 141

ط

طلمين, 16, 34, 40

ك

كالي, 15, 221

كبرتقن, 16, 220

كرزاز, 162, 216

كوسام, 13, 15, 18, 83, 84

كيدال, 62

ل

لحمر, 16, 19

لعياد, 17

لغمارة, 86

لقصابي, 17

لقطاب, 55, 56

لكحل, 25

لمحارزة, 22

لمعيز, 17

لمنيعة, 216

م

مازونة, 102, 157

ماسين, 16, 220

مالي, 19, 32, 57, 59, 60, 62, 63, 172, 205

متللي, 202, 216
مدرسة الشيخ بلكبير, 133, 135
مدرسة الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير, 158, 160
مدرسة مصعب بن عمير, 133
مراقن, 220
مراكش, 69, 72, 80, 146, 156
مصر, 102, 139, 145, 149, 152, 153, 221
مطربون, 24, 216
مكرة, 19
مكيد, 19 مكيد, 218
ملوكة, 18, 83
مليانة, 25
مهدية, 219
ميمون, 18, 23, 66, 72, 217

ن

نعمة, 16
نوم الناس, 18, 219
نومناس, 158, 161
نيسابور, 102

س

سالي, 19, 22, 23, 34, 64, 65, 66, 75, 76, 110, 112, 115, 121,
124, 125, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 160, 196, 205,
212, 217, 218 سالي, 175
ساهر, 24

سبع, 220

سجلماسة, 31

سموتة, 16

سوريا, 151, 191

سيدي عبد الله, 13, 15, 16, 73, 83, 84, 219

سيدي يوسف, 19

ع

عرق الشاش, 13, 24, 26

عريان الراس, 17

عزي, 19, 219

عسلة, 162

عمنات, 24

عين الصفراء, 41, 162

عين أميناس, 76

عين بلبال, 24, 216

عين جلو, 16

عين حمو, 15

عين صالح, 13, 17, 25, 35, 37, 64, 76, 166, 169, 216, 219

ف

فاتيس, 15, 47, 182

فاس, 71, 84, 157, 198, 218, 219

فرعون, 16

فرنسا, 23, 43, 157, 166, 168, 169, 171, 173, 182, 183, 188,

212, 204

فقارة الزوى, 25
فقارة العرب, 216
فقارة لعرب, 25
فنوغيل, 18, 64

ق

قاو, 60
قاوا, 59, 60, 61
قراة, 220
قرن الرثمائة, 56
قرن القصعة, 48, 56
قرن بوقرافة, 57
قسنطينة, 103
قصبه الجنة, 22
قصبه الحاج مبارك, 217
قصبه الشرفاء, 24
قصبه القايد, 134
قصبه الكاف, 16
قصبه النجار, 22
قصبه أولاد مولاي بوفارس, 19
قصبه أولاد مولاي لحسن, 19
قصبه باب الله, 22
قصبه بلال, 24
قصبه حبادات, 24
قصبه مولاي علي, 22

قصبه مولاي هببة, 216

قصبه ميخاف, 24

قصر العرب, 25

قصر سيد الشريف, 22, 121

قصر قدور, 15

قصر مولاي العربي, 22

قصر مولاي عبد الواحد, 22, 130

قورارة, 13, 14, 15, 16, 17, 21, 27, 28, 36, 40, 46, 86, 87, 91,

169, 159

قوقو, 24

ر

رقان, 17, 19, 20, 21, 22, 26, 27, 34, 58, 64, 75, 110, 130, 161,

196, 205, 213, 214, رقان, 13

ش

شروين, 16, 39, 220

شفشاون, 69, 214

شنقيط, 74, 147, 200, 205

ت

تا سفاوت, 219

تابلكوزة, 15

تاجليزي, 16

تاخفيقت, 19

تاريدان, 18

- تازول, 19, 133
تازولت, 132, 218
تاسفاوت, 16, 21
تاسليت, 62
تاعرابت, 217
تاغوزي, 16
تاغيارت, 16
تاكده, 30
تالة, 16
تامست, 175
تاورسيت, 16, 220
تاوريحت, 16
تاويرت, 16, 22, 75, 216
تبرغامين, 16
تبلكوزة, 13, 216
تبو, 16, 39
تدكلت, 76
تسايت, 14, 17, 30, 34, 162, 220
تساليت, 63
تسفاوت, 19, 27, 131, 132, 220
تعرايت, 22
تعربين, 16
تعنطاست, 15
تقراف, 24
تلالت, 16

- تلمسان, 14, 71, 84, 85, 86, 90, 102, 103, 218, 219
تلولين, 75
تمادين, 217
تماسخت, 19
تمبكتو, 62, 74, 75, 173, 205
تمبكتوا, 208, 212
تمقطن, 24, 148
تمراست, 63, 64, 131, 161, 216
تمنطيط, 18, 64, 82, 83, 84, 118, 156, 208, 219
تيمون, 220
تنجورارين, 120
تندوف, 19
تنزروفت, 13, 20, 21, 27
تنقليل, 16
توات, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26,
27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41,
42, 43, 45, 46, 47, 48, 49, 56, 58, 61, 65, 66, 67, 69, 74,
75, 76, 78, 80, 81, 83, 88, 92, 93, 96, 97, 98, 101, 103,
104, 105, 107, 108, 109, 111, 112, 113, 116, 118, 122,
126, 127, 128, 129, 130, 132, 133, 135, 136, 137, 138,
151, 156, 160, 162, 165, 173, 174, 175, 176, 177, 178,
180, 187, 188, 189, 190, 191, 195, 196, 200, 202, 203,
204, 205, 206, 207, 208, 210, 211, 212, 214, 215, 216,
217, 218, 219, 220, 221, 222
توقرت, 167

- توكي, 16, 18
تونس, 15, 60, 209
تيدكلت, 20, 23, 24, 25, 38, 45, 77, 113
تيدماين, 19
تيدكلت, 19, 23, 134
تيط, 24, 34, 38
تيطاف, 19
تيطاوين, 19 تيطاف, 218
تيكورارين, 14, 34
تيلولين, 19, 34, 64, 121, 130, 218
تيلولين الشرفاء والمرابطين, 19
تيليوين, 16
تيمادانين, 22
تيمي, 17, 18, 38, 40, 44, 207, 219
تيميمون, 13, 15, 38, 39, 44, 45, 48, 49, 50, 52, 54, 55, 77, 86,
87, 88, 91, 131, 134, 159, 169, 179, 200, 220, 221
تين جلات, 16
تينركوك, 14, 52
تينكرم, 16
تينورت, 23, 217
تينولاف, 22, 217
تينيلان, 18
تيوريرين, 19, 218
تاخيفت, 218

غارداية, 202

غارداية, 41, 75, 167, 200, 206

غرمانو, 19, 218

غينيا, 60, 62

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
أولاً: المصادر المخطوطة

- 01- (ابن بابا حيدة) مُجَّد الطيب بن عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج مُجَّد بكَراوي، زاوية سيد البكري، أدرار.
- 02- البداوي مُجَّد بن عمر الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة بن حسان، تنيان، أدرار.
- 03- بكرابي القاضي سيدي مُجَّد بن عبد الكريم رحمه الله: جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، مخطوط، بالخزانة البكرية، بتمنطيط.
- 04- التمنطيطي مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.
- 05- التنايني عبد الرحمان بن إدريس: الرحلة من توات إلى الجزائر، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.
- 06- التنايني عبد الرحمن بن عمر: الرحلة الحجية، مخطوط بخزانة بن الوليد، قصر با عبد الله، تيمي، أدرار.

ثانياً: المصادر المطبوعة

- 07- الباجوري إبراهيم: تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: عبد الله مُجَّد الخليلي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2004م.
- 08- البرتلي أبو عبد الله الطالب مُجَّد: فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور، ط01، تح : ابراهيم الكتاني و مُجَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

المصادر والمراجع

- 09- البصري الإمام أبو مُحَمَّد القاسم بن علي الحريري: شرح ملحمة الإعراب، تحقيق : فائز فارس، ط1، دار لأملب للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م.
- 10- ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : عبد الهادي التازي، ج04، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م.
- 11- التسولي أبا الحسن علي بن عبد السلام: البهجة في شرح التحفة، تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998م.
- 12- الخطاب أبا عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد: تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة، تحقيق: أحمد سحنون، ط/ وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1988م.
- 13- الخضري مُحَمَّد: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ط6، المطبعة الأزهرية، مصر، 1926م.
- 14- ابن خلدون عبد الرحمان بن مُحَمَّد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج07، تح : خليل شحادة، مر : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- 15- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1980م.
- 16- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله: تاريخ السودان، مطبعة هودس، باريس، 1981م.
- 17- بن سودة عبد السلام بن عبد القادر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق: مُحَمَّد حجي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1997م.
- 18- بن سودة عبد القادر: سل النصال للنضال بالأشياخ و أهل الكمال، تحقيق : مُحَمَّد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1897م.
- 19- السيوطي الإمام جلال الدين عبد الرحمن: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق : يوسف النبهاني، ط1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2003م.

المصادر والمراجع

- 20- السيوطي الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات المفسرين، تحقيق: علي مُحمَّد عمر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، 1976م.
- 21- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات الحفاظ، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1983م.
- 22- الشنقيطي مُحمَّد النابغة الغلاوي: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي، تحقيق : لخضر بن مُحمَّد بن قومار، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان : 2009م.
- 23- الصفدي صلاح الدين خليل ابن أيبك: الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شيتايز، قيسبادن ، 1981م.
- 24- الطاهري الشيخ مولاي أحمد: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، ط01، تح: مولاي عبد الله الطاهري، مطبعة مداد، الجزائر، 2012م.
- 25- الطاهري الشيخ مولاي أحمد: فتوحات آلله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، ج1، ط1، ترجمة لتلميذه وخليفته الحبيب بن عبد الرحمان العلوي، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1994م.
- 26- الطاهري الشيخ مولاي أحمد: كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجزوم، ط1، ترجمة للشيخ عن طريق تلميذه السيد الحبيب بن عبد الرحمان، مطبعة الواحات، غرداية، دون سنة طبع.
- 27- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت - لبنان، دون سنة طبع.
- 28- العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية، ماء الموائد، ج01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2016م.
- 29- الغزي بدر الدين مُحمَّد: الزبدة شرح البردة، تحقيق: عمر موسى باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.

المصادر والمراجع

- 30- الأوغواطي الحاج ابن الدين: رحلة الأوغواطي، تر: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وازاء في تاريخ الجزائر، ج02، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- 31- القرطبي الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج1،2،3، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، 2003م.
- 32- ابن كثير الإمام أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، ط1، ج10، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1988م.
- 33- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج1، مكتبة المثنى دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، دون سنة طبع.
- 34- المركشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج04، ط03، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- 35- الملوي العلامة: حاشية الملوي على شرح المكودي، القاهرة-مصر، 1936م.
- 36- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج03، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
- 37- الوزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، ج02، ط2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- ثالثاً: المراجع باللغة العربية
- 38- بلدية سالي: الأمانة العامة.
- 39- بلعالم محمد باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج01، دار هومة، الجزائر، 2005م.

- 40- بلبشير عمورة: السجل التاريخي لشهداء الثورة التحريرية لولاية ادرار(1954-
1962م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية ،منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار،
الجزائر، 2014م.
- 41- بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،
1995م.
- 42- بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1 ثورات القرن التاسع
عشر، ط2، المؤسسة الوطنية لنشر والاشهار وحدة الطباعة بالروبية، منشورات المتحف الوطني
للمجاهد، الجزائر، 1996م.
- 43- تواتي دحمان ومقلاقي عبد الله ورموم محفوظ: دور اقاليم توات خلال الثورة الجزائرية
1956 _ 1962، دار الشروق لطباعة والنشر، الجزائر، 2008م.
- 44- ابن الجزري أبو بكر شهاب الدين: شرح طيبة النشر، ط1، ضبط وتعليق: أنس مهرة، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997م.
- 45- جعفري مبارك: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي،
الجزائر، 2016م.
- 46- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ط3، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1980م.
- 47- جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة: السجل الذهبي لشهداء المقاومة
الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار، بدون طبعة، 1996م.
- 48- حاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، ط1،
الجزائر: 2003م.
- 49- عبد الحميد محمد محي الدين: التحفة السنوية بشرح المقدمة الآجرومية، ط2، دار الفيحاء،
دمشق - سوريا، 1997م.

المصادر والمراجع

- 50- حوتية مُجَّد: توات والأزواد خلال القرنين 12هـ و13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- 51- حوى سعيد: جولات في الفقهاء الكبير والأكبر وأصولهما، ط1، دار الشهاب عمار قرني باتنة - الجزائر، دون سنة طبع.
- 52- الإدريسي عبد الله بن عبد المعطي الحسني: الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع، المطبعة الطائية، دون سنة طبع، 1986م.
- 53- الإدريسي أحمد الشيباني: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، مكتبة رائد الأمان، الرباط، 1987م.
- 54- رودوسي قدور بن مراد: مجموع القصائد والأدعية، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، نهج مصطفى إسماعيل، الجزائر، دون سنة طبع.
- 55- الأزهري مُجَّد البشير ظافر: طبقات المالكية، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة-مصر، 2000م.
- 56- السباعي صالح بن بكار: الإنس والإمتاع في إعلام الأشراف أولاد أبي السباع، ط2، مطبوعات الرابطة العلمية للشرفاء السباعيين، الرباط، 2005م.
- 57- شيبان الشيخ عبد الرحمن: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 58- الصلابي علي مُجَّد: دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، عمان، 1998م.
- 59- عبد العزيز أحمد: صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر، بدون طبعة، بدون سنة.
- 60- العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت- لبنان، 2002

المصادر والمراجع

- 61- علي مُجَّد إبراهيمي: اصطلاح المذهب عند المالكية، ط2، دار البحوث للدراسات لإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة- دبي، 2002م.
- 62- غيتاوي مولاي التهامي: ألإشراق الكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال وحدة الروبية، الجزائر، 2002م.
- 63- غيتاوي الشيخ مولاي التوهامي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، ج2، ط1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، مارس 2005م.
- 64- فيغوا أبا الزبير عبد السلام أحمد: أمهات الكتب الفقهية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، دون سنة طبع.
- 65- فيكتور مالو سيلفا: رقان حبيبي، تر: سعيد بوطاجين، منشورات عدن، الجزائر، 2013م.
- 66- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)م، ج1، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- 67- قمحاوي مُجَّد الصادق: البحث والاستقراء في تراجم القراء، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - مصر، دون سنة طبع.
- 68- قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م.
- 69- لشقر مولاي أحمد: الإيداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، دون سنة طبع.
- 70- شوقلي جان: التصوف والمتصوفة، تر: عبد القادر قينتي، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، دون سنة طبع.

المصادر والمراجع

- 71- محرزى عبد الرحمن: هاشمى أمجد بن أحمد وصفحات مشرقة من تاريخ الثورة التحريرية بولاية أدرار، منشورات جمعية مشعل التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الرغاية، الجزائر، 2014م.
- 72- المالكي أبا الحسن عليّ: كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة - مصر، دون سنة طبع.
- 73- مقلاتي عبد الله ورموم محفوظ: الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الإستراتيجي في الثورة الجزائرية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2009م.
- 74- مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون سنة طبع.
- 75- مياسى إبراهيم: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 _ 1912م)، بدون طبعة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.
- 76- النفزاوي أبا العباس أحمد بن غني بن سالم: الفواكه الدواني علي ر سالة ابن أبي زيد القيرواني، مطبعة المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، دون سنة طبع.
- 77- أحمد بن أمجد بن علي بن حجر الهيتمي: المنح المكية في شرح الهمزية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - المملكة المغربية، دون سنة طبع.
- 78- بن يعقوب عبد المجيد: معارك العرق الكبير (1957 _ 1962م)، بدون طبعة، 1996م.

رابعاً: المراجع باللغة الأجنبية

- 79- A.G.P.MARTIN: Quatre siècles d'histoire marocain - france: Librairie Félix Alcan, 1923.
- 80- Lo (Capitaine): Les foggaras du Tidikelt, Travaux de IIRS, T.X 1953 et T.XI 1954.

- bernard Saffroy: Chroniquedu Touat, centre saharienne, -81
Ghardaïa, Algérie :1994
- louis voinot: ((le tidikelt étude sur la géographie -82
l'histoire et le mœurs du pays)), Bulletin de géographie et
d'archéologie de la provinc d'oran,t,1909.
- Mario vivarer: Au Sujer du Touat,Alger ; librairie -83
Michel Ruff, 1896.
- TILLON (G): LA QUANQUETE DES OUASIS -84
SAHARIENNES,PARIS:EDITIONMELITAIRES,
1903.
- Frantz fanon: pour la révolution africaine, paris, éd -85
François Maspero,1979.
- senoussi saddar: ondesdechoc,Alger,éditons -86
ANP,2002.
- Karl Suter: Etude sur la population et l’habitat -87
d’une région du SaharaAlgèrien.

خامساً: المعاجم والقواميس والفهارس

- 88- الترغي عبد الله المرابط: فهارس علماء المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم
الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي، تطوان المغرب،1999م.
- 89- لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 1998م.

90- مقلاتي عبد الله ومبارك جعفري: معجم أعلام توات، ط01، منشورات الرياحين، الجزائر، 2013م.

91- ابن منظور: لسان العرب، ج05، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

92- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1890م.

سادساً: الملتقيات والدوريات والوثائق الأرشيفية

93- بن براهيم الطالب سالم: مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، الملتقى الوطني المذهب المالكي وجهود علماء توات ودورهم في تفعيله وترسيخه ونشره، أدرار سنة 2004م.

94- بلعالم محمد باي: أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، محاضرة في الملتقى الوطني الأول للزوايا، تنظيم ولاية أدرار، ماي 2000 م.

95- تياقة الصديق: نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار، 14 أبريل 2009م.

96- جعفري مبارك: الشهيد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني قائد مقاومة الدغامشة بعين صالح حياته وجهاده (1833 - 1900)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، ع17، ديسمبر 2017م.

97- بن زينة أميدة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية ادرار، أيام: 1، 2، 3، ماي 2000م.

98- المصري مبروك: المدرسة الفقهية التواتية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى 2004م، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر. ملحقه جامعة الجزائر، بوزريعة، الجزائر.

99 - مياسي براهيم: مأوية إحتلال تيدكلت، مقال، جريدة اليوم، 2000م.

المصادر والمراجع

- 100- مجلة أول نوفمبر، العددان 152/151، سنة 1997م.
- 101- قناتف مُجَّد المكي: تقرير من مدير المعهد الإسلامي بآدار(عن المنطقة)، مديرية التربية الدينية نيابة المعاهد، وزارة الأوقاف، 1965م.
- 102- قلوب مكي: "الغزو العسكري الاستعماري لأقصى الجنوب والمقاومة المسلحة الشعبية لمنطقة توات وتيدكلت وتيقورارين في مجابهة هذا الغزو"، مجلة افاق التنمية، ادار، 1987م.
- 103- مولاي عمر الطيب: التعريف بمعارك العرق الغربي الكبير، الملتقى التاريخي الأول المنعقد بتاريخ 20 _ 1997/12/21م، بتيميمون.
- 104- مياسي إبراهيم: مؤوية احتلال تيدكلت، مقال نشر بجريدة اليوم، بتاريخ 2000/03/9م.
- سابعاً: الرسائل والأطاريح
- 105- بابا عبد الله: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112-1421هـ / 1700-2000م، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بو صفصاف، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، غير مطبوعة، جامعة أحمد دراية- أدرار الجزائر، السنة الجامعية (2011-2012)م.
- 106- بكر اوي مُجَّد عبد الحق: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي مُجَّد بن الكبير، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، إشراف: سعيد فكرة، كلية علوم الشريعة تخصص فقه وأصول، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية (2016-2017)م.
- 107- بوسعيد أحمد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ / 18م، رسالة ماجستير غير منشورة، تاريخ عام، تخصص: التاريخ المغربي الاجتماعي والاقتصادي، إشراف: مُجَّد حوتية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار، السنة الجامعية (2011-2012)م.

المصادر والمراجع

- 108- ختير الصافي: النضال السياسي والثوري في إقليم توات (1956-1962)م، مذكرة ماجستير غير منشورة، تاريخ عام، إشراف: بلقاسم بوعلام، قسم العلوم الإنسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية (2011-2012)م.
- 109- ديدي مُجَّد وبكراوي عبد العزيز: إستراتيجية الثورة التحريرية في الصحراء الجبهة الجنوبية كنموذج، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار، السنة الجامعية (2005-2006)م.
- 110- رضوان لحسن: الدور التربوي والاجتماعي لزواية سيدي بلكبير دراسة سوسيو انترولوجية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الانتروبولوجيا، تحت إشراف: مُجَّد رمضان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم الثقافة الشعبية فرع: الانتروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية (2004-2005)م.
- 111- الطاهري عبد الله: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني وحياته العلمية (1905-1979)م، مذكرة لنيل شهادة الأستاذية غير منشورة، إشراف: أ. أحمد مريوش، المدرسة العليا للأستاذة في الأدب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والجغرافية، بوزريعة، السنة الجامعية (2006-2007)م.
- 112- الطاهري عبد الله والطاهري عبد المالك: المدرسة الطاهرية العتيقة (1944-2016)م، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ، غير منشورة، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: أ/ أحمد بوسعيد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار الجزائر، السنة الجامعية (2016-2017)م.
- 113- بن عبد المؤمن بهية: الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18 - 19)م، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف : د. مُجَّد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (2005 - 2006)م.

- 114- عباس عبد الله: التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: د. موسى لقبال بمساعدة بشار قويدر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1997-1998)م.
- 115- محجوبي عبد العزيز وبن عزاوي مُجّد: شخصية مولاي أحمد الطاهري ومآثره في توات، رسالة تخرج غير منشورة، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية، بسكرة، السنة الدراسية (2005-2006)م.
- 116- مسعودي زهرة: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م الى القرن 20م، رسالة ماجستير غير منشورة، المشرف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة أحمد دراية - أدرار، السنة الجامعية (2009 - 2010)م
- 117- ميسوم ميلود: مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، إشراف: أ.د. عبد الحميد حاجيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، (2002/2003)م.
- 118- نواري مُجّد السالم: المدارس القرآنية و آثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ مُجّد بلكبير نموذجا، مذكرة ليسانس، قسم اللغة العربية و آدابها، إشراف: أحمد الأمين، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، (2003 / 2004)م.
- ثامناً: الشهادات والمقابلات
- 119- أقاسم عمار: شهادة مخطوطة (نضال و جهاد منطقة تيميمون و الساورة و منطقة الجنوب (1947-1962) م، خلال (2005-2006)م.
- 120- بختي بوجمعة: احد خريجي المدارس الدينية إمام مدرس بمسجد قصر النجار سالي، مقابلة بتاريخ 2018/07/12م، بسالي على الساعة 10:00سا.

المصادر والمراجع

- 121- بكاري الشيخ الحاج مُحمَّد: شيخ مدرسة بني مهلال، مقابلة على هامش سلكة الشيخ مولاي أحمد وختم صحيح الإمام البخاري، المدرسة الطاهرية بتاريخ 2017/10/21م.
- 122- بكرابي مُحمَّد عبد الحق: أحد تلامذة الشيخ أستاذ بجامعة أدرار قسم العلوم الإسلامية، مقابلة في منزله بأدرار، بتاريخ 2018/05/05م على الساعة 10:30 سا.
- 123- بلكير أحمد: نجل الشيخ بلكير، مقابلة بمدريتهم بأدرار، 2019/12/11م، الساعة 20:45 سا.
- 124- بلقون ميلود والدين سليمان وآخرون: مجاهدين، شهادة في إطار البطاقة التاريخية، بتينركوك و تيميمون، 2002م، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.
- 125- بودواية بودواية: شهادة مسجلة بتيميمون، 2004/06/23م، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.
- 126- أولاد حمادي الطاهر: إمام وصديق الشيخ بلكير، مقابلة على هامش الندوة السنوية 16 للشيخ مُحمَّد بلكير بمنزل الطالب زيراري بأدرار، يوم الاحد 04 مارس 2018م على الساعة 11:45 سا.
- 127- كابوية عبد الرحمن: مجاهد، مقابلة بمنزل المجاهد عبد القادر دحاج، يوم 2018/02/18م، على الساعة 17:45 سا.
- 128- سلكة بومدين: شهادة مسجلة بتيميمون 2004/06/23م، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.
- 129- الشيخ بريك عيشاوي: مجاهد، مقابلة شخصية بأدرار 2017/08/23م، على الساعة 10:00 سا.
- 130- الضب عبد الرحمن: عضو جمعية الأبحاث التاريخية، مقابلة بمقر المتحف الولائي للمجاهد، بتاريخ 2017/09/07م، على الساعة 17:00 سا.
- 131- عقبي عبد الغاني: مجاهد، شهادة مسجلة بتاريخ 2013/05/23م، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

المصادر والمراجع

- 132- بن عيشاوي مُحمَّد (قروط): مجاهد، مقابلة شخصية بمنزله بأدرار، يوم 2018/02/18م، على الساعة 12:15 سا.
- 133- الغريبي عبد الله: من أعيان أدرار ورفيق الشيخ مولاي أحمد، شهادة مسجلة بمنزله بأدرار، محفوظة لدى الباحث، يوم 2019/04/18م، على الساعة 10:15 سا.
- 134- قلوب الشيخ: شهادة مسجلة بأدرار، 2004/06/26م، محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.
- 135- لخديم رضى: إمام بمسجد قصر النجار سالي، خريج المدرسة الطاهرية، مقابلة بتاريخ 2018/07/12م، بسالي على الساعة 10:00 سا.
- 136- مناد مُحمَّد بن الحسين: المجاهد، شهادة مسجلة بتاريخ 2013/05/24، محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.
- 137- المغيلي الشيخ الحاج أحمد: أحد تلامذة الشيخ بلكبير، مقابلة بمدرسته بأنجزمير، 2019/12/19م، 16:30 سا.
- 138- مقابلة مع بعض المتمدرسين بالمدرسة.
- تاسعا: الحصص الإذاعية والتلفزيونية والحوامل الإلكترونية
- 139- التلفزيون الجزائري: ملحمة العرق الكبير، إنتاج محطة بشار، سنة 1992م .
- 140- قسم الأخبار: حرمة لحسن، بكراوي عبد الحق : نقطة حوار، إذاعة الجزائر من أدرار، الجزائر، 2018/05/19م.

فهرس الموضوعات

02.....المقدمة

الفصل الأول : لحة تعريفية عن منطقة توات.

13.....المبحث الأول : الموقع والخصائص الطبيعية.

13.....المطلب الأول : الموقع الفلكي والجغرافي لتوات.

26.....المطلب الثاني : الخصائص الطبيعية والمناخية :

30.....المبحث الثاني : لحة عن تاريخ توات وأهميتها.

30.....المطلب الأول : أصل تسمية توات.

36.....المطلب الثاني : المد الإستعماري نحو توات :

66.....المبحث الثالث : التركيبة الإجتماعية.

الفصل الثاني : مولاي أحمد الطاهري وسيدي محمد بلكبير المولد والنشأة.

71.....المبحث الأول : الشيخ مولاي احمد الطاهري.

71.....المطلب الأول: مولده ونسبه.

74.....المطلب الثاني: نشأته ودراسته.

75.....المطلب الثالث : رحلاته العلمية.

79.....المبحث الثاني: الشيخ سيدي محمد بلكبير

79.....المطلب الاول: مولده ونسبه.

80.....المطلب الثاني: نشأته ودراسته.

83.....المطلب الثالث : رحلاته العلمية وجوانب من شخصيته.

الفصل الثالث: الجهود العلمية للشيخين.

104.....	المبحث الأول : المدرسة محور علمي واجتماعي.
104.....	المطلب الأول : مفهوم المدرسة.
107.....	المطلب الثاني : هيكلها التنظيمي.
115.....	المطلب الثالث : مهامها.
122.....	المبحث الثاني : المدرسة الطاهرية :
122.....	المطلب الاول : تأسيسها.
126.....	المطلب الثاني : آلية التدريس.
128	المطلب الثالث : الإنتاج العلمي للمدرسة :
134.....	المبحث الثالث : مدرسة الشيخ بن الكبير:
134.....	المطلب الاول : تأسيسها.
136.....	المطلب الثاني : المنهاج التعليمي للمدرسة.
154.....	المطلب الثالث : الإنتاج العلمي للمدرسة.

الفصل الرابع : الدور الإصلاحي للشيخين.

163.....	المبحث الأول : سياسة الاستعمار الفرنسي في توات.
167.....	المبحث الثاني : الشيخ مولاي أحمد مواقف وأراء.
167.....	المطلب أول : مساهمته في إجهاض مخططات الاستعمار الفرنسي.

173.....	المطلب الثاني : الشيخ مولاي أحمد في أعين النخبة بتوات
175.....	المبحث الثالث : إسهامات الشيخ محمد بلكبير الإصلاحية
176.....	المطلب الأول : في الفترة الاستعمارية
179.....	المطلب الثاني : بعد الاستقلال
الفصل الخامس : قراءة في إنتاج الشيخ مولاي أحمد الطاهري العلمي.	
(نسيم النفحات أنموذجا)	
191.....	المبحث الأول : التعريف بأهم مؤلفات الشيخ مولاي أحمد
197.....	المبحث الثاني : قراءة في كتاب نسيم النفحات من أخبار توات
219.....	الخاتمة
225.....	الملاحق
265.....	فهرس الأعلام والأماكن
294.....	المصادر والمراجع
310.....	فهرس الموضوعات

ملخص الأطروحة

ملخص الأطروحة

الجهود العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ومُحَمَّد بلڪبير في منطقة توات (1944-2000)م

يتناول موضوع الأطروحة جوانب من العطاءات العلمية والإصلاحية للشيخين مولاي أحمد الطاهري ومُحَمَّد بلڪبير، خلال الفترة الممتدة من تأسيس المدرسة الطاهرية للشيخ مولاي أحمد بقصر العلوشية بسالي جنوب الولاية أدرار إلى غاية التحق الشيخ مُحَمَّد بلڪبير بالرفيق الأعلى (1944 - 2000)، وباعتماد في الدراسة على المنهج التاريخي بأدواته المختلفة حسب الحالة؛ عرفت فيها بالشيخين والعوامل المساعدة في تنشئتهما الشخصية وتكوينها، والدور الكبير الذي قاما به في المجال العلمي والإصلاحي في منطقة توات، مبرزاً في نفس الوقت الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمنطقة غداة ظهورهما على الساحة العلمية، ومدى تأثيرهما وتأثرهما بهذه المعطيات، وعطفا على ذلك أشرت في البحث إلى مدرستيهما من حيث تاريخ التواجد والطريقة والمنهج، وانعكاسات حركتهما العلمية والإصلاحية على المجتمع في المنطقة.

الكلمات المفتاحية : مولاي أحمد، مُحَمَّد بلڪبير، مدرسة، زوايا، توات، أدرار، جهود علمية، جهود إصلاحية.

Thesis Abstract

Scientific and reform efforts of Sheikhs Moulay Ahmed Taheri Al-Idrissi and Mohamed Belkkabir in The Touat Region (1944-2000)

The thesis deals with aspects of the scientific and reform tenders of Sheikhs Moulay Ahmed Taheri and Mohammed Belkabar, during the period from the establishment of the Taheri School of Sheikh Moulay Ahmed at the Al-Aloushia Palace in Sali, south of Adrar, until Sheikh Mohammed Belkabar joined the Supreme Comrade (1944-2000). By relying on the historical approach with its various tools according to the situation, I defined the sheikhs and the factors that helped their personal upbringing and composition, and the great role they played in the scientific and correctional field in Toat, highlighting at the same time the political, economic and social circumstances.

Keywords: Moulay Ahmed, Mohamed Belkabar, School, Zawiya, Touat, Adrar, Scientific Efforts, Reform Efforts.

Résumé de la thèse

Efforts scientifiques et de réforme des cheikhs Moulay Ahmed Taheri Al-Idrissi et Mohamed Belkkabir dans la région de Touat (1944-2000)

La thèse porte sur certains aspects des appels d'offres scientifiques et de réforme des cheikhs Moulay Ahmed Taheri et Mohammed Belkabar, pendant la période allant de la création de l'école Taheri du cheikh Moulay Ahmed au Palais Al-Aloushia à Sali, au sud d'Adrar, jusqu'à ce que le cheikh Mohammed Belkabar rejoigne le Camarade Suprême (1944-2000). En m'appuyant sur l'approche historique avec ses différents outils en fonction de la situation, j'ai défini les cheikhs et les facteurs qui ont aidé leur éducation personnelle et la composition, et le grand rôle qu'ils ont joué dans le domaine scientifique et correctionnel dans la province de Touat, en soulignant à la fois les circonstances politiques et économiques. L'impact social de la région après leur apparition sur la scène scientifique, et l'étendue de leur influence et influence sur ces données, et de l'avis de la recherche, j'ai fait référence à leurs écoles en termes d'histoire de la présence, la méthode et le programme d'études, et les implications de leur mouvement scientifique et de réforme sur la société dans la région.

Motsclés: Moulay Ahmed; Mohamed Belkabar; École; Zawiya; Touat; Adrar; Efforts scientifiques; Efforts de réforme.